

محمود عوض

الحرب الرابعة

مدى جدا



الطبعة الثانية

الكتب العربية الحديثة

محمود عوض

الحرب الرابعة

سرى جيا

DL

المكتب العربي الحديث
للطباعة والنشر
تيليفون ٢٠٢٠٠٠
الاسكندرية

الطبعة الثانية

نيسير ١٩٧٤

الحرب الرابعة
سرى جندا

مقدمة

يقولون دائما ان كل امة تحتاج الى صحة كبرى لكي تنفيع
من سيئاتها .. ونقيم ما حولها .

في هذه الحدود فقط ، يصح لنا ان نرى هزيمة يونيو سنة
١٩٦٧ باعتبارها نجرا ونذارا وصحة وكهوسا وهزيمة وليلا
ونهاية وبداية ومونا وولادة .. في وقت واحد . مونا لاشسياء
كثيرة عفنة ، وولادة لطائف كثيرة غيبنة .

واقول الحق ؟ ان صحة سنة ١٩٦٧ كتبت اشد تأثيرا على
جبلنا نحن - الجيل الجديد في هذه الامة - منها على اي قطاع
آخر في مجتمعنا . طوال تربيقتنا نحدث .. لم يحدث ابدا -
الا في حلقنا هذه - ان سقط جبل من مثل تلك القمة المرتفعة
.. الى مثل هذا القاع المخيف .. في مثل ذلك الوقت النصير -
سنة ايام . في تلك الايام الستة تعلمنا من وطننا اكثر جدا مما
تعلمناه في الجامعة ، لو على صفحات الصحف . تعلمنا ان
الثقة ليست بديلا عن المراجعة ، والاحلام ليست بديلا عن
الواقع .. والخبز ليس بديلا عن الحرية . تعلمنا ان السلطة
المطلقة هي الطريق الى الاتحراف المطلق . (درس اعطته لنا
مراكز القوى) . تعلمنا ان احد مقاييس المجتمع المصري هو
قدرة بعض مواطنيه دائما على الاعتراض على ما يقوله جميع
مواطنيه احيانا . تعلمنا كلمات « سقراط » : اننى احبكم يا رجال

أينما .. ولكنني أحب الحقيقة أكثر . تعلمنا ان علينا ان ندرس شيئا جديدا هو : القدرة على ان تكون حرا . تعلمنا اننا نعيش في بلد النور القوي .. والظل الحاد ، القوة الكامنة .. والضعف الظاهري ، وأن علينا الا ننسج للنفس بأن يطمس الاول . تعلمنا اننا يجب ان نكون أولا اقوياء كالأفراد .. قبل ان نكون اقوياء كقوة . تعلمنا ان الهزيمة لم تكن أبدا ميبا في المرض .. ولكنها كانت واحدا من أعراضه .

تعلمنا .. وتعلمنا .. وتعلمنا ..

كانت الدروس كثيرة .. وكان الزمن نادحا . وحتى الآن ، مازال السؤال الفاض هو : هل كان من المحتم ان نضع ذلك الثمن الفادح .. لكي نتعلم تلك الدروس ؟

اننى لا اطرح هذا السؤال الآن لكي أرش الملح على جراح احد .. ولكنني أريد فقط ان أفسر لماذا أصبح طعم المرارة جزءا من لسان جيلنا . جبل كانت الحرية ، بالنسبة له هي دائما شيئا مؤجلا . شيئا سوف يتحقق غدا . ان « غدا » لم يأت أبدا .. وبدلا منه جاءت هزيمة كبرى . ان نصف موارد هذه الأمة ضاع في تلك الهزيمة .. والنصف الآخر ضاع في تصحيحها .

وعندما مدر لي الدتلب الأول في سلسلة « متنوع من التداول » كان الجدل ساخنا حول اختبار الطريق الأمثل الى تصحيح تلك الهزيمة . ومن الناحية الاعلامية ، فإن تلك كانت أول فرصة حقيقية لتطبيق شعار « أعرف عدوك » .. الذى ظل مرغوعا لمستويات طويلة نون أى تطبيق جاد . ان الاتجاه الذى كان يمثله ذلك الكتاب تعرض وتتنا لمعارضة قوية هنا .. وبيننا ، ولكيلا يكون البديل هو افتراض مسوء النية في أصحاب ذلك الراي

.. غافنى افترض أنهم ليحوا دأئها منع الكتب الاسرائيلية من التداول .. بناء على افتراض من جليهم اسسه حسن النية .
افتراض يقول ان منع الكتب المعادية من التداول هو اجراء ضرورى لحماية القارئ العربى ضد الاكاذيب التى تروجها اسرائيل داخل اطار ماهر وفكى من الحرب النفسية . وان نكسة ١٩٦٧ قد ترتب عليها بالضرورة انعدام ثقنا بأنفسنا .. بحيث ان السماح بالكتب المعادية سوف يضيف انعداما الى انعدام .

ومع ذلك غافنى كنت لرى العكس تماما .. وربما لنفس الاسباب التى يتركن اليها اصحاب الراى السابق .

ان من الصحيح اننا واجهنا هزيمة كبرى فى سنة ١٩٦٧ . ومن الصحيح ان العدو استغلها فى شن حرب نفسية قارية ضدنا .. مستخدما فيها كل مهاراته وفكائه واجهزته .

ولكن .. من الصحيح ايضا ان احد الاسباب الرئيسية فى تلك الهزيمة هو الوصاية التى مارستها أجهزة الامن على عقول الراى العام . وعندما وقعت الهزيمة فعلا .. فان احدى نتائجها الرئيسية كانت وجود فجوة ثقة كبرى بين الحكومة والشعب .. نتيجة لان النكسة لم تحدث فى ميدان القتال فقط .. بل انها كانت نكسة اعلامية بدرجة متساوية . لقد اكتشف المواطن فجأة ان الاعلام العربى لم يكن يقول المصدق .. ولم يكن يلتزم بالموضوعية .. باعتبار ان هذا هو الطريق السهل لكسب حماس القارئ والمستمع .. وللحصول على شعبية تملط الجميع شعورا كاذبا — ولكن مريحا — من الرضاء على النفس .. ولتحقيق الامن ، الذى كان يصبح فى النهاية .. لمن افراد على مناسبتهم .. وليس لمن امة على مستقبلها .

ولكن .. عندما نشبت الحرب في صباح الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ كانت تلك المسيلة هي القتل الأول في الحرب .

وعندما بدأ التصحيح المشهور في 1٥ مايو سنة ١٩٧١ .. كلن لابد ان يتون أيضا تصحيحا اعلاميا .. بقدر ما كان في البداية تصحيحا سياسيا .

ولقد جاءت التجربة لكي تثبت صحة كل الأسس التي اعتمدت عليها هذه السياسة الجديدة العائنة . فعندما رفع الحظر عن الكتب الإسرائيلية التي كانت لسنوات طويلة ممنوعة من التداول .. لم يؤد هذا الى مزيد من انعدام الثقة بالنفس .. بل انه أدى الى مزيد من الإصرار على تصحيح نكسة سنة ١٩٦٧ .. ومزيد من الجدية في تطبيق شعار « اعرف عدوك » .. ومزيد من الجدية في احصاء كل مواطن بالثمن الفكري والمادي الذي يجب أن يساهم به — ويدفعه هو شخصيا — في الصراع ضد إسرائيل .. وكانت النتيجة هي ان حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ جاءت لتشهد مقتلًا جديدًا في ساعة الحرب .. ومواطنًا جديدًا أيضا في الجبهة الداخلية . مواطنًا غامعا لعدوه غاربا بمثله .. دارسا لأساليبه .. ومتابعًا لأفكاره .

وإذا كانت هذه السلسلة قد قدمت للقارئ من قبل أسوال إسرائيل من حرب ١٩٦٧ وأساليبها .. وهي أكثر النقاط انخفاضًا في الترمومتر العربي .. فإن هذا الجزء يقدم للقارئ تحليل العالم لحرب ١٩٧٣ وأساليبها .. وهي أكثر النقاط انخفاضًا في الترمومتر الإسرائيلي .

ان الترمومتر الإسرائيلي لن يظل منخفضا بصفة مستمرة .. إلا اذا كنا نحن سنواصل دراسة المعتل الإسرائيلي في حجه

الحقيقي بصفة مستمرة .. دراسة لاسلها الافتتاح وليس الأمن
 .. الحرية وليس الكتب . وكما قل احد سيلبي القرن الثامن
 عشر لرئيس وزراء بريطانيا : « سيدي .. تستطيع ان تعطى
 هذا البلد اى شيء .. تعطيه برلمانيا فاسدا .. تعطيه حكومة
 جمعة .. تعطيه امرا طاغيا .. تعطيه قضاء عاجزا ..
 ولكن : اعطنى انا صحافة حرة . بهذه الصحافة .. سوف
 اصح لك كل هذا ، واكثر » .

عزيزى القارىء ...

الآن بدأت حرية الصحافة .. دعنا نأمل فى ما هو أكثر .

محمود عوض

الباب الأول

خفايا حرب الشرق الأوسط

◆ فتدريه دويتش

هذا الكتاب ..

وهذا المؤلف

● هذا هو أول كتاب اجنبي يصدر عن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

الكتاب انجليزي ، لمصره « لتدريه فويتش » في لندن . يستعينا فيه باثوال وشهادات وتدبيرات مئات العسكريين في مصر واسرائيل . خلال رحلات عديدة الى جبهتي القتال اثناء الحرب . بالاضافة الى تحليلات خبراء الاستراتيجيه والحرب في لندن ، وباريس . وواشنطن . رحلات وتحليلات وصلت بحجم الكتاب الى تسعين الف كلمة في لغته الانجليزية .

هذا من الشكل ..

اما عن مضمون الكتاب نفسه .. فلان لشياء اخرى كثيرة ، لابد ان نلاحظها لأول وهلة .

نمن الناحية المبدئية يسلط هذا الكتاب الضوء على نقطة جوهرية للغاية ، تضيق رصيدا ضخما الى ما حققته العسكرية المصرية في حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ . هذه النقطة هي : ان مصر واجهت بمعركة اخرى اساسية قبل ان يبدأ القتال الفعلي على رمال سيناء . ففي التحضير للحرب .. لم تكن هيون اسرائيل هي وحدها التي ترصد كل استعداد وتسجل كل تحرك في الجانب العربي .. بل ان هيون

وأخبره ومخابرات الولايات المتحدة معها كتب تعمل هي الأخرى
في نفس الاتجاه — ولحساب إسرائيل . لقد كتبت محادثات إسرائيل
تتخصص .. ومخابرات أمريكا تتخصص ... ثم يتبادل الاثنان
معلوماتهما .. ثم يعيدان جميع ونحس وتحليل المعلومات أولا بأول
بهدف رصد أول مبادرة عربية توحى بالاتجاه إلى الحرب .

وفي الحائط القتل . على مصر أو سوريا لم تتمتع بميزة مطلوبة
على الإطلاق . لقد كان على كل منهما أن يعتمد على نفسه تبارك .
في مواجهة هذا التحالف القوي بين جهتي المخابرات لإسرائيل
وأمریکا .

لقد كانت تلك معركة أخرى .. وكان لابد أن نلتزم فيها أولا —
كشرط حواري يسبق الذهاب الفعلي إلى ميدان القتال . وتلك هي
أول نقطة يسجلها لنا هذا الكتاب .

نقطة أخرى : أنه لأول مرة تجد مؤلفين عسكريين غربيين لا يأخذون
بآراء إسرائيل على محملها . لقد نطقت أصداد هذا السكيب رحلات
عديدة إلى جبهات القتال ، ولعاشت كثرة مع المسؤولين — مصريين
وإسرائيليين . وطوال صفحات الكتاب ، فإن المؤلف لم يمانس في
حرف واحد ما قاله المصريون . إن القوال المصريين هنا تتساوى مع
ما حدث مملا في ميدان القتال حتى فيما يتعلق بمسألة « الثمرة » التي
فتحتها إسرائيل على الضفة الغربية لقناة السويس . وربما لا تكون
مصر قد شرحت بالتفصيل أسباب ما حدث .. ولكنها — وهذا هو
المهم — لم تقل أي شيء يمانس ما حدث .

وفي نفس الوقت يسجل هذا الكتاب أن هذا لم يحدث على
الحائط الإسرائيلي . إن الكتاب يسجل محتلفات كثيرة ... منها
مثلا ما يتعلق بمدى مناعة خط بارليف .. ومنها ما يتعلق بالسلاح
السري الآخر الذي كتبت إسرائيل فحفظ به في هذا الحظ .

نقطة ثالثة : ان الكذب في تحليله لمسألة « الشعرة » الاسرائيلية .. يقرر حتى النهاية انها تكن لا بد ان تقتل عسكريا . وادأ كنا نحن قد قتلنا بعد حرب ١٩٦٧ الهيبة ان نستمتع من العالم الى انتقالاته اللادعة لمجرا .. فلا قتل من ان نستمتع من العالم في هذه المرة — والاحتلاف ضخم في هذه المرة — الى تصير لفته لمواحي قصوريا . في حرب ١٩٦٧ كنا عاجزين .. وفي حرب ١٩٧٣ ، كنا مقاتلين .

هنا نلحظ بمل الى الملاحظة الاسسية على هذا الكتاب :
كفاءة المقاتلين .

لقد هبت السياسة في هذه المرة فرصة بمساويه — ايام المقاتل العربي لكي يحوض حزا متعاقلة . حزا . دخلها معير يد معلولة ومعلل مشلول . وكانت النتيجة هي انه قاتل — شرب ويشجاعة ، وسوبهة ، وبطم ، وفي كل الحالات : بلدانية .

وتلك نقطة خطيرة يسجلها هذا الكتاب . ففي هذه المرة يحدث العالم عن سلاح ضد سلاح .. ولزادة ضد ارادة . ومقاتل ضد مقاتل . في هذه المرة يسجل للكتاب ان هناك قتلا مصريا سقط .. ولكنه قبل ذلك يكون قد سجل ان هناك عشرة اسرائيليين من القتلى قد سقطوا لاهله .

وتلك هي الحرب .

بل انه ، حتى في حديث هذا للكتاب عن « الشعرة » الاسرائيلية .. فانه يسجل ان المقاتل المصري استطاع — حتى الدقية الاخيرة — ان يلقي الجيش الاسرائيلي وربما ان يمساه . ربما

ماتته اشيء .. ولكنها غلته وهو مقاتل بضرلوة .. ومناطح بعناد ..
ومتقدم بجسلة .

ان مثل هذا المقاتل لا يعيه ان يخسر نقطة .. ويكسب نقطتين ..
و .. نحن خسرنا نقطة ..

ولكننا كسبنا مئات النقاط . كسبنا — على الأقل — احترام العالم
لنا ، وكسبنا — وهذا هو الأهم — احترامنا لأنفسنا .

بعدها اتركك — مزيى القارىء — مع اول كتاب من حرب
اكتوبر . كتاب « نظرة على حرب الشرق الأوسط » .. لاندريه
دويتش ●

خفيا حرب الشرق الأوسط

ان مركز العمليات المصري يخفون يعمق على حدود القاهرة .
ان صحفيا مصرية ذاك قد رآه انتهاء الحرب سجل له هذا الوصف
في مصر مذكراته . « سيارة حبيب عسكرية ... واقفة امام تل
من الرمال ، ومتحة في تل الرمال . في النهاية باب حديدي كثة
باب حراسة ضخمة ، ثم ممر طويل ، ثم سلالمة تتزل في الأرض
وتتزل ، ثم باب حديدي آخر وممر طويل .. في نهايته باب حديدي
ثالث ، ثم يتسلسل المكان فجأة : قامت اجتماع عرف عمليات ،
مراكز اتصالات ، صالات خرائط ، مكتب ... » .

ان مكتب الرجل الذي خطط ووجه حرب أكتوبر كل صميرا ،
على يامه لائمة بقول . « وزير الحربية والدائد العام » الفريق
هو الحية والحيمة سمة ... لعبد اسماعيل . انه جدي
« غرفة الدراسة » اللامع .. الفتي اعطاء للرئيس انور السادات
امرا في شهر ديسمبر سنة ١٩٧٦ ، وهو : انحصار الاستئناف
الاستئنافات .

في الممر المواجه نيلما لمكتب لعبد اسماعيل ، يوجد باب يؤدي
مباشرة الى غرفة العمليات الرئيسية : « كانت قاعة كبيرة ..
باضواء باهرة .. اللوانها بالخرائط حية ، والخرائط ليست اللوانا
فقط ، ولكنها حركة منمطة ... حول اللقاعة مجموعات تتزل
تبادات افرع القوات المسلحة كلها ، كل مجموعة وراءها خرائطها
وامامها ادوات اتصالها بكل الصهف . في المكان الرئيسي من الصالة
توجد ميمة لهيئة القيادة العليا : وزير الحربية والقائد العام

أحمد إسماعيل ، رئيس لركن الحرب سعد الدين الشاذلي ، ومدير العمليات عبد الحى الحسى . فى مواجهه الممه ، على الحائط المواجه ، توجد مجموعة الخرائط الرئيسية التى تبين الموقف العلم . انها مرسومة على مسطحات من الزجاج بعرض الصالة كلها وهى توضح الموقف فى البر . . والموقف فى الجو . والموقف فى البحر . . والموقف على الحمة السورية . ان لمسات ملونة جديدة سوف تضاف الى الخرائط مع تغير الموقف دقيقة بدقيقة . وطوال الوقت ، على أجهزة الاتصال تنق ، والمشاورات بحرى بسرعة

لقد كان هذا مركزا لإدارة المعركة . ولثناء عبور النهار - الذى سبقه تحصيله لكل شيء حتى اتفق التفاصيل - من هذا المركز كان يعمل بشكل مهيب . . ولم يحدث سوى فى المراحل التالية الماتمة من الحرب عقط . . ان ظهرت عبوب هذا البناء القيادى المركزى المتعدد الدرجات .

لقد قتل الفريق أحمد إسماعيل : « قبل يجب ان نرى هذه القاعة فى يوم « ي » - يوم ٦ أكتوبر . كنا جميعا فى متاعنا . ان كل مسرح العمليات التى خططها كل واحدنا فى مواجهتنا مهمة كذا وكذا بدأت . . مهمة كذا وكذا نمت . . ان العمل كان يسير بدقة أكثر مما يستطيع ان يتخيلها أى شخص - سفاءة وجراء . وكانت هناك لحظات تهر المشاعر الى الأعماق »

ان الرئيس ثور السادات كان أيضا فى مركز قيادة العمليات . لقد قال غيا مد : « خلال الساعات الثلاث الأولى كان يعمرى توتر مظيم ، بل لثنى كنت متجيدا تقريبا . لم يكن معروف ما الذى يملكه الاسرائيليون فى محاربتهم . . واى لسلحة حنيدى يملكونها؟ ولكن . . بعد ثلاث ساعات . . كان واضحا ان الاسرائيليين لم

مع معشهم . وأنهم عوحوا قتلها . . . وأن جنودنا تدعبروا الجوانب
الوعرة للقناة » .

إن خط بارليف على يتكون من ثلاثين نقطة اسرائيلية قوية تحرس
النقط المحتملة للعبور على قناة السويس . إن اسرائيل نصورت
لأنه مع قتلها . إن الشاذلى ، رئيس اركان الحرب المصري ،
شرح السبب فيما بعد قائلا : « إن قناة السويس هي منبع مائي
فريد بسبب الاتحاد الشديد لشواطئها وبسبب اعوجاجها الذي
يسمح المركبات البرمائية من التزول الى - او الصعود من - القناة
، . عبر طريق مجهز . . وهذه ظاهرة لا يوجد في اي مكان آخر
سوى قناة بناما . وبالإضافة الى ذلك على العدو قد كرم مدا
رمليا يتراوح ارتفاعه بين ثلاثين وستين قدما . . وهذا كله بخلاف
دفاعاته في خط بارليف . . . » .

من هذه الدفاعات على سلاح اسرائيل السري كل نقطة قوية
تستطيع أن تصح مقاتي طي من التزول والمواد المنهمة على سطح
المياه ، وتسيطر بالمراس . . فنحول القناة مورا الى خندق من
النيران .

وفي مواجاة هذه العتبات . . على موسى ديان وزير الدفاع
الاسرائيلي قضا بأن أي هجوم مصري عبر قناة السويس سوف
يتم القضاء عليه خلال أربع وعشرين ساعة . إن الشاذلى قال
فيما بعد : « أنني اعتقد أن ديان قد اخطى بهذا التصريح على أساس
حسابات مال مهتم بما سوف يحتاجون الى أربع وعشرين ساعة
من أجل إقامة الكبارى والمعدات . . ولأن المعدات الثقيلة (مثل
قوة دبابات مصرية فعلية) لا يمكن أن تعبر القناة قبل ٤٨ ساعة . .
بما يسمح بوقت كاف للوصول الاحتياطي الاسرائيلي المتفرع من
العمق الى الجبهة » .

وفي يوم السبت ٦ أكتوبر — وخلال عشر ساعات فقط — أظهرت مصر كيف أن استراتيجية إسرائيل الدفاعية المبنية على محيطها بأسلحة مبتكرة وعصرية .

على منتصف ليلة السبت ، بعد عشر ساعات من الحرب ، كانت مصر قد حطت حط بارليف .. ودمرت أكثر من مائة دبابة إسرائيلية .. وحصدت على التلطل ، الشرقى حسمانة دبابة . وشبكة صواريخ كاملة . إن هذا الانتحار العسكري الهائل وغير المتوقع .. أعطته مصر أسبا رهبا هو « عليه بدر » .

إن فشل إسرائيل المريع في التنبؤ بحرب أكتوبر له ثلاثة أسباب رئيسية . السبب الأول .. على . طوال السنوات الأربع الماضية .. ركزت أجهزة المخابرات الإسرائيلية على مشكلة العدائين الفلسطينيين و — بالتحديد — على أنهم متحارج . ولكن الطائفت الشربة الإسرائيلية لغرة . ولتعليم بهذه المهمة .. على على إسرائيل أن تسحب — من مصر وسوريا أساسا — جزءا كبيرا من ميلاتها التي يقومون بأعمال المخابرات السياسية . إن المخطط الناتج من ذلك في المخابرات السياسية أدى لإسرائيل إلى ما أسماه دبلوماسي بريطاني فيما بعد بأنه « حالة كلاسيكية » من فهم المخابرات لقدرات العدو .. ولكن عدم فهم لنواتها .

إن هذا التسلط — والكلمة هنا ليست شديدة القوة — من الفلسطينيين على التفكير الإسرائيلي . لدى أسبا إلى السبب الثاني والاعمق للعجز الإسرائيلي . أنه عجزه عن عجز كامل عن إدراك أن العرب قد يستعملون كلا من حرب الإرهاب والحرب التقليدية . أن موسى دلمان وزير الدفاع الإسرائيلي .. وكذلك رؤساء لوكالي الحرب المتطبعين .. كلهم كرروا اتضاعهم الاحتقاري

من أن العرب قد تم خيبتهم الى مستوى الإرهاب العشوائي
لأنهم - بالضغط - لا يحرّضون على مواجهه اسرائيل في ميدان
القتال .. وحسب غرائهم التي كانوا يقومون بها عبر الحدود ..
قد انتهت .

ان الفلسطينيين اصبحوا - حتى - هم المنولين عن السبب
لثالث والاكثر اثره للسحرية في فشل اسرائيل . ان المحابر
الاسرائيلية قد شلت مشوب حرب في سنة ١٩٧٣ ، ولكنها قدرت
انها على وثك في تشب في شهر مايو - كتنبئة لاعمال
الفلسطينيين وهكذا .. بعد ان اصابها شبح الفلسطينيين
بالعمى . غلب اسرائيل تعاهلت الحطوب السريعة للاستعدادات
العربية .

ان الرئيس ثور السلدات اثر ذاتها سرورة الحرب ، وكما شرح
هو مؤجرا - في نطاق محدود وبنظر كير في المراحة - مانه
قال : « من يوم ان تمسكت الرئاسة بعد وفاة الرئيس جمال
عبد الناصر (٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠) غلبت كفت اعرف اسمي بحبه
ان احارب ، انها ترغبتى . »

ان السلدات كان راغبا في اعطاء فرصة للعمل الدبلوماسي .
وهو يقول في هذه النقطه : « كانت لدى آمل مسنبلة في وزير
الخارجية (الأمريكي) روجر حلال سفي ١٩٧ و ١٩٧١ كانت
حطة روجرز هي محاولة امريكية لنسوية النزاع) . ولكن كل
ما فعله هو انه كل يستطلي من مريدا من التنازلات ، غير أي
استحابه واحدة من الاسرائيليين « ان ترايد وممو العلاقات
الامريكية مع روسيا ازاح واحدا آخر من اسلحة السلدات . لهذا
يقول هو : « كان واصحا ان الهندة - حطة لا سلام ولا حرب -
تماسب القويين الاعظم . لتد كل همك نوع من الاتفاق

بينهما على مستوى امدادات سلاح « . وفي النهاية .. كان
أوراق السدادات الآخر .. هو انه حتى قدره على استغلال المنفعة
والتناقض بين القوتين الأعظم .. هو عامل مساعد يتعامل
بسرعة . مما أقصه بأنه ليس إلمه من اختيار سوى الحرب .

ويقول السدادات : « أنسى ذهب الى موسكو في ربيع سنة ١٩٧٢
(٢٧ - ٢٩ أبريل) .. وأجبرت مستر بريخيف انه من الضروري
بالسنة لنا ان نحارب يوما ما . لم يكن هناك دليل لذلك ، ان
مريحيف قال لي انه لا يريد مواجهه بين القوتين الأعظم « .. وهكذا
. أصبح السدادات يفكر في نفس محدد لحرب جديدة . وعلى
حد نصير « ان الروس كانوا يراوغون طوال صيف وحريف
سنة ١٩٧٢ . لقد قلوا انهم ينظرون الانخباثات الأمريكية و شهر
نومبر « . انهم ان يعطوا السدادات اسلحتهم المنظورة ، ولكنهم
يرغبون في البقاء بصبر : « ان الروس شعروا بان لهم وجودا على
أرضنا ، حتى لو استحووا عن الطريق « . وفي ٢٧ يوليو سنة
١٩٧٢ طردهم السدادات : « أنسى طردت الروس لكي اعطي لنسبي
حرية كاملة في المناورة . ولكن معصم عاد من أجل مهمه — سم في
الصحراء بعيدا عن قناة السويس بمسافة كبيرة — تطبقنا كيف
مستخدم الصواريخ الجديدة ، خصوصا صواريخ سام ، ضد
الطائرات « .

ولكن ، وهذا هو الأمر المثير للسخرية ، كل الحذر المستمر من
حائب الروس هو ، طبقا لما نقله ، الذي عمل بحرب أكتوبر .
ان الرئيس السدادات يقول : « بعد انتحلات نوفمبر ، عاد مستر
ميكسون .. وتلقيت حظا من مستر بريخيف يقول لي انه
يرغبون في تدعيم سيولة من الوفاق .. وهم متصحيون بأن أقتل
هذا الموقف . لقد قلوا انهم لا يستطيعون ان يقوموا بزيادة

إمدادات السلاح المتقادمة . لقد عقدنا اجتماعا لمجلسنا الأعلى هنا في القاهرة . - ورمضان هذا . (في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧٢) تحدثت إلى اجتماع معلق للحصة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي . ومن تلك اللحظة .. بدأنا التخطيط لهجوم ٦ أكتوبر .

ولكن .. أي نوع من الحرب ؟

إن الفريق أحمد إسماعيل قرر في نهاية سنة ١٩٧٢ أن يحدد استئناف حرب الخمسة والمسيرة الحرة . التي مبرت حرب الاستنزاف في سبتمبر ١٩٦٩ و ١٩٧٠ سوف يكون أسرا فادح الأضرار . أنه كان يرى أن « أي محاولة من جانبنا لأن نغسل ذلك سوف يقابلها رد فعل أكثر عنفا من جانب إسرائيل .. أكبر من الأهمية السياسية والعسكرية لأي عمل نقوم به » . وهكذا .. فإنه وافق على الآراء التي تمسك بها هيئة أركان الحرب طويلا . أن الوسيلة لحرب إسرائيل لا تكون منقلب نكبتهم التي تمتد على الضربات الحاطة . ولكن مشطهم لهما أسياا الشاذلي محرب على أسلوب « مغرمه اللحم » .

مع نهاية يناير سنة ١٩٧٣ . وبعد أسابيع من المفاوضات ، بدأت سوريا بمساعدة للإسرائيليين في المشروع . وهنا يقول الفريق أحمد إسماعيل : « كانت فكرة الثابتة هي أننا يجب أن نقوم بضربنا من جبهتين » . أن مقر أحمد إسماعيل في وقت السلم هو مجمع صغير من المكاتب المتواضعة .. يخطط لها سور يبلغ ارتفاعه عشرة أقدام ، في شارع ٢٢ يوليو مصاحبه العنصرية للقاهرة . وفي وقت ما من مطلع شهر فبراير ، بدأ الأرميون مصرياً في هيئة التخطيط العسكرية .. في الاستعداد .

أن المبادرة الثلومانية الأخيرة ، والموازية ، وصلت إلى قمته أيضا في شهر فبراير سنة ١٩٧٣ . أن حافظ إسماعيل منتشر

السلطات للامن القومي — وهو تقرب مماثل بحري لهرى
كيسجر . . بالرغم من انه لا يكن الذهاب بالمقارنه بعيدا — طار
في رحله شملت موسكو ولفس والأمم المتحدة وبون . . وبالاصانة
الى ذلك ، ذهب محمد الزيت وريز خالحيه مصر الى بيوتلهي
ومكين .

وفي ٢٢ فبراير ، اجتمع حافظ اسماعيل بالرئيس بيكسون في
النبت الابيض . ان بيكسون تحدث في رعة لهرى في ان تبدأ
المفاوضات . ان حافظ اسماعيل وصف تلك المفاوضات فيها بعد
بأنها كانت « حارة ومثيرة » . ولكن ، في أول مارس تحدثت
جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل مذورها محبيكسون . ان ريارها
لأمريكا تلاها خلال أسبوعين حسدور ميل بان الولايات المتحدة
سوف تهد اسرائيل مريد من طائرات اللقشوم — ٤٨ طائرة هذه
المره . لقد كلى هذا تأكيذا مهتيا بنى بيكسون — بعد اعاده انتحاله —
ان يغير سياسته .

وفي شهر مارس ١٩٧٣ بدأ السلطات في مياه استراتيجية
سياسة مشتركة مع سوريا . لقد كانت المشكله هي ان سوريا
مازالت تتحدى مفهوم وحد ثوله يهودية ، ومن ثم على القرار
الاساسي والاكثر أهمية الذي يجب ان تتفق عليه مصر وسوريا
هو : حول أى شيء تكون الحرب — وحد اسرائيل . . أم مجرد
استعادة الاراضي المحتلة ؟ (لأن سوريا والاردن — طلما — عتقتا
نفسا لراضى في حرب ١٩٦٧) . وكانت هناك مشكله أخرى . . هي
ان مصر وسوريا ليست لهما علاقات تعاونية مع الاردن . .
بما تمثل اعاده الاردن الى الصف العربى مهمه لسلسة . .

وفي يومى ٢١ و ٢٢ أبريل اجتمع رؤساء لركن حرب الجيوش
العربية في القاهرة لدراسة موقف اسرائيل العسكرى . ان الفريق

أحمد اسماعيل صاع مؤخرًا النتائج التي توصل إليها بقوله : « إن تقديرى بأن هو أن إسرائيل تلك أربع ميزات أساسية : تفوقها الحوى .. مقترنها التكنولوجيا ... تدرجها الكتب والدقيق .. ثم اعتمادها على المعايير السريعة من الولايات المتحدة . مما يضمن لها . . . تدفق مستمر من الإمدادات . ويمكن هذا العدو له أي عيوب أمنية ' أن خطوط مواصلاته طويلة ويمتد إلى جهات عديدة . . مما يحمل الدماغ منها حصة . أن موارده البشرية لا تسمح له بحمل خسائر كبيرة في الأرواح . أن ظروفه الاقتصادية تهيئه من سرل حرب طويلة . أنه - يوفى ذلك - عدو يعاني من مساوئ الحرور المعنوي » .

ولكن « سيجل يقط أنسعه هذه » ، فإلا من « رغاء العدو — هكذا يقول أحمد اسماعيل — على أن يورج عضائه عن مساحات هائلة . ولكي هذا يتوه ' أنا ' على أن — 'مراضى وجسود إسرائيليه مربيه بشركه — يبحر مسطحة في هبات عديدة . و أن اجتماع شهر أبريل ، كل تحقيق الوحدة . مزال بعيد عن الصبان . وكما أعلن اللواء الشافلي رئيس الأركان المصري عند محادثته المؤتمر : « أن وجود بعض المشاكل السياسية والعسكرية يسهل العمل المشترك » . وسرعان ما أكتبت إحدى المشاكل بعضها مقوم . على الثاني من شهر مايو أنمحر قتال عبق بين الجيش اللبناني وبين إبقاؤه الفلسبييه .

أن الذي اشمل ذلك القتال كان عملا إسرائيليا . متى العاشر من أبريل ، قامت قوة كوماتدور إسرائيلية ، برتدي أزياءها اللباس المدسة ، باغتيال ثلاثة من الزعماء البارزين للمقاومة الفلسطينية . أن الحكومة اللبنانية سرعى ما استطعت . وفي ٢ مايو — أنا — بسبب القدر الكبير من براخي الجيش أثناء المارة — انفجرت حرب أهلية مضمرة في لبنان . لقد استمرت شعة أيام . وقد تمورت

المخابرات الإسرائيلية أنها سوف تمتد إلى خارج لبنان . أن إسرائيل ، بدفعها شعور عصبي بسبب أحداث الستات التي ينشأ منها بالحرب . خشيت من أن تكون سوريا على وشك التدخل إلى جانب المقاومة في لبنان . أن هذا - كشيء على اطرار النشائي - يمكن أن يحقب في الوخجه دولا عربية حرة حول إسرائيل . مواحه سوف يسكب حيا في داخل إسرائيل بسبب أن السوريين استعدوا .. هذا مؤكد . ولكن القوات الإسرائيلية وضعت في حظه ذهب .. ثم قامت مسيرات وأصح على مرجمات الجولان .

لقد كل هذا اندارا مريفا .. ولكنه يصو المشاكل التي سوف تضلل إسرائيل بعدها بأربعة شهور فقط . نطقا لأتوال « دايد النهار » رئيس أركان الحرب الإسرائيلي . على اذار شهر مايو قام على أساس وجود اشارات لاستعدادات الحرب العربية أكثر اقناعا من الاشارات التي قامت مؤخرا في الصيف . أن اعلان حالة الذهب كلف إسرائيل أربعة ملايين ونصف مليون جنيه إسرائيلي .. وهو مبلغ تستطيع بحيله بمسومة . كما أن هذا سكي امبارة هابلا وراء برم إسرائيل من قنجر الاقتصاد بسببه الاحباط على حدس ابوجه المالية من اشارات الحظر .

وبالنسبة لأمريكا ، الضامن النهائي لإسرائيل ، كل شهر مايو شهرا حرجا بالنسبة لاستعدادات الحرب . أن جهاز المخابرات الأمريكي يصم وكالات عديدة مستقلة ويمداحه وغالبا متنافسة .. ومن بينها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .. التي هي أكثر الوكالات لمتا للاطلاع . أن لمصر هذه الوكالات هو مكتب وزارة الخارجية للمخابرات والبحوث .. الذي يقترب من عمل الوكالات الأخرى .. ولكن يعمر عملاء حاصري به أن عمل المكتب هو التحليل .

ومعد أربعة شهر مايو ، وتقدم استراتيجيتها الساعات ، أعد
محلوا المكتب تقريراً وضعوا فيه مقترحاتهم البعيدة المدى عن
الشرق الأوسط . لقد تنبأوا بالحرب في الحريف . أن وكالة
المخابرات المركزية الأمريكية وافقت على ذلك ، بالرغم من أن
تقديرها للسايح كان أكثر غموضاً

ويبدو أن أحد العوامل خلف هذه التقديرات . كان النقل
الاجمالي للتسلح الذي أصبح العرب - خصوصاً سوريا -
يحصلون عليه من روسيا . أن الشخصيات الروسية من بيانات
« ت - ٦٢ » التي مصر وسوريا في الربيع لم تكن تدعو للقلق .
ولكن في ٣ مايو قام الرئيس السوري حافظ الأسد برحلة إلى
موسكو استغرقت أربعة وعشرين ساعة . أنه عاد بوعد روسي
لإمداده بنظام كامل للدفاع الجوي بعيد مدى صواريخ سام ...
بالإضافة إلى أربعين طائرة « ميج ٢١ » أخرى . وبصفة عامة ..
مطبقاً للتقديرات الأمريكية . أن روسيا أعادت سوريا خلال
الصف الأول من سنة ١٩٧٢ بتسلحه تلح تيسرها ١٨٥ مليون
دولار - أي أكثر من قيمة الأسلحة التي حصلت عليها سوريا خلال
سنة ١٩٧٢ ببلغ خمسة وثلاثين مليون دولار .

وبما كان يتم إعادة تسليح سوريا .. استمرت المفاوضات
السياسية مع مصر حول الوصول إلى استراتيجية مشتركة .
وأخيراً ، في ١٢ يونيو .. وثناء اجتماعهم في دمشق ، استطاع
أنور السادات أن يضع حافظ الأسد بقول هدفه وتحديد أهداف
سوريا من الحرب .

وفي النهاية ، حدد صياغة التخطيط في القاهرة موعداً للحرب .
أن الساعة المحددة للهجوم كانت محل جدل مع سوريا حتى اليوم
الثاني من شهر أكتوبر - (حينما طار أحمد إسماعيل بسببه أني

سوريا لكي يحل المسألة) . ان الفريق احمد اسماعيل يشرح فيما بعد قائلا : « لأسباب عديدة ، أكثرها أهمية هو ان تكون الشمس في مواجحة العدو .. قل السوريون مضطربون ان تبدأ الحرب مع أول ضوء للمجر .. ولكن لأسباب عديدة أيضا ، ليس منطوق انجاء الشمس .. ولكن الحساسة الى اقامة الكلري وبحرك الديانات عبر القاء في ظلمة الليل - غائبا فغلبنا ان نعمل عند الغروب » . ان احمد اسماعيل - باعتباره القائد العام للجبهة - قدم الموعد الى وقت وسط ومشرق .. هو النقية بعد الظهر .

ان تاريخ المسألة من أكتوبر الذي تم فضله كان - من ناحية أخرى - قد تقرر بواسطة المصري في وقت مبكر من مراحل التخطيط . ويقول الفريق احمد اسماعيل ، « قل ان تبدأ الحرب بشهر كان هناك الاعصار العام .. من انه لابد ان يترك المؤتمرون وجهة نظر التعبير المبلى سنة ١٩٧٢ بعد وصول النابيد العربي والعمالي لنا في كل المجالات الى الفروء العلية . وتحديد أكثر ، غائبا كنا نحتاج الى ما يلي . أولا - ليلة قمرية يتصاعد فيها القمر معنا في السابعة العلية . ثانيا - ليلة يكون فيها بحر المياه بالثقة مائسا لعمليات الصور من محبة المرحه . ثالث - ليلة يكون معنا فيها بعيدا من توقعات العدو . رابعا - ليلة لا يكون فيها العدو منسحب مستعدا للميل . ان هذه الاعتبارات المحددة هي التي جعلتنا نحدد يوم ٦ أكتوبر . نحن هذا اليوم - كما قلنا الصلوات الفلكية - سوف يكون هناك ظهور مكرر لضوء القمر وانخفاض مبكرا له . ان علينا في الغروب المسلحة درسوا تقارير هيئة قناة السويس لسموات طويلة سبقت لكي يصبوا سرعة التيارات في كل يوم من أيام السنة ، وكل ٦ أكتوبر أكثرها مفاصلة . وبالإضافة ان فلك غنر الإسرائيلي لن يتوقعوا أي عمل من جانبنا خلال شهر رمضان . ومن جانبهم ، سوف يكونون

هم مشغولين بعدد من الأحداث .. من بينها الانتخابات العامة
الغربية . (ان احمد اساعيل لم يسلم لدا بهذه الحقيقة ..
ولكن من الواضح انه احمار يوم كيمور - اقدس يوم في السنة
اليهودية - وهو اسلم احتفال يخضع غرضه) .

وكانت هناك خاديه تاريخية اخرى ليوم ٦ أكتوبر بالنسبة
للغرب . انه في سنة ١٩٧٢ سوف يكون اليوم العاشر من شهر
رمضان . ولكن في ذلك اليوم سنة ٦٢٢ ميلادية ... بدأ النبي
محمد استعداداته لمعركة بدر ، التي اقيمت بعدها بمشرة أعوام الى
تحويله بكمه منتصرا .. ومنته في نشر الاسلام . ومن هنا كان احتفال
اسم « بدر » كسم رمزي للصليبة .

مع ذلك غابته بيما كان التخطيط العسكري يتقدم - قبل المفاوضات
كان مايرن عليه ان يسمع في الهدف الآخر لاسمرايحيته النسيجية
وهو ' اليهود الى الملك حسي . في هذا لم يكن سهلا . ان هناك
بعض الادلة على وجود محاولة منكورة لمفانحة حسي ، عن طريق
فصل ملك السعودية .. الذي كان هو الوسيط الرئيسي والسري
طوال كل المراحل - ولكن حسي رفضها . وفي يوم ١٢ مايو أرسل
حسي منكورة سريه الى صباط حيشه ، قال فيها ، « من الواضح
اليوم ان الدول العربية ستمد لحرب جديدة .. ان المعركة سوف
تكون قبل اوانها » .

ولكن السدات اتحد الضربة - ان القبة الاسرائيلية لحرب
يقم شها سد اسرائيل من ثلاث جهات تستحق ان يجرب . لقد
كانت الأرض بمسطحه لاستشابه العلاقات الدبلوماسية . ومرة
اخرى ، كان موقف الملك فيصل دقيقا .. ففي ٢٨ يوليو ، ذهب
رئيس الوزراء الأردني للنبحث معه لمدة ١٢ ساعة . ثم حدث في
٦ أغسطس بيما كل الشافلي رئيس اركان الحرب المصري في
دمشق يهذب تنكيكات الحرب مع سوريا - ان وصل بمعوث من

السداد الى العاصمة الأردنية وعانها بعدها بأربعة أيام . في
صحبة عبد النعم الرماحي معوث الملك حسين . لرؤية الرئيس
السوري حافظ الأسد في دمشق .

ان الطريق أصبح ممهدا الآن للوصول الى احتياق قبة .
والآن ايضا ، أصبح ممكنا ان تبدأ محادثات عسكرية مع الأردن .
وهكذا ، وصل وزير الدفاع السوري مصطفى طلاس الى عمان
في ٢٩ أغسطس .

وحيثما طار الملك حسين والرئيس حافظ الأسد الى القاهرة في
العاشر من سبتمبر لغت اجتماع قبة مع الرئيس السادات . .
يمكن القول على معظم الاختلافات الدبلوماسية والعسكرية . لقد
أهينت الأردن الى التحالف . . ووافقت سوريا على أهداف محددة
للحرب . وفي مقابل ذلك ، وعد السادات بالأسراع في الإعداد
للحرب . انه كفى يستطيع اطفاء هذا الوعد فقط لأنه قام بترميم
العلاقات مع روسيا . ما اعتبره من شهر أبريل ، كلى الإدارة
المصرية يقررون مرة أخرى متى روسيا استأنفت بناء القوات
السلحة المصرية . ان مصر ، مثل سوريا ، بدأت تحصل على
الذخائر والمصارح والطائرات ومعدات روسية للعبور ، ومن
سيمين الى ثمانين غيا لقواتها . .

ان الهدف الأساسي للحرب ، مد التحقيق عليه من اجتماع
قبة القاهرة ، كلى حلا مهادنا للمواجهة مع إسرائيل التي استمرت
حيثا وعشرين سنة ، ان هذا يمكن تحقيقه بآثار أزمة مجدد
القوتن الأعظم مسيها خلالها مضطربين الى التورط . . وبعدها
التيك من جعلها يارسال الضغط على إسرائيل للحصول على
تقارلات منها . لهذا المسبب ، فسيما العملية العسكرية مسيبت
بدر ، فإن السادات أعطى لإسرائيليته السيسية الأكثر شهولا . .
اسما رمزيا هو « عملية الشارة » . .

ومن الناحية العسكرية ، كانت الاهداف هي استعادة الاراضي
المصرية والسورية والأردنية التي احتلها اسرائيل . مع ذلك ،
حتى هذا يجب ان يتم تحقيقه على مرحلتين . فمهما يكن ان تكون
سوريا قادرة على استعادة خسارتها المحدودة في الحولان . لم
تكن لدى السادات أية تركب حشده ببنكك من الجانب في سيناء .
ان مهمه جسي هي ان يرفض مجرد تنفيذ خطة ثالثة مع
اسرائيل . ومن ثم يضطر بعض القوات الاسرائيلية الى المراقبة
على حدوده . . . وأيضاً يمنع أي احتمال لنشر هزيمة اسرائيل
في جنوب سوريا عبر الأردن . ان بقى سيناء والصفحة الغربية
للأردن سوف تسي ككنازلات من اسرائيل . . وهكذا . . اذا نجحت
« عملية الشراة » . . . يتم حل المشكلة .

ان الاستراتيجية العسكرية التي تمت الموافقة عليها كانت بسيطة
للحماية . . ان اسرائيل سوف تتعرض الى حرب استنزاف بأسلوب
« مغرمة اللحم » . واداً مثلت القوات الأعظم . فالعرب سوف
يستفرون لاسباب . بل ولشهور . الى ان تضطر اسرائيل الى
التصويه . . عن طريق مهاكها بالحسائر في الامداد والأرواح .

ومع ذلك فمقدر معلوماتنا ، فقد انتهى اجتماع القمة في
١٢ سبتمبر . . لربما القرار النهائي الخاص بالذهاب الى الحرب
. للرئيس السادات . ومن المؤكد أنه في هذه المرحلة لم يتم اخبار
الأسد وحسين بالتاريخ المحدد لبدء الهجوم . . وطبقاً لنصيرحت
أحمد أسباعيل وزير الخارجية المصري ، قل معرفه هذا السر كانت
محصورة في السادات وضابط لركال حربه . وكان السادات مفضل
يريد ان يترك اختصاراته النهائية مفتوحة .

وفي اليوم التالي . . قلعت اسرائيل مشوية المسألة .

ان مثله ما اذا كتبت اسرائيل قد قصدت ان تدخل في حرب
مع سوريا . . هي شيء غير واضح . ان رئيس هيئة لركال الحرب

الاسرائيلي امر مبدا بعد على ان المعركة « لم يكن نحن المادتين
بها » . وربما يكون هذا صحيحا . ولكن .. ماذا كانت تفعل
اربع طائرات اسرائيلية متقلبة ، وهي تستطيع عبر البحر الاسف
بالقرب من — ان لم يكن في داخل — المحار الحوى السوري ؟ ان
اسرائيل قالت انها كانت دورية روميه . ومن ناحية اخرى ،
كانت هذه جيلة لها اليها السلاح الجوى الاسرائيلي من قبل كثيرا .

ان ما حدث هو ان قوة من طائرات الميخ السورية هت لكى
تعرض الطائرات الاسرائيلية . ان ما حدث بعد ذلك هو محل
للحلل مرة اخرى لقد ادعت اسرائيل انه كل عليها ان ترسل
تمزيقات . ولكن تقارير اخرى تؤكد بان التمزيقات كانت تنظر فعلا
— في كمين حوى — بحفنة فوق المسحب . ان كل ما هو مؤكد ..
هو انه في الانسك الجوى الناتج من ذلك . اسقطت شاس طائرات
سورية ، ومن المحتمل انها ١٢ ، مقابل طائرة اسرائيلية واحدة .

واذا كانت تلك « لحظة قسى » اسرائيلية .. او لحظة فراغ
يتسلى فيها الاسرائيليون — لحرد تفكير العرب بالقوة الاسرائيلية
في اعتاب اجتماع القاهرة .. فان قوبها كـ محبا .. لا مسائر
مسترة في القاهرة ندعى انه بعد هذه المعركة طلب الرئيس حافظ
الاسد الرئيس السادات تليفونا لكى يحبه على ان اليرتد قد حل
للعمل . ان السادات وافق على ذلك .. واعطى الامر بتنشيط
« عملية بدر » .

من تلك اللحظة . بدأ العد التنازلى نحو الحرب .

وحينما بدأ حشد المعدات والأسلحة البحرية في الاسبوع الاخر
من شهر سبتمبر .. لم يرجع من الاسرائيليين سوى عدد قليل .
قليلة عشر سوات سابقة — فيما عدا سنة ١٩٦٧ . حيث كل

القتال دائراً - كان الجيش المصري يقوم بمداوراته السنوية كل صيف . ومن الصحيح والثابت أنه خلال السنين أو السنوات الثلاث السابقة .. كانت المداورات والتدريبات الأجرى ينفذ عليها التركيز على القناصين . ولكن القادة الاسرائيليين رمضوا ادراك معنى التدريبات والتحصينات والمقارنات الحثيثة - التي اتبناها المصريون طوال الأشهر التسعة السابقة - أنها جميعها لمجرد تصييع وقت الجنود المصريين وشغلهم - هكذا قال الاسرائيليون .

ولكن ، في حوالي ٢٤ سبتمبر ، بدرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن هذه هي أول تدريبات يقوم فيها الجيش المصري بالمداورة في تشكيلات كبيرة بحجم فرقة كاملة - أنهم أيضاً - المصريون - يخرطون دهمه أكثر من ذي قبل . ويضعون أكبر وأطول خطوط امداد سويين تمت رؤيتها . والأكثر إثارة للقلق بين هذا كله . هو أنهم يقيمون جهاز مواصلات جديدة أكثر تعقيداً مما تحتاجه أو تبرره مجرد تدريبات . (لن أختار هذه الشبهة من الاتصالات قد تم التماسه بواسطة جهاز التحسس الإلكتروني الأمريكي وكالة الامن القومي .. لدى بنصب في قاعدة سرية للحماية في جنوب ابرار على اتصالات الراديو السيمية والعسكرية في منطقة الشرق الأوسط) .

وبمجرد أن علمت أمريكا بذلك ، تم تعذيب اسرائيل . وبالتحديد - كما ندمي مصائر المحابر الأمريكية في واشنطن الآن - من الاسرائيليين سالوا الاسرائيليين « على مستوى عال جداً » عما إذا لم تكن هذه علامة على استعدادات عرسه هجومية متوقعة - من طريق رجال محاربات على الأقل - منذ الربيع ؟

ان اسرائيل رفضت هذه المحاول .

وبالمضغ ، كما حسب مخطط الحرب المصريون ، من الاسرائيليين لمسيوا بالاحيرة . لن الصدى الاسرائيلي العادي

كان اقتراح (هشام) بالحرب .. منه بداية موسم مباريات الكرة في شهر أكتوبر . وبالفكرة للسياسيين في الخمس ، في سواحتهم للانتخابات في شهر أكتوبر ، قبل المعركة الأكثر الحاحا كانت تلك المتعلقة بالمشورات المتخصصة . وعوق هذا كله .. واجهت الحكومة مشاكل خطيرة محليا ودوليا .. ففى نيويورك بدأت لتوها دورة جديدة للجمعية العامة في الأمم المتحدة . ولقد كتب إسرائيل رسالة بالممثل الى أن وزير الخارجية الأمريكي هري كيسنجر قد اقترح استخدام هذه الدورة من أجل تحقيق تقدم نحو تسوية في الشرق الأوسط .

وكان الأشد أثرا من هذا .. هو أن حافضة إسرائيل بدأت تتراجع .. حتى بين يهود العالم . أن هجرة اليهود العربيين كانت لا شيء تقريبا . وأصبحت إسرائيل معقدة — مبدا يطبق بالمهاجرين البيض — على تخلق يهود روسيا . وفي نفس الوقت .. فأنه هنى المساعدات المالية من اليهود العربيين كانت تحقق أيرادا أقل وأقل من الأرقام المسندة شهريا . لقد كان هذا وقفا سينا ، وحسب مع وجود كل هذا في الحسنى .. على حقيقة إسرائيل فيما يأتى من أحداث .. كل شيئا يصعب تفسيره .

وينتو أن التحركات السورية الأولى بدأت في حوالي ٢٤ سبتمبر ، أيضا . لم يكن هناك امتناع تراسى الى الحصة .. بل حرك يتم بثبات ونظام . أن الدبابات والمتفجرات بدأت في التجمع حول الخطوط المثلثة للدفاع السوري التي ست أقامها في السهول المحصورة بين الجولان ودمشق . أن أحد العناصر الكليته وراء ذلك السببه الأمريكي الاول لإسرائيل .. كان هو الاهتمام بقتل أن مفورات السويس مع ما تدمى مصادر واتسطن أنها قد رانه ماعساره . « شيئا ما » . بنير الملك بفرجة خطيرة .. حول طبيعة إعادة انتشار القوات السورية .

بعدها بيومين . كل موسى دابيل وزير الدفاع الاسرائيلي . هو
أول من أقربين في الأمر ماثير الاهتمام . متى ٢٦ سبتمبر تمهوشى
دابيل بمقد القوات الامرائيلية في الحولان ضمن حولته السبويه في
اليوم السابق على نذايه السسه اليهوديه الحديده . أنه أحرهم
بان . على طول الحدود السوريه برابط بنات من الدبابات والمدافع
السوريه داخل مطلق قمعل . وايضا تمكه مصاده للطائرات . .
بكتامه مثابه لما فعله المصريون على امتداد قناة السويس .
ان دابيل قد أصبح الآن ، ومشل سري عالما ، قلعا بما يكفي
لا يفعل شيئين .

على نفس ذلك اليوم . قام بوضع الحبش في حبله ساهب على كبا
الجيتهين . وفي وقت ما خلال أيام العطلة الثلاثه . غانه قام
بتمهير اللواء المدرع في الحولان بقوات أخرى . . على رأسها واحد
من أحسن ألوية الحبش الاسرائيلي . . وهو اللواء السابع المدرع .
وبالسسه للقرارات الاسرائيليه المطلقه بالحرب . ربما يكون هذا
أكثر الحركات الاسرائيليه حسبا وفقه . سمير الاعمال البارعه
للواء السابع . . كان من المؤكد ان يهزم اسرائيل المعركه في
الحولان ومع ذلك في هذا العمل لم يعمر اعلان عنه على الإطلاق .

ولقد كانت المسأله تدعو وكئن اسرائيل تمنع بعيدا بإنشاء لا ترغب
فيها . ان تحرير دابيل من الضمود السوريه لم يحظ باهتمام
إخباري مبالغ . (لم تكن هناك محث في الأيام الثلاثه ٢٧ و ٢٨ و ٢٩
سبتمبر) . وحيثما تدفقت أنباء الطوارئ بعد العطلة . . فإنها
عولجت بلطف باعتبارها « تمريضا قداميا خلال موسم الأعياد
الاسرائيليه » . . مع تأكيدات اسبقية بان السماح للسياح بال
مستمر في الجولان .

وفي هذه النقطه ، لم يذكر لحد أنه في اليوم التالي لزيارة دابيل
للجولان ٢٧ سبتمبر — أطلق الأمريكيون من تاعدتهم الحويه في

« فاندسرج » كالبمورسيا تمرا صناعيا لجميع المعلومات والاستكشاف من طرار « سلوسى » .. فى مدار يقع فوق الشرق الأوسط . ان هذا يوضح أن المحابر الأمريكية قد رأت فى الامر كله ما يستدعى المراقبة .

والى اليوم التالي — كلى الساعات هو معه من الطبية بحيث انه حذر اسرائيل . ان ٢٨ سبتمبر كل هو الذكرى الثالثة لوعاة عبد الناصر . ان حديث الساعات فى هذه الذكرى انتهى بفقره غريبة ومهذبة . انه قال « ايها الاخوة والاحوات .. هناك موضوع ربما تلاحظون اننى لم اناكلم فيه .. وهو موضوع المعركة . ولقد تمتعت بذلك قصدا . قد شعبا كلاما . لريد ان اتول شيئا واحدا . نحن معروف هدفا . ونحن مصممون على بلوغه . وليست هناك جهود لا سئلها أو نضحيات لا تقدمها لتضيق هدفا . لن اعد شيء ولن اناحل فى تضاعف أى شيء . ولكنى اقول منط ان تحرير الارض كما قلت لحضراتكم هو المهمة الاولى الرئيسية اساسا — وبمعون الله سوف نجريها وسوف نحققها وسوف نصل اليها — هذه ارادة شعبا وهذه ارادة امتنا . بل هى ارادة الله » .

ان ما حدث بعد ذلك رأى — ربما — هزيمة من سوء الخط . فعلى نفس هذا اليوم — قام رحلان عربيان مسلحان عرما متسبها باعتشارهما مجرد « سور الثورة الفلسطينية » .. بالاستيلاء على الحدود الشمالية على مطار يصل يهودا روبا من موسكو الى فيينا . لقد احدا خمسة يهود وموظف حوازات مساوى كرهائن .. وطلبنا ان تقوم النبا ماغلاق مركز ترانزيت فى فيينا يسمى « قلعة شومو » .. كل يسمخه اليهود الروس فى طريقهم الى اسرائيل . ان مستشار النبا « مرومو كيرسكى » .. وهو نفسه يهودى .. وافق على الطلب .. ومرك المربين احرارا . ان اسرائيل شعرت بالحق الشديد من هذا العمل .

هل كلنى هذا .. كما يشك بعض الاسرائيليين الآن — هو سرية
 صآره للتبويه ؟ ان الرططين المسلحين كتما متمسكى الى منظمة
 مططبيةه شسمى « الصاعقة » .. فاعنتها فى سوريا .. وتشرف
 عليها السلطات السورية .. الى درجة انه حتى ضابط الجيش
 السوري اعضاء فيها .. وقتل اسبوع واحد من حادثة « شوبو » ..
 قام قائد « الصاعقة » .. رهبر محسن .. باستنكر هذه الاعمال
 باعذارها « اميالا جسيائية لا يحتاج الى شجاعة حاصه .. وبم
 تنفبدها سعبا وراء الصيت والشهره » ..

ماذا .. او من .. غير بمكير رهبر محسن ؟ ان احمد اسماعيل ورهر
 الحربيه المصريه كن ملانكيد محورا — « حطنه الحداعية » التى تم
 وضعها — كما قال هو نيبا سعد — بهدف ان تؤدى الى « تشنيت
 الانبياء عبا سوى فعلا ان يقوم به » ..

واذا كان هذا سوبها .. على غارة « شونو » تكون قد نهحت
 للعباه .. وليس من المألعه ان يقول انه ابتداء من تلك اليوم ..
 وحتى اليوم المسببى على الحرب بفسها .. كانت « مبلبة شومو »
 هى الشئ المسلط على تقدير اسرائيل .. والاكثر هطوره .. هو ان
 الحكومه الاسرائيليه وقيادات محارباتها وجيشها .. كانوا بشموليين
 بهذا الحادث بدرجة مضلومه

ولقد كان هذا الوضع ببطل كارثة .. فى ٢٠ سبتمبر اصبحت
 الحكومه الأمريكيه — فى الشكل الواضح لورير الجارحية كيسنجر —
 اصحت بمسبه بالحثود العربيه .. ولكن المخابرات الامريكيه كانت
 متأثرة ماما .. وللعلمه « بأراء المخابرات الاسرائيليه » ..

واتناء تلك التقدم نحو الحرب .. فلن كفاءه المخابرات الاسرائيليه
 والامريكيه .. تتضح فدنها مالمسه لآى تقدير لاستحداث حكرهتيهما ..
 ان كيسنجر ورير الجارحية الأمريكى يزعم قائلا : « لقد سألنا

مخابراتنا . وكذلك المخابرات الإسرائيلية .. في ثلاث جلسات
مستملة خلال الأسبوع السابق لنشوب الأعمال العدوانية .. من
أجل أن تعطيا تقديرها لما يمكن أن يحدث . ولقد كل هناك الرأي
الاجماعى من أن الأعمال العدوانية هي غير محتلة الموضوع ..
الى درجة أنه لا توجد فرصة لحدوثها » .
ان الحقيقة كانت أكثر تمقيدا من ذلك .. بكثير .

فمن الماحية الفبية ، كتبت المخابرات مملز » . ملكى سحر من
الاستعدادات المصرية ، مثلا ، على إسرائيل ملك أخبرنا الأمريكة
الخاصة بها فى سياء . وادا كتبت سماعات صواريخ « سام » قد
بقرت متفجرة إسرائيل على القيام بطلعات جوية للاستكشاف والصوبير
المونومراق .. قلن القبر الصناعى الأمريكى « ساموس » .. بدأ
يسد هذه الفجوة مع نهاية شهر سبتمبر .

ان كيسر فكر بئنه « لا أحد ارتكب ليه أخطاء تتعلق بالحقائق » .
ولكن ، كما قال كيسنجر أيضا « ان معرفة الحقائق سهل من معرفة
النوايا » .. لقد كلن القشل الإسرائيلى هو فى الشؤ - والنكس -
بالاستراتيجية العربية . هذا هو الشيء الذى تم انكاره . ان أحد
السلط الإسرائيليين البارزين ، وهو حليم ملريف الرئيس السابق
لأركان الحرب ووزير التعلز عند مشوب الحرب ومصمم خط بارليف
- قد ادعى أنه لم يكن يوجد « أى نقص فى المعرفة » بالفسة للنوايا
العربية . ولكن ضابطا كبيرا فى المخابرات الإسرائيلية أجريا بان
كل ما توصلت اليه إسرائيل كل هو ان هجومنا عربيا يحصل ان
يكون « وشيك الوقوع » .

وفى المعلومات التى أعطتها إسرائيل للبراسلى الاحاتب لمعلوماتهم
الخاصة وليس للنشر - خلال الأيام العشرة السلسة على الحرب -
على كبار الشخصيات السياسية فى إسرائيل لكنوا اعتقادهم بان

الزعماء العرب ليسوا جسيمين للحرب . ان العرب ربما لا يخطئون
التقدير « ويشسبون هجوما . ولكن .. اذا حدث ذلك .. فان
هزبتهم هي امر لاشك فيه . بل ان احد تلك السلطات استخلص
في ثقة معرطة ان « اسرائيل ليست مهمة بالحرب — وبالتالي
.. فان العرب لن يكونوا مهتمين هم ايضا بالحرب ! » .

وبشكل ما .. توصلت المخابرات الأمريكية — عن طريق وسيلة
تجريبية — الى نفس الاستنتاج .

ففي ٣٠ سبتمبر — وساء على طلب كيمسجر وزير الخارجية ،
ارسلت وكالة المخابرات المركزية . وكذلك مكتب المخابرات
والبحوث بورارة الخارجية . ارسلوا اليه تقاريرهم عن الاستعدادات
العربية . ان كليهما لم يكن مرحا كما يرسم كيمسجر . ان تقدير مكتب
مخابرات وزارة الخارجية قال ان الحشود العربية « غير قاطعة » ،
ولكن ، بعد ان قام المكتب بتحليل الصورة السياسية ، فانه لم
يكن متفائلا الى درجة استبعاد مشوب الحرب .. ثم استخلص ان
من المشكوك فيه ان تبدأ حرب قريبا .

ولقد كلى تقدير وكالة المخابرات الأمريكية هو نفس الشيء .
انها قدرت ان الاستعداد العر مي محيل « نفرا متشائمة » . ولكن
الثقة الاسرائيلية من النوايا العربية كانت تتم رؤيتها باعتبارها الشيء
المؤكد ان مكتب مخابرات وزارة الخارجية كان هو الآخر متفائلا راء
المخابرات الاسرائيلية . ولقد قال لنا احد المسؤولين فيه . « ان
سلطانا كانت هي قبول التاكيدات المتكررة من الاسرائيليين حول
النوايا العربية » . ولكن المكتب — في حكمة على النوايا العربية
— كان يعظر ايضا الى الأمم المتحدة .. حيث بدأت لتوها دورة
جديدة في اجتماعات الجمعية العامة . ان الشيء الذي يدعو الى
السمحية ، هو أنه بينما كان كيمسجر وزير للخارجية الأمريكية برن

هذه التقرير غير المؤكدة من المخبرات .. قلته هو الآخر . كان
جائرا بنفس الأحداث في نيويورك .

ان كسمنجر أعلن لوراء خالجية الدول العربية واسرائيل
المتجمعين في القاهرة - بشاعر رجل على وشك قبول حائز نوبل
للسلام - أعلن ان أمريكا هي الآن متحمسة للمساعدة في تحقيق
« تقدم حقيقي » نحو تسوية النزاع في الشرق الأوسط . وعندما دعا
المبعوثين العرب الى العداء يوم ٢٥ سبتمبر .. اعترض هذا سبناة
« الحركة الدبلوماسية الأولى من جانب » . (في الواقع .. أنه كان قد
مارس ضغطا على اسرائيل مملا ، . و ان المحادثات الخاصة لى
جرت في نيويورك في أواخر سبتمبر .. كس كسمنجر قد حقق نوعين
من النجاح . ان مصرا رسميا كبرا في الأمم المتحدة - وكان مطلعا
على تلك المحادثات - قال لنا « ان العرب بدوا أكثر تراجيا وتقه
بالنفس من أى وقت مضى ريفيسم فيه » . ان وزير الخارجية
الاسرائيلي ووراء الخالجية العرب اتفقوا سرا على أنهم سيقوم
بمقابلين في وقت ما من شهر نوفمبر تحت رعاية كسمنجر .
التاريخ سوف يتم تحجيد بعد الانتخابات الإسرائيلية .. وسوف
يكون الهدف هو التوصل الى « مجموعة احراءات » تؤدي الى
مفاوضات رسمية .

لقد تعرضت تحليلات المخبرات للخداع . ولكن احد رجال المخبرات
في واشنطن قال لنا : « ان اهتمام العرب بالدبلوماسية بدأ صحيحا
بحيث انه بالرغم من وجود خطة عديدة على التمركت العسكرية ..
لنا تعرضنا للتقليل . لقد كانت لدينا العناصر الصحيحة ..
ولكننا لم نرى أولوياتها بطريقة صحيحة » .

ان كسمنجر ايضا ، بعد ان قرا تقديرات المخبرات - اعتقد ان
العرب سوف يعطون الفرصة لطراز من الدبلوماسية . وما دامت

نوايا الرئيس السادات كانت دائما مصبداً على مبادرات عسكرية
سريّة من وراء المبادرات السياسية .. قريبا كان لقوى اتصال
ديسبر من اتصالاته المريبة .. هو الذي تم مع وزير الخارجية
المصري محمد حسن الريات .. حيث كان مظهرها ليس أي تحقيق
تقدم في الدققة الأخيرة .. لأنه يعرف كم سيكون الناس بالقلم ..
إذا فشل ذلك .

في ذلك اليوم - ٢٠ سبتمبر - وبينما المخابرات الأمريكية قد
مرت في ضجر أن الحرب غير محتثة الوقوع .. أرسل أحمد
إسماعيل وزير الخارجية المصرية إشعاره تنبيه إلى قريته السوري
النواء مصطفى طلاس . أن السوريين لم يتم إخبارهم بعد بتاريخ يوم
الهجوم . ولكن أحمد إسماعيل أخبر طلاس الآن بأن الهجوم محتمل
الوقوع في أي وقت . أن المد السوري الأخير سوف يبدأ عند إعطاء
كلمة رسمية واحدة هي « عذر » .

وفي الساعات المكونة من يوم الاثنين أول أكتوبر ، بدأت العمليات
والخفية السورية في التحرك ليلاً من مواقعها الخفية .. لكي
تنتشر في مواقعها على الحدود الإسرائيلية . أن الصواريخ المحصنة
لصايفها قامت قد أصبحت موجودة في أبنائها بالنقل ، وهي
الصواريخ التي تبته دايماً عليها والتي - هكذا تدرجت إسرائيل الآن
- كانت متصلة بنظام مبيع للدفاع الجوي بطول حصة الحول .

وبالمسألة لنقط المراتبة في المواقع المحصنة لمط بارلس . فانهم
تنبهوا فجأة للنشاط المتزايد خلف الحصون الوطنية المرتفعة على
الشلاليء المصري . وفي يوم أول أكتوبر شوهدت طائرة من طائرات
الصواريخ وهي تدخل إلى مخبئه الإسماعيلية . وفي وقت ما . تم
سباع صبيح طابور مدرع . أن مجموعة من النشيط المصريين
تاجت بالقرب من حافة المياه ، وشوهد صاحب مصري برتبة «عبد»

وهو يقوم بفحص طويل للمشهد .. من خلال المناظر المكررة ومركز
مصرى للمراقبة .

وفي الأيام التالية وصل تمريق من المنسلفين المصريين ، لكي يقوم
بررع اعمده في الأرض قرب حافة الماء .. بينما قام عدد من عربات
شق الطريق بتمهيد الأرض . ولكن لا شيء من هذا خلق شعورا
بالفحاه . غص كل مكلي آخر على امتداد الشاطئ .. كان المصريون
حريصين على الاحتفاظ بمظاهر تؤكد ان كل شيء يسير بطريقة
عادية . ان جنودا غير مسلحين جلسوا .. كما هو معتاد .. على
الشاطئ .. بالقدم مدلا في المياه الفارده . ان المراكاتورات
استمرت في عملها المظلي لتكديس السدود الرملية . والحياض
المنظم يظهر كل يوم وهو يروي حدائق الفيللات المهجورة في ضاحية
الاسماعيليه .

لقد كان هذا هو يوم ٥ ي ٤ - يوم العرو - باتص خمسة .
ان اسرائيل كانت غير قلقة لو منزعجه . فمن المركز الاسرائيلي
للمراقبة على قمة جبل هرمون - الذي يبلغ ارتفاعه سبعة آلاف
قدم - كان الجنود الاسرائيليون يستطيحون ان ينشقوا النظر شرقا
الى مساهمه تصل حتى دمشق . ويضطروا اسفل واسفل الى المدفعية
السورية التي نهشت في غير سرعه على امتداد السهل الصحري
المبسط اسفل عيونهم . ان السوريين استحلوا بكاء شدد هذه
الحقيقة : ان تمنعهم كانت تتم في تشكيلات دفاعية . ان الدبابات
السورية اتمت مواقعها في خنادق .. وهو الشيء الذي منمقاومة
هجوم .. وليس لشيء هجوم . في مدفعيتهم المتوسطة تم وضعها
في الخلف لكي تغطي الأراضي السورية وليس الاسرائيلية .

بل ان بعض الوحدات التي كانت سوريا قد وضعتها في مترو
مراقبة على الحدود الأردنية قد تحركت الى الجسولان . ان هذا

« التدعيم في الموات » كما أسميته محاضر اسرائيلية علمية . كان
محدد اعلاى للنوايا الطيبة نحو الاربعين في أعقاب التقلب الذي
بين البلدين . ان احدا من الاسرائيليين لم يفوق ابدا « مسطرة »
سورية .

وفي اليوم التالي - ٢ اكتوبر . او يوم « ي » ملخص ١ - ما
سوريا قامت باستدعاء الاحباطى . وخلال الاربع والعشرين ساعة
الليلة ، رأى مراقبو الأمم المتحدة في سلطة قناة السويس ضابطا
مصريين على الشاطئ . . يوجهون العمليات لرجالهم . الى صدر
الامر . خلال كل مستويات القوات المسلحة - من قائد الجيش
الى قادة الفرق الى قادة الألوية ، واحدا الى الوحدات لمقاتله .
لقد تقرر القيام بعملية بدر .

وكان هذا هو يوم « ي » يوم الهجوم - ملخص ٢ .

في يوم الأربعاء هذا - ٢ اكتوبر - عقد مجلس الوزراء الاسرائيلي
اجتماعه الوحيد في الاسبوع السابق على « يوم كيبور » كان
الاجتماع مخصصا لمبحث مسأله « شومو » . ان مسر مائير رئيسه
الوزراء قد عادت لقوها من ستراسبورج - حيث مرتت هطبه كانت
تموي ان تلقها امام المجلس الاوربي حول النزاع الاسرائيلي مع
العرب . . وبدلا من ذلك تحدثت ارتحاليا لمدة ساعتين ونصف ساعة
من جاذبه « شومو » . بعدها عادت الى اسرائيل عن طريق دبي . في
محاولة عقيم لاتباع المستشار كيرسكى متمير موقفه . ان على
الحكومة الاسرائيلية ان تقرر الآن ماذا يجب عليها ان تفعله . ان
الاشارات المبدرة بالويل للحشود العربية لم يتم تكرارها في الاجتماع
مطلقا . لقد كانت معروفة فقط لعدد محدود من رملاء مسر مائير
المقربين للمخية .



في القاهرة ، بتلسيق ملائم . عقد مجلس الوزراء المصري أيضا اجتماعه الوحيد خلال الأسبوع .. يوم الأربعاء - مناقشة حميدة للمشروع المقترح بالوحدة الانضامية بمصر وليبيا . وفي مصر أيضا لم يعرف أعضاء مجلس الوزراء بالاحترار العسكري الخطيرة . في الواقع .. أصبح من الواضح الآن ملما لتغيبا عدا صباط التخطيط ورؤساء أركان الحرب ووزراء الدفاع في مصر وسوريا .. وربما الأردن - قل ما لا يريد عن سعة مغط ، هم الذين كانوا يعرفون الحطة .. على امتداد العالم العربي كله . ان القائمة ربما تكون هكذا : السادات .. الأسد . حسبي .. الرئيس الجزائري بومدين . فيصل ملك السعودية . ان الأخير مع اخذ في زيارة سرية قام بها السادات .

ان السرية ضرورية للعلية .. بتقدر ماكل التدريب على الهجوم مهما . ان قائد سلاح المهندسين المصري ، العميد علي محمود ، كتب ، فيما بعد عن ان رحاله قد قاموا بثلاثيته هجوم تدريسي على نموذج متنق لحط بلوليف . ويضيف الفريق أحمد اسماعيل وريب العربية . « كانت هناك تيارات مياه في الأرض الى اسمحلتها والى التدريب . لها نفس قوة تيارات المياه في قناة السويس » ، انهم حتى تدربوا على العبور على قناة السويس نفسها - عند البلاح شمال الاسماعيلية .. حيث تنفرق للقناة لمسافة اجمال قليلة الى قرائن ، وكانت مصر ما تزال تسيطر على كلا الشاطئين للقناة العربية .

والاكثر حقة من هذا كله كانت استراتيجية مصر الداعية . ان أحمد اسماعيل قال فيما بعد ، في كل حرب هناك حططن .. احداها حطة للعمليات .. وخطة اخرى للدعاع . واعتقد أننا نحنا .. نلتد وضعنا خطة الدعاع على المستوى الاستراتيجي والتسوي .. ووضعت لها توقيتات وجداول سارت حنا الى جنب مع حطة العمليات وتوقيتاتها وجداولها .

أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ربما تكون قد وجدت
التدريسات فاطمة مفرخة أكثر . مثلا . . هل علموا أن أحمد
إسماعيل كان يرسل لواء كليليا في الصباح . . ولا بعيد منه سوى
حراء مصر . . حولي ثلث الحدود . في الليل . . لكن يسطى
انطباعا بأن القوة كانت في مهمة تدريبية وقد عانت بعد أن استنها .
في الحقيقة . . أن ثلثي القوة في كل مرة كلب يبقى في ميدان القتال .

ويقول الفريق أحمد إسماعيل : « أبنى قررت أيضا تأخير إرسال
معدات المصور إلى أقصى حد ممكن . منذ كان مؤكدا أن خروج
هذه المعدات من معازمها ككبل مقبضه العدو إلى يوانينا ولقد صمما
لبعض هذه المعدات صابون خاصة لا يشمعه أحد أن اللواري
المحمية التي تحملها هي لواري مهندسين . سم ربما لهذه المعدات
عنرا على جتوب القماء سرت إليها نور وصوتها في الليل .
وبالإضافة إلى هذا كله . . نشرت صحيفة « الإهرام » القاهرة
هيرا يقول أن ضبط الجيش يستطيع الحصول على أحازات
للثيلم بإداة الحيرة .

ولكن أكثر عمل فعال قام به المصريون للتمويه كان - مثل
السوريين - ضربة حكيمة للتسليل . عند ذل المصريون لأعضاء
السلوك السيلسي الأحسن في القاهرة أن مصر مسعد عند ضربة
إسرائيلية متوقعة . . انتقلنا لحادث « ضومو » .

أن هذا لم يكن بعيدا عن الصواب تماما . بل أنه ربما كان
صحيح بالفعل . أن لفيما معلومات تقول أنه قبل أن يبدأ الحرب
باربعة أيام فقط ، كان دافيد اليغاز رئيس أركان الحرب الإسرائيلي
يحطط للتلثم يمثل هذه المرة الانتقامية .

في يوم الثلاثاء ٤ أكتوبر - يوم « ي » ناقص اثنين - حصلت وكالة المخابرات الأمريكية على فرصتها الأخيرة . أن مجلسها الرئيسي الذي يسمى « مجلس مخابرات الولايات المتحدة » . اجتمع إلى الحبوب من واشنطن في مقر وكالة المخابرات المركزية في « لانجلي » بفرجينيا . . لكن يناقش مؤالا واحدا . هن ستقوى هناك حرب أمد تقارير ٢٠ سبتمبر كل كيسنجر وزير الخارجية يسأل مكتب محاسرات وزارة الخارجية يوميا حول نقاط محددة . أن المكتب كان يقوم يوميا بالمراسلة معلومات وساريز يوجه الى جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الذي يتحمل مسئولية دائه من الشرق الأوسط . وفي صباح الخميس طلب كيسنجر من المكتب تقريرا جديدا شاملا عن تقديراته الكلية

ولكن ، بينما كانت وكالات المخابرات مرمجة وقلقه في احصاء مجلس المحاسرات ، غنى المخابرات الاسرائيلية كانت متراثة بقطعة بقراتها للنوايا لاهربية . ومصرف النظر عن التقدير المربع الذي تنظر به واشنطن الى المحاسرات الاسرائيلية - ما مجلس مخابرات الولايات المتحدة قرر في اجتماعه انه ما دام الاسرائيليون هم - في النهاية - الذين سيواجهون أقصى العقوبات في حالة فشلهم - على آراءهم لاند أن يكون لها وزن خلص .

لقد كان من الواضح أن الاستعدادات العربية المتصاعدة هي الموضوع الرئيسي . ولكن ، من المهم هنا أن المصوبة الأكثر قربا من الاسرائيليين . . وهي وكالة مخابرات وزارة الدفاع الأمريكية « الينفاجون » - ماثالت تجادل حتى في الطبيعة النهجيدية لتلك الاستعدادات . (من وقتها . . تم قتل المسئولين الثلاثة السكر في الشرق الأوسط بالوكالة) . وفي وقت لاحق من مساء نفس اليوم ، أرسل مكتب مخابرات وأبحاث الخارجية تقريرا الى كيسنجر يقول

فيه أن الرأي الجماهيري لأجهزة المحطات كلها .. هو أنه ليس من المحتمل وقوع حرب وشيكة .

ومع مراعاة فرق التوقيت بين واشنطن والشرق الأوسط — الذي يبلغ ست ساعات — فإن التأكيدات الأخيرة من مجلس المحادثات مع شليسيما إلى كيمسفر في نفس اللحظة تقريبا التي ينتهي فيها يوم الخميس وبدأ يوم الجمعة في الشرق الأوسط .. حيث أصبح ثابعا بصورة أكبر أن الحرب أصبحت وشيكة . وفي يوم الخميس ، في وقت متأخر من الليل .. تم سد منافذ الطرق حول المصاحبة العميلة « الزملاك » .. تلك الحديقة النبيلة التي هي المقر المنفصل للسلطانين الأتراك . لن أسر المستشارين الروس بهر بوجهت — في قاعات من السجلات الرسمية إلى المطار .. وبدأت في الرحيل . بعدها بساعات قليلة جدا بدأ نفس العمل في دمشق . وفي نفس الوقت .. خلال الساعات المبكرة من صباح الجمعة .. أعدت المدفعية السورية انتشارها — في تشكيلات هجومية .

لقد كان هو يوم « ي » يوم الهجوم بالنص واحد .



إن هذه الساعات الثلاثين الأخيرة قبل الحرب هي المرحلة الأكثر حرجا في عدم استعداد إسرائيل . لقدها أيضا ظلت حتى الآن الأكثر مبهوما . أن هذا يرجع أساسا إلى أن حكومتى إسرائيل وأمريكا تشعران بالحيرة الشديدة مما حدث . أن إسرائيل كانت مطمئنة بشكل غير عادي — حتى هذه المرحلة — في إدراك أن الحرب قد أصبحت وشيكة . وحيثما عرفت إسرائيل أخيرا .. على أمريكا اقتنعت بمز ماثير بالآ تقتصر.

في صباح يوم الجمعة هذا .. حاولت القوات الإسرائيلية لن تستعد .. أنها كتبت في حاله ناهب بعد ساعة أيلم .. أي منذ تجدير نيل في الحولان . والآن في الساعة الحادية عشر صباحا ، أبرهم دافيد اليغور رئيس الأركان بـ « أعلى حالات الاستعداد المصري » كما قال هو غيبا بعد - وكذلك بالقاء كل الأحازات .. وبخدير الوحدات بلن من المحتمل استدعاء الاحتياطي .. أيضا تم تنبيه بعض كبار الضباط الموجودين في الاحتياطي بالاستعداد . أن الرجل الذي سوف يكون ، هو الذي يعبر قناة السويس أثناء الحرب - الجنرال ارييل « أريك » شارون تم استدعاؤه من مرمره القريبة من بير سبع الى مقر القيادة الجنوبية في الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا . أن شارون كان حتى يمسف المسف ثابدا لجهة سيما ، ثم عندما حاب أمله في الترقية ، استقال لكي يدخل ميدان السياسة ولكنه ظل في قيادة تشكيل الاحتياطي . الآن - تم اطلاقه على صورة استطلاع جيوغرافية للجنود المصرية واسعة النطاق لمداد عبور القناة . أن شارون قال غيبا بعد « اسي احترت ضباط وحدتي بنسى اعتقد انه سوف تكون هناك حرب خلال يوم أو يومين » .

مع ذلك ، غنى كل مكنى آخر كان هناك ضباط مظليون ، برتب كبيرة مثل قادة أولوية ، لم سم شبيههم بشكل ما . ومع ذلك فلن القوات المسلحة كانت تستعد .

لقد أصبح السؤال هو : ما الذي ستفعله الحكومة الإسرائيلية ؟

أن الإجابة غير الحادية على هذا السؤال هي أن مصر مقرر ووراءها لم يملطوا شيئا حتى مساء الجمعة . وحتى حينئذ .. قرروا عدم استدعاء الاحتياطي (الملح لما أحد المصادر العسكرية أنه كان هناك بالفعل اجتماع غير رسمي للوزراء في صباح يوم

الجمعة ، وأنه بعد ذلك الاحياء رسمت درجة استعداد الجيش .
ان كل المسافر لأخرى تصر على أنه لم يكن هناك احتياج للوراء
حتى الماء .

في مجلس الوزراء الإسرائيلي - كما في أي مجلس وزراء آخر ،
يأتي مبدأ المسؤولية الجماعية يتجاهل الحقيقة العملية من أن بعض
الوزراء هم أكثر مساواة من غيرهم . أن « وزارة الطبع » ، كما
تسمى إسرائيل هذه المجموعة الداخلية من الوزراء المنزلي لجولدا
ماتير . تختلف في تكوينها . ولكن ، في الحاميه والنصف من ذلك
المساء . مع بداية الظلام وصلاه « كويل سدرى » في أرحاء إسرائيل
التي ترمو إلى بداية يوم كيبور ، لقدس يوم في السنة اليهوديه . .
أحتج أربعه وزراء في مناب مسر مثير لجميع الحكومه بل أبيه .
كان الوزراء هم ' مسر ماتير نفسها وأيجال آلون نائب رئيسه
لوزراء وموشي داييل وزير الدفاع ، وإسرائيل جاليلي الوزير
بلا اختصاص . أن الأخير غير معروف تقريبا خارج إسرائيل . ولكنه
واحد من المقربين إلى ماتير وتثق بهم . وفي لحظه ما . . سواء
مع بداية الاحتجاج أو بعد بداية نطق . . لحق بالأربعه رئيس
الأركان السابق حاييم بارليف الذي هو الآن وزير للمجارة . .
وكذلك رئيسي لأركان الحالى دافيد اليعثر .

ان السؤال الرئيسي كان هو : هل يتم كسر الهدوء المقدس
ليوم كيبور باستدعاء الإحتطاطي ؟ لقد تم اسناد قرار صد ذلك . أن
المهموم الرسمي الذي قيل لنا هو أنه لا أحد من المصعبين انشق
على هذا القرار . لما الحقيقة فهي أن اليعثر كل يريد استدعاء
الإحتطاطي . . ولكنه عليه على لمره ما خطه بمير غيطا .

ان اليعثر قتال في ١١ نوفمبر : لو أنه تم استدعاء الإحتطاطي
قبل الموعد الذي استقدمي فيه بأربع وعشرين ساعة أو اثنين

وأربعين ساعة .. غال الحرب كانت متصحب بمخلة معر شك .
انه اضاف الى ذلك مقطع متفجرة ، وهى أن عدد القلى كلن
سيمصق اقل ايضا . ولكنه فى اللهله قال مستخلفا ما حدث :
« ان القرار تم اتخاذه على اعلى مستوى سىاسى وعسكرى . اسا
لن معرب ماذا كانت الحرب ستمشب مطلقا .. لو اننا كنا قد
استدعينا الاحتيالى » .

وفى عملية اتخاذه القرار .. يندو دور « دابلى » هرجا . ان مسر
مثير الحث فى حديث لها باللغريون الاسرائيلى يوم ١٦ نوفمبر
بقولها « حيسا جاء الى شخص ما من سلطنه اقتراح التمنية ..
فتمنى وامقت على المور » . ان الشخص الذى له هذه السلطة
هو وزير الدفاع . ان دابلى دافع عن نفسه فى اجتماع للضباط يوم
١٤ نوفمبر بقوله انه فى يوم الجمعة لم يكن يعتقد انه ستكون هناك
حرب و « اننى لم اكى الوحيد الذى أعتقد ذلك .. ولم اسمع من
أى شخص يقول ان الحرب كانت فى ذلك اليوم على وشك ان
تشب » .

ولقد كان هذا صحيحا . فحيسا كلن الوزراء الاسرائيليون
محتفلون بطريقة منقطعة اثناء الليل .. فاتهم كفوا اكثر اعتسلا فى
البدايه برحيل الروس منهم ملحظود العسكرية . ان دافيد اليمازر
ونيس الأركلى ، طلب اتخاذ اجراءات احتياطية فقط .

ولكن فى الساعة الرابعة صباحا من يوم السبت .. تفرق هذا
السرور ..

ان لجهة الانذار الاسرائيلية والأمريكية التقطت اشهرات الراديو
التي لا تحطىء ، والتي تكشف عن الاستعدادات المصرية الأخيرة
للحرب . ان هيئة اركلى حرب الاسرائيلية استخلصت ان الحرب

« وشبكة وحشية » . لما المعارض رئيس الأركان، فقد أصبح يتنوع الآن أن يقوم السلاح الجوي الإسرائيلي بشن صدمة وقتليه عند النجر .

إن حولنا مثيرا امتزجت على هذه الحطة . وكان لحرف من رد الفعل الأمريكي هو السبب المسيطر على تفكيرها . أنها قالت المعارض . « كم من الأمستاء سيظلون معنا لو معلنا هذا » . أن رئيس الأركان ، وربما مارلبو أيضا ، عاد إلى ماخشتها بمطافة : « في كل مرة نقرر فيها أن يأخذ آراء الآخرين في الاعتبار . غانا نضع نحن ذلك ما لم . » أن هذا القول يسيه إليها أحدا المصادر الإسرائيلية . ولكن الضربة الوقائية التي قامت بها إسرائيل في سنة ١٩٦٧ فاجأت الطير أن المصري وطائراته محسومة على أرض مطارائها . أن إسرائيل لو قامت بصره مماثلة في هذه المرة . فاسها سوف نتم الآن ضد حصص مسعد . ومحمية شائشه سواريج تانله . وفي أحسن الحالات ، على الإسرائيلي يمسططهم . سريق الاستمدادات العربية في ساعاب ثبله — ولكن في مقابل ذلك سوف يكون الثمن هو حصار محييه بدغموها

أن هذا الجدل حسيه السفير الأمريكي في إسرائيل — كيبث كيتج — لقد تم إيقافه في الساعة السادسة صباحا . . واستدعي لمقابلة هولدا مثير . وفي الإحباط حذرهما كيتج من أن إسرائيل لو ضربت أولا . . فمن الرأي العلم العالي سوف يحمل من الصعب على أمريكا أن تد إسرائيل ببعدا الحرب .

ويبدو أن السفير قد صاع نقطته هذه بطرقة دبلوماسيه ، حيث قال : لو أن إسرائيل امتنعت عن القيام بصره وقتليه . . سماحه للحرب أن يقيموا دليلا لا يقتض بأنهم هم المحتدون . . من أمريكا سوف نشعر أدبيا بأنها مصطرة للمساعدة » . هكذا وصف لنا

أحد المصادر صياغة السفير الأمريكي . أن التمسك مارال هو نفسه .

وهكذا قررت جولدا مشير أن تلحد المحاطرة . لقد حصل البعازر طعنا على تصريح سعيه الاحتياطي ، ولأن ، في نفس الوقت ربما تكون القصة العربية هي الصحيحة . ربما كانوا هم يستعدون للحرب حوما من صربه اسرائيليه . أن مسر متى سوف تؤكد لهم أن اسرائيل لا تخوي ذلك .

وعلى الفور ، أعطيت رسالة عاطفة الى السفير الأمريكي كينج لاناعها الى كيسمر . هل يفضل بأن يحبر العرب بأن اسرائيل لا تعطيل . — بعكس محاولتهم — لضربة صدهم . . ومن ثم فليس لديهم ما يفتخرون بشأنه . . ؟

كل الوقت ساعنها حوالي منتصف الليل من يوم الجمعة في نيويورك . وإذا كنت مسر مشير قد أملت أن يقوم كيسمر مهمة الانتاد . . عند باب أظها . فكما قال كيسمر نفسه ليها بعد « لقد تم اخبارنا . بأن اسرائيل لا تخوي هي نفسها الهجوم ، ولكن هذا لا يشير لنا بالضرورة بأن الهجوم العربي كان وشيكا » . ثم أصاف بحري « ولم يتر أبدا احتمال وقوع أعمال عنوانيه في أي من المنظمات التي حوت مع كلا الجانبين في الأمم المتحدة خلال الأسبوع السابق » .

ومع منتصف ليلة الجمعة ، قرر السناحون في الحرب وشيكه — ولكن يبدو أنه لم يتم ابلاغ كيسمر بذلك . وهكذا فإن كيسمر — شامرا بالفتة في قدراته الخاصة ومطلقا تأكيدات غير ملازجه من المحادثات — قام ببلال رسالة اسرائيل الى العرب بمبر اهتمام محدد . بعدها دخل الى سريريه في الطابق الخامس والثلاثين من برج فندق « والدروف أستوريا » بنيويورك . . متطلعا الى عطلة ممتعه في نهاية الأسبوع .

في اسرائيل كل الوقت هو السلعة صالحة من يوم السبت .
ونفق سياء .. كان ضوء يمرها بالقفل .
انه يوم الهجوم . فنه - اخيرا - اليوم « ي » .



وخلال استعدادها في الساعة التالية .. فلن اسرائيل - على
الآقل - كانت تشعر بالراحة والاطمين من قوة خط بارليف .
انها لم تصرف بعد أنه في الساعات الأولى من يوم السبت .
بيما وراء مسرعاتهم بجافلون .. سالت في الظلام قوات
كوماندور مصرية وعبرت القناة .. ووضعت كمين من الأسمنت
في الانابيب الممتدة من هرايت متروك خط بارليف الى سطح المياه
في القناة .. لقد تم اعلاق سلاح اسرائيل السري ، ان القنصة
لا يمكن استعمالها بالبراز .

في نفس الوقت سببت مصر سلاحها العاصي ، المسوي ، في
بساطه وسرية . ان استراتيجيه اسرائيل كانت تقوم على أساس
اعتقاد بأن المهندسين المصريين سوف يحاصرون الى ما لا يقل من
اثنى عشر ساعة لكي يشقوا ممرات السجود الرملية لخط بارليف
قبل ان يستطيعوا نصب الكبارى والممر .. وخلال هذا الوقت
تكون قد ست محطة الاحتياطى الاسرائيلى .

ولكن ، في منتصف سنة ١٩٧١ وحد مهندس شبه في سلاح
المهندسين المصرى أن ثانوية متفقد منها المياه بصعق كبير ، يمكن
أن تفسد الرمال بعيدا بسرعة هي نصف ما حسب الاسرائيليين .
ان مصر تستعد الآن لكي تقوم بتعويض مثل من الحرائط
والانابيب ومضخات الفراغ .

وفي الثانية تمها من معد ظهر السبت - ٦ أكتوبر - شنت
القوات المصرية والسورية هجوما مشتركا : عليه بدر . لقد

وتعقب إسرائيل في الصيد .. بعد حبس المواطنين الذي سلكه ..
وبعير خطتها الرئيسي للدفاع .



أن العرو المصري لمياء مدا في تمام الساعة الثانية بالصباح
من بعد شهر يوم السبت ٦ أكتوبر - مرمع موحات ساحقه من
ميران المدفعية التي تنطلق من قلب مجمع محتفيه من التكتل الرملية
حلف الشاطئ، العري لقضاء السويس . أن الهجوم الذي تلا ذلك
كان مركزا على ثلاثة محاور ' تحت القنطرة في الشمال .. حول
الاسماعيلية في الوسط .. جنوب البحيرات المرة نحو مدينة
السويس . ومن المدهل ، انها حققت ملاحقه كامله . أن رئيسي
الأركان الاسرائيلي دايفد البعزر ، بسبب هذا عيب بعد الى ' مثل
حطير في ملاحظة الأمر الصادر بحاله بذهب تصري في بعض الرتب
المصري ' . أن الحقيقة هي انه لا يبدو أن احدا أحرر الحدود على
الخط الأمامي للحصنه من الحرب وشيكه التوقع .

كان الصود المحشودون في خط بارليف هم من احتياطي اللواء
١١٦ الذي يسمى ' لواء القدس ' . بسبه الى دوره في غزو
الغديبه في حرب سنة ١٩٦٧ . أن معظمهم رجال أعمال متوسطو
العمر . أن اللواء تم إرساله الى هناك لكي يحل محل الحامية
الغلامية . ولكن ، حتى اللواء ١١٦ لم يكن في قوته الكامله ' لقد
أعطيت أجازات كثير من أفراد الثمنائة في مناسبة يوم كيبور .
أن مسر مثير قلب فيما بعد له في يوم ٦ أكتوبر ، كان يوجد في
خط بارليف أقل من مستمئة حدى . (تتطلب الحط الاسرائيلية
وجود عدد صحى هو عشره آلاف .. في هذا الحط) .

وحينما أسي الهجوم .. كل كثير من يفسلون ملاسهم .. ومن
المفترض أنهم بهذا كثوا يستميدون من اعتقائهم في يوم كيبور من

المهام العسكرية الروتينية . آخرون كانوا يصلون . أن أحدهم —
الحمدى أنسورغر — كان في رتبة مقفيمه إلى درجة أن الألبية
افترضت أن الحزم نوع من الحائط المحلى المارس و — مدغمين
إلى مراكزهم الميدانية — استمروا في صلاتهم . أنه يقول
حيثما كنا — في مراكزنا — سنهل إلى الله . . اسمعى يا إسرائيل . .
فإن كل شخص حتى الذى لم يلاحظ شيئا ، انضم اليها في الدعاء
بعماس وحرارة ضخمة » .

في الواقع ، ربما يكون هذا قد حدث . ببسبب إرثك شانهه الآباء
جندى مصرى من المشاة لسل الشواطىء الرملية . . مطلقين
فوق المياه في قوارب من المطاط . . على الإسرائيليين هوجنوا بأول
اكتشاف مرعب . أن إنكلتر سهويل القناه إلى حصى من الصراخ . .
لن يعمل .

فتحت كل بقعة قويه في خط بارليف كانت توجد سلسلة من
خزانات البترول تهب الأرض وأنابيب تصل بين هذه الخزانات . .
ثم وصل منها أحدا إلى موهات مريضه تحت سطح المياه . أن
مفاحا في كل نقطة قوية يبدأ عملية الصبح لكي ينشر البترول
وينشر المواد المنفخه منه فوق سطح القناه في طبقة تشعلها
هيبند قسله حرارية . . وبالعالي ، تتحول إليه قوه مصرية مهاجمة
إلى رماد .

أن المصريين يعرفون هذا . لقد تسلمت وحدات استكشافية
عبر القناه ، واكتشفوا الأنابيب . أن اللواء سعد الدين الشاذلى
رئيس الأركان المصرى قال مؤخرا : « كانت مشكلتنا الأولى التي
يجب أن نتعلم عليها هي كيف نتعامل مع مظهر القناه وهي تتحول
إلى جحيم بمجرد أن يبدأ العبور . أن التجارب التي قمنا بها بيئت
لنا أن محاولة إطفاء مثل هذه اللهب سوف يتطلب مماسك

ساعه على الأقل .. حتى مع افتراض انه لن يسه اللقاء المزيد من
المواد الملتزمة » .

ان المصريين فكروا في ضرب حركات البترول هذه بالمنعمية ،
ولكنهم استطاعوا الفكرة . « ان الاستكشاف بين لنا ان العدو قد
حرر المواد الملتزمة بكميات محدث الأرض كوسيلة لحمايتها ضد
سراي المنعمية » . ان هذا النظام كان مؤديا للعابه . هكذا قرر
المصريون . عند نوات الانابيب في اللقاء . وهذا يقول الشاذلي
« كانت خطتنا هي ان نرسل مجموعات لسد هذه الانابيب
بالاسمنت » . ان احمد اسماعيل وزير الحربية والتمند العام يضيف
ان مجموعات من قوات الكوماندوز شتلت الى النسخه الاخرى
يوم الجمعة — ومن المحتمل ان يكون ذلك قد سم لبل . ويقول احمد
اسماعيل « ان رجالنا سدوا هذه الانابيب مصر ان يترك العدو
ان هذا كان جزءا من خطة اشمل » . ان الفريق احمد اسماعيل
اعطى هذه المعلومات وكثيرا غيرها استطلاعه ها — في حديث ممتاز
مع محمد حسيني هيكل ، رئيس التحرير البار للصحيحه القايره
نصف الرسميه « الاهرام » .. اللوا ، الشاذلي بحث مع صحيفه
اخرى هي « الاخبار » () .

وقد حدث في مكان واحد ان اكتشف الاسرائيليون الحريب في
صباح السبت . ويقول الفريق احمد اسماعيل « انهم جاءوا
بمهندسين لاصلاح الانابيب » . ويضيف الشاذلي انه كان المهندس
الذي سم هذا النظم و « .. وقد شهد أثناء استجوابه بأنه وصل
الى المنطقه في رحله تفقيشة قتل يوم واحد فقط » . انه كل
بالتأكيد .. واحدا من أوائل لسرى الحريب . وكما يقول الفريق
اسماعيل بفخر : « انه كل ما يرال ينشر عمله حسما وجد جنونا
تحتة فوق راسه » .

بمجرد أن نشر أخبار فشل هذا السلاح الإسرائيلي السري . . انكرت سلطات تل أبيب . . في معلوماتها التي تعطيتها للإسرائيليين .
 الإسرائيليون العسكريين ولحزب النشز - انكرت أهيمته أن وجهة النظر الإسرائيلية هي أن إسرائيل كتبت قد قامت بمحارب على هذا المظالم معلا في سنة ١٩٧٠ - ولكن معنى أنه مظالم غير فعال . وهم يدعوون أن حركات النشزول كانت عرصة لبراز المدفعية . ولكن في سنة ١٩٧١ - هكذا قال الإسرائيليون - وضعت وحده على شاطئ القناه - مناسب وهيبه ملقاه في أماكن أخرى بهدف تهويل المصريين . ولكن - وهذا هو السؤال - لماذا يتم وضع نظام « غير فعال » وفي مجرد نقطة واحدة ؟ .

بعد الكارثة . كانت وجهة النظر الإسرائيلية المهدئة . . هي أن خط بارليف كل الهجوم منه مجرد « سلك شائك » . . أو . . « هو ببساطة شائبة متقدمة لماحز النشز المصري » . كما يقول السفير الإسرائيلي في برينطانيا ميشيل كوماي . أن الحقيقة . كما قال الضباط الإسرائيليون بفخر للمحبيين خلال رحلات لهم في سبناه قبل الحرب هي أن خط بارليف الذي تكلف ١٠ مليون جنيه استرليني - بمحزبه وحقول العامة ونقطة الحصينة في المؤخرة ومراكز مدفعية - قد اعسر مبعا وحصينا . أن السبب كان هو أن شواطئ القناه محدرة للغاية . . والمدود الزمطية الإسرائيلية مرتفعة للغاية (تعمل إلى ستي قنبا) - بحيث أن القنابات لا تستطيع أن تعبر القناه الا فوق كبلاري .

أن الشافلي رأى السبب في أن داييل كان قد ضا بأن أي هجوم مصري عبر القناه سوف يتم هضمته والقضاء عليه خلال أربع وعشرين ساعة . أنه قال « لقد أدلى دلمان بهذا التصريح ، كما اعتقد ، على أساس حصلت بأن مهنييها سوف يحتلزون إلى

أربع وعشرين ساعة لاقية كمارى . وأن المعدات الثقيلة (مثل
قوة دبابات ملموسة) لا نستطيع أن نعبير القناة قبل ثمان وأربعين
ساعة .. وهو وقت كاف بما يسمح بوصول الاحتياطى الاسرائيلى
المدرع الى الجبهة » .

ولكن .. فى ست ساعات حافلة ومحمسة فى يوم ٦ أكتوبر ..
أظهرت مصر أن الإنكار .. رائد الأسطحة الحديثة .. يمكن أن
محطما هذه الاستراتيجية الاسرائيلية ..

ولدهشة الاسرائيليين فى حصول خط بارليف . على كل جندى
مصرى تقريبا من الذين هاجموا راحفى الى اعلى الجبال والسهول
الحشبية التى سم وضعها لسل الصفه الاسرائيلية بواسطة يهود
الهجوم الأول . كل يحمل معدات غير مألوفة . أن بعضهم كان
يحمل أنابيب فوق كتفيه . آخرون حملوا حقائب محميه او من
الحيش .. أما فى أمتهم .. لو مطلقه فى ظهورهم . (طبقا لقول
للشمالى ، على كلا منهم كل يحمل معدات من تين سى و ٧٥
رطلا) . أن هذه الموحات الأولى من الحدود لم تحاول أن تستولى
على المواقع نفسها — مهدد كالت مهمه الوجه الثانية . أن المهمه
الرئيسية لهذا الهجوم الأول كانت هى تعبى القوات والمدفعيه
الاسرائيلية المدفوعه فى حضرات خلف خط بارليف تماما .

أن الأنابيب التى كل المصريين يحملونها .. كانت مواسير مدفع
اطلاق قذائف صاروخية اسمه آر . بي . جى . ولكن القذائف
كانت تضم ابتكارا أكثر تعقيدا الصاروخ الروسى الموجه المصاد
للذخبات الذى يسمى « ساهر » .. والذى يتم توجيهه طوال
المسافه الى أهدافه بواسطة اشارات يرسلها الحدى الذى يطلقه
عبر موجات نقيقه تنتشر خلف الصاروخ فى طيرانه .

ان الذبائح الإسرائيلية قد أصبحت بالفعل تحت سيطرة من إيران
الضرائب المعروفة التي تطلق مزارعها من خزانها الرملية على الضفة
العربية للقناة .

الآن بعد ان أصبح الوقت مدحرا جدا . أدرك الإسرائيليون
معنى هذا النشاط الحربي المفرد الذي كان يجري خلال الصيف .
انه لم يكن لمجرد شعر وقت فراغ الحدود . ولكن . كما قال أحد
اصحابهم لهم . لا تلمة تحسبات * تاديه على رعد مواقع العدو
والسيطرة على الضفة الشرقية . بل سيطرتها على الضفة
العربية * . ومن المنير للسحرة . ان نصف العدد المقرر من
الذبائح الإسرائيلية . كان هو اليهود دائما عند القناة - لأن
الدفعه والسواريح المعروفة استكت معظم الذبائح الإسرائيلية
التي كانت هناك في خلال دقائق .

ان هاوينا يعمل في طاقم إحدى الذبائح . وفي الثانية
والعشرين من العمر . وأخير الثمر . . كان موجه للقتل
الإسرائيلي . انه كلى في الدماء المتقدمة حينا بحركت وحدته
بجسوس نحو القناة . وعلى مساهمة صمد ميل تقريبا من حافة المياه .
فلقت ضامه عاروها انطلق من ضامة مصربة حائبة حلب المزاريس
المصادرة ، فقتل قائد ذبائحه في السرج وخرجه هو قليلا . انه هرب .
لكي يأخذ مكان رجل أصيب بجراح خطيرة في ذبانه إسرائيليه
أخرى . هذه الذبالة . أيضا . أصابها ثلاثة سواريح مبرامة .
ان الضالة تحترق تماما . . والهاوينا الإسرائيلي بعد هذا كيرا
لكي يرحف حارحا من الضالة . . بينما البحيرة داخل الضفة بدأت
تتفجر .

في الساعة الثامنة وسبع دقائق أعلن راديو القاهرة : « بيل
رقم ٥ بحث توافقا في الانتشار على قناة السويس في مطاعات

عديده ، واسولت على نقط قوية للحدو في تلك المناطق وقد رفع الملم
المصري على الضمة الشرقية للقناة ... » . ان السجلات الأربعة
الأولى تناولت مشوب القتال .. مطررة ادعاء ظاهرا من اسرائيل
هى الى بدأت القتال .

ان فرق الصواريخ المصرية بدأت الـ في ناسق وانتظام —
الى انجاز مهمتها الثانية . ان ما اسماء الشاذلى — « عربات
صغيرة يستطيع الصود اسخدامها في حمل المعدات الثقيلة » قد
تم الـ نقلها عبر القناة . وبمينا بدأت الموجه الثانية بالهجوم على
خط بارليف بالقنابل اليدوية ، والدخان . والمدافع الرشاشه ،
والقنابل اليدوى .. فى فرق الصواريخ حملت العربات الصميرة
وانطلقت الى الصحراء الى مسافة تلح عشره ايمال . وهناك حفرها
الضائق لأنفسهم .. واعادوا جميع صواريخهم المضادة للقنابلات
.. واهرجوا السلاح الثالث والاكثر تعقيدا بين كل لسلاح المدفعية
الجديدة . الصاروخ الروسى المحرك المضاد للطائرات « سام ٧ »
.. الذى يقترب من اشعاع الحرارة تحت الحراء لعدم الطائرة
النفائة . ان مهمة فرق المدفعية الصواريخ أصبحت هى — كما
يقول الشاذلى : « ان ينشئوا مراكزهم ضد الهجوم المضاد الذى
تقوم به القنابلات والطائرات لـد ترواح ما بين ١٢ و ٢٤ ساعة
.. حيث تكون قنابلاتنا ولسلحتنا للقتلة قد عبرت القناة » .

لقد كانت هذه هى المرحلة التى يمتد عليها موسى داسان لتأخير
المصريين بما يكفى من ممكن احتياطى اسرائيل من التمثل . ولكن
مضائل سلاح المهندسين المصرى ، تحت قيادة العميد على محمود ،
احتمرت مقدير دابلى الرسمى الى قتل من النصف . ان الشاذلى
شرح كيف تم ذلك .. فيقول : « كلفت المشكلة هى حاجر الرمال ،
لكن يتم عمل ثمره واحده معرض حوالى ٢٤ قدما عبر هذا الحاجز

وعدا هو الحد الأدنى اللازم لمرور قنبلة سهوله ، فإن هذا مسماه
— هكذا تقريبا — تحريك حوالى ١٥٠٠ باردة مكعب من الرمال .
ومن محام الى فتح سقى ثغره بهذا الشكل على الضفة
الشرقية — أى شبقى الف باردة مكعب من الرمال . ويجب أن
نتذكر أننا نحن أيضا كنا قد سبنا هذا رمليا خلال السنوات الست
السابقة للوقاية ضد أى هجوم مفاجيء من العدو . أن هذا أدى
الى مصاعبة حجم مشكلتنا » .

ويقول الشادلى : « كانت فكرتنا الأولى هي أن نستخدم
المتفجرات » . ويضيف أحمد اسماعيل التفاصيل : « فى خلال
تجاربنا لازالة هذه الحواجز حرضا استخدمنا مدافع من كل الأحجام
ولكننا لم نحصل على ما كنا نأمل فيه » . الشادلى يكمل :
« لقد تمسكنا بالمتفجرات حتى منتصف سنة ١٩٧١ . حينما أخرج
ضابط شاب من سلاح المهندسين أن نستخدم المياه تحت ضغط
ضخم . أن هذا الأسلوب أثبت ثقوته .. واستطاع بيكينا من فتح
ثغرات خلال فترة تتراوح بين ثلاث وخميس ساعات » . ولو كن
المصريون قد استخدموا المتفجرات ، أو العربات الكاسحة ، فى
الوقت أمامهم كل سيصبح صفك ذلك الرقم .

وبينا الخراطيم تنفخ بالرمل بعيدا . يشرح الشادلى :
« كان علينا .. فى نفس الوقت .. أن نستخدم متفجرات ووسائل
أخرى (بغرض أنها تملأ كاسحة الرمال) لكن يصبح من الممكن
الاسراع فى اقامة الكبارى » . وهذا أيضا استطاع المهندسون
المصريون — بمساعدة المعركة الروسية — أن يخطبوا الحسابات
الإسرائيلية .

أن الوسيلة القديمة فى نصب الكبارى واتامة الصور هي
عملية معقدة .. تعتمد على حشد صور من الرواق فى صف

واحد سفالة مائية . ان عبور القناة بهذه الطريقة — كان سيسرق من المصريين سماعات على الاقل . ولكن الروس ، في مواجعتهم لانهار عديدة فيها لو حدث مطلقا ان قرروا عرو أوروبا توصلوا الى ابتكار حديد . ان عبور قناة السويس كلى هو المرة الاولى التى استخدم فيها هذا الابتكار لثناء القتال . ان الكورى «بى.ان.بى» كما يسمى ، هو عبارة عن سلسلة من حصور الروارق على شكل صناديق . . يتم حمل كل واحدة منها على عربة محرورة . ان اندرها هندوليكية على العربة تقوم بمرال الجسر الى المياه . ثم تاتى عربة اخرى لانزال حصر آخر ، يتم ربطه بالاول . . وهكذا . وكما يروى الاسرائيلويون الاحياء من خصومهم : « ان الجسر كان يتم فوق المياه كدراع ممتدة » . ان الـ «بى.ان.بى» يمكن اقلته سعى 15 قدما في الدقيقة . ومن ثم . فان قناة السويس يمكن عبورها في اقل من نصف ساعة .

ولقد كانت هناك ازمة واحدة رئيسية بالمسبة للهجوم المصرى . ان الجيش الثانى المصرى كان يسم حسب الجدول الرسمى في مصب كينارى والقناة حصور المرور حول الاسماعيليه والقنطرة ، ولكن ، في الحبوب ، واجه الجيش الثالث المتعصب . ان حاصر الرمل الاسرائيلى كان اعيق بكثير مما توقعه المصريون . . وارض تسمع استخدام الحصور الحديد «بى.ان.بى» . . وقى الساعة الحامسة بعد ظهر نفس اليوم كلى الجيش المصرى مازال بواجهه العقبات . ان احمد اسماعيل وزير الحربية اتخذ اجراء شديدا : « اننى ارسلت قائد سلاح المهندسين نفسه (العبيد على محمود) الى مواقع عبور الجيش الثالث . واعطيه تعليمات بان يجر العمل باى ثمن . ان العمل تم انجزه . ما رعم من ان نائب قائد سلاح المهندسين استشهد بينما هو يحبر موق احد الحصور » ، لقد اصابته ضربة جوية اسرائيلية .

وحسب معبر تلك الأزمة .. على الميل الذي قام به المهتمون المصريون كان خارقا . وطعنا لما يتولاه الشاذلي مقفه « في فترة تتراوح بين ست وسبع ساعات طلبت فضائل مهندسنا بفتح مبنى نكرة ، وأقبلوا عشرة حور ومضوا حسمى مصرأ » . ان هذه الأرقام لم يكن مألوفه الس ارادها أحمد اسماعيل — انه كل يعتقد ان عشرة حور لا تعطيه نمينا كافيا ضد التدبير بواسطة الضربات الجوية او قصف المدفعية الاسرائيلية — ولكن ، مع بداية الليل يوم السبت . كان واضحا ان سرقة مدفعية الصواريخ بحفظ مواعدها في مواجهه اول هجوم اسرايلى مضاد . لقد لاحظ الشاذلي مبيا بعد « ان دايان اخطأ في الحقيقة حسميه بقدره المدفعية على محاربه الدبابات والطائرات الس تطير على ارتفاعات منخفضة ، وقدرتها على التثبيت بالارض غرات طويلة بصر معدات ثقيلة » .

ان الطريق اصبح ممهدا الى لعمور المدفعية المصريه

وفي هذه المرحلة — ايضا — كان المصريون قد استعدوا ودرسوا اتفق تفاصيلها . « بعد اللحظات الأولى للهجوم تمت اقية اسلاك الاشيرة مير القناه . لقد استحدثت الوان مختلفة لكي يحدد لكل وحدة طريقها .. وقد تم تدريس قواضا على هذه التفصيل قبل العملية » . وتحت غطاء الظلام ، بذاب حسمى سرقة محربة في التندقى عبر القناه . وبعد حلول منتصف الليل يوم السبت .. بعد عشر ساعته من الحرب .. كانت مصر قد حشفت على الصفة الشرقية لقناة السويس حسمية ليلة وشكة صواريخ متقدمة .

لقد كانت هذه هى اعلى نقطه في انجاز مصر العسكرية في الحرب .

ان عدم كثافة الهجوم الاسرائيلى المضاد فاضلت المصريين . ان الشاذلي — بتجرد محترف — لاحظ ان « عنصر المفاجأة كل

ظاهرا في الانتقال الى التسيي والاستجابة من جانب العدو لهذه يومين على الأقل » .

ان الاسرائيليين المشهورين الى ما حدث هم اكثر مرارة من ذلك . فالرغم من حالة التأهب التي وضع فيها الجيش الاسرائيلي قبل ٦ اكتوبر عشرة ايام . . فللمسنة كانت غوصي . ان حوالى عشرين في المئة من ضلعات اسرائيل كانت في حالة كاملة من الصيانة والاستعداد . ضلعات اخرى كثيرة ، من المفروض ان تكون حاضرة داخل عربات نقلها في قيادات المدفعية كانت متراة في حالة « شريكة » - مواسير مدفعيتها مثلا مطلية بالشمع ضد حمى الصحراء . . الآخرون من اللدائن كان محطسا . . ثم كانت هناك صعوبات شحن سيئة . ان حمى افراد أطلق الذخائبات من الاحتياطي ذهبوا الى القنال بسف توبيهم من الدهشة . . وحيث كانت الذخائبات حاضرة للذهاب . . كانت هناك وسائل مثل نيلة - وكثير من هذه لمسا كانت تحت الإصلاح .



في المبدأ ، كان للهجوم المضاد الاسرائيلي الاول مضطربا ومشوشا وجتهورا - ككتاب ضلعات انفرادية تلف وتور الى الامام ، لكي يتم صرمها على الفور بواسطة المصريين . لقد كان الانهيار في التسيي واضحا هائلا ، ولكنه أكثر قابلية للمدر ، لا اسرائيل في مواجعتها للهجوم . . كانت تحفظ في سماء بـ ٢٣٠ دبابة فقط ، وهي من طرازات أمريكية « أم - ٨ » و « أم - ٦٠ » في اللواء المدرع الرابع عشر . وفي مواجعتها للضغوط على امتداد الجبهة ذات المائة ميل . . على اللواء الرابع عشر كل من المحم ان يتعثر في وحدات صميرة .

وكانت هناك وحدات مشاة تواحه بقى المشاكل . لقد احرمنا ضابط اسرائيلي كبير فيها بعد مائلا " لم يكن هناك جيش اسرائيلي واحد في سيناء .. ولكن حيوش عتيده .. كل واحد ممها يفعل ما محلوله " . ومن المؤكد انه كانت هناك حالات — خصوصا مع هبوط السلام في هذا السبت الاول — اطلق فيها الإسرائيليون النيران على بعضهم البعض .

ولكن أكثر المشاكل عموما هي التي تتعلق بالدفعيه الاسرائيليه الثقيله . فخلال الساعات للفرجه بين تلك الأيام الأولى .. كانت المدفعيه الاسرائيليه تصرب قدائفها في صحراء حاويه كفيما انطلق . تحلف خط بارليف .. كتبت الدفاعات الاسرائيليه الرئيسيه في سيناء هي مدفعيها الثقيله .. التي تطوف على امتداد طريق أقيم حصيفا ويسر بمحاده القناه على بعد خمسة عشر ميلا شرقا في الصحراء . ا حلف هذا يوجد طريق آخر لكي يأخذ الإمدادات للدفعيه (.

ان هذه المدفعيه الثقيله طويلة المدى كانت تعتمد تماما في تصويبها ضد الأهداف المصانيع على الجيود الآساميين في خط المراقبه .. واطقم القنابل .. او الجيود المبرولين في الخط الآماني داخل حصينهم وما رالوا احياء . ان كل نقطة قويه في خط بارليف لديها مخزن خاص تحتفظ له بخرائطها وكتاب ضم للشفره يتم عن طريقه اختيار سلاح ورموز كل هدف قبل انطلاقه بالراديو . ان رساله موجهة في هذا الصدد هي مثلا ، " اصروا قدائف بتركيز على نقطة ج " .

ولكن .. في الاستجابة الى مثل هذه الرسائل خلال الأيام الأولى من الحرب ، كتبت المدفعيه تكرر دائما سرب النقاط الخطأ . ومن الواضح هنا .. انه إما أن اطقم المدفعيه كتروا يستخدون خرائط

محنة .. أو شغرد ورمورا محنة عن تلك التي يستحقها
 الصود الامير . لقد كتب هناك - حتى - حواشي قام بها
 الاسرائيليون بتصف حدودهم هم . ان موقعي حمص الى حلب
 القناه بب اصانتها سمس الطريقه . لقد تم احبارا مجادث قامت
 تبه وحده دبلات اسرائيليه بطلب مسانده المدعنه .. وبم مصمها
 هي بمها ، مما أدى الى موت طاقم دبابة القتاده . وربما بالنسبه
 اخريين .

ومع ذلك .. بعد عشره أيام كثر مجرى الحرب بمعير . ان
 الاسباب الكامله لذلك هي ، حتما ، فوق حدود مثل هذا التحليل
 ولكن .. في التحليل الاخير فال السبب الرئيسي لذلك كس هو ان
 مصر ضيقت النصر الذي كثر في متناولها بعد الاربع والعشرين
 ساعة الاولى من القتال . وفي هذا التدهور كثر هناك نقطه
 تحول .. الاولى كانت هدلا خرجا عن الاسرائيليه داخل القناه
 المصريه . والثانيه كانت فشل حطة سلام امريكيه سلب بطريقه
 فعاله بجهود نصر عربي .

ان احمد اسماعيل وزير الحربه المصري قال : « بالنسبه لي
 .. كانت الصلاه اهم من التفك .. خصوصا اذا كان الامر
 متصلا بحرب » .

وكما كتب « هري نقر » مراسل « النيويورك تايمز » في القاهره
 يقول أثناء المعركه : « ان الجيش المصري النشق بصاد حطة
 استراتيجيه ونكتيكه شامله ومتوقمه . ان المتحدين العسكريين
 يصرون على انه لم يكن هناك ابتعاد عن الحطة .. لا ارتجالات
 ولا مبادرات من القاده المحليين بغير تفويض سابق » .

كل هذا هو التكمير المصري ، أو متعبير احمد اسماعيل وزير
 الحربه المصري : « ان الحرب هي حوار بين تحطيط وتحطيط »

ان أحمد اسماعيل الـ في الحليمة والحسين — كان في مقدمة كل دورة أركان حرب حصرها . وبالأصغر الى تلك ماته حارب أيضا في أربع حروب . ان تكملة عن حرب سنة ١٩٦٧ . حصار الى جب مع ابيه بالخطيط . كان لها أكبر تأثير فعال على ادارته لحرب أكتوبر . لقد أصر محمد حسين هيكل في حديثه معه : « ان ذاكري ما زالت محبل صورة الموقف حينئذ . . لم تكن هناك جبهة ، ولم يكن هناك حبس أيضا . كان كل شيء مخططا ومهيأ » .

ان ذلك الوقت كان ملازم أحمد اسماعيل . . مثلما كانت حائل بريطانيا الصحنه والمكره في الحرب العالمية الثانية تلازم القادة البريطانيين . لقد قتل أحمد اسماعيل * . ان تسمى قواتي كان شاعلي الأول طوال الحرب الحفيدة . ربما كان هناك من راوا انه كان عليا ان يقوم بمحاطرة أكثر . انسى كنت مستعدا لاي محاطر ولاى فضيحة . ولكني صبرت باستمرار على هدف رأيه أيام عيسى وأحسنته في ضميري : المحافظة على قواتي . انى كنت أعرب العهد الذي أعطيه مصر لاعلاء بقاء الجيش . كنت اعرف معنى ان يفقد جيشا . . . مصداق أن تستسلم مصر . واد استسلمت مصر فقد ضاعب في هذا الخيل ولاجيل لاحقة » .

ربما كان هذا هو الذي جعل أحمد اسماعيل يقول بها بعد . بالنسبة لحرب أكتوبر ١٩٧٣ : « هل لم استطع رؤيه الفرصة ؟ ان الموضوع بالنسبة لى لم تكن مسألة مصرى . . وانما كان مسألة حسابات . وبها وحده من غرض تنجو مناجة أياما . فقد كان على إلا أمانر . . » .

بعد ذلك ذكر أحمد اسماعيل الممرات القبية لهذا القرار : « اتنا بذاتنا العملية في عملية شبكة الصواريخ الشهيرة . وادا كان على ان اتقدم بعدها . فقد كان لابد — سواء كانت هناك غرض

يرأها يرى أو حتى أراها بنفسى أن انتظر حتى اؤكد أن توانى وراءها الحملة الكاثية .. كنى لاند أن أعطى الفرصة لخرعاتى بالدحول . وكل لاند أن أعطى الفرصة لصواريخى المبركة المضدة للطائرات بالدحول .

ولكن أقوى سبب فى النقص بالنسبة لمعدات على الصمة الشرقية ، كنى هو أن مصر صنعت ماكثر من سمائة سلة الى سباء .. واحتفظ أحمد اسماعيل بحمساته نداه عرب القناه ضد احتمال هجوم حوى اسرائيلى يانى من الحلف .

ان أحمد اسماعيل يستطيع ، وقد حدث هذا معلا . ان يتولى انه هو وحده فهم ان استراتيجيه المصادات لم تغير بمد احتضاع قبة القاهرة فى العاشر من سبتمبر وهى . استخدام الحرب ببساطه .. كوسيلة لاشغال أزمة عاليه خطرة بها كنى لاتناع القويى الاعظم بلى الموقف فى الشرق الاوسط اكبر خطورة من ان يظل بلا حل لوقت اطول . وساء على ذلك على أحمد اسماعيل لم ير هناك حاجة لطاردة اسرائيل عبر سبهاء .

ان عملية « بدر » تطلبت اثنىة رئيسى جسر فى سباء بحرق يطلع حوالى مشربين معلا .. حيث الملاحح الطيبيعة .. محملها رواب رمليه . سوف تمد القوات المصرية بحط دفاع مقتطع ولكن صالح للعمل . ان أعمال الاقتتال الاسرائيلى يوم الأحد حاولت حرمان مصر من تحقيق هذا الهدف . وبحلول ليلة الأربعاء . أصبح رئيس الحصر المصرى مبتدا بشكل مثير بطول قناه السويس كلها .. ولكن عمقه كنى يبلغ فى اقضاء عشرة ليلال .. اى اكثر قليلا من نصف ما كنى يجب تحقيقه .

وهكذا ، فإن اسرائيل أصبح عليها ان تركز على نقطة واحدة : ان تحرم القوات المصرية من اكتساب عمق كاف ومرر فى سباء .

ضد الصنوط الاسرائيلية العسكرية . لقد كانت هذه هي النقطة
التي سيجاول اريك شارون ان يسطرها مجد ذلك مارسة ايام ..
حيثما قام في بداية الاسبوع الثاني من الحرب بعبور القناة .

ولكن الامر كان غير ذلك تماما .. ومشكل لامت للنظر بها ،
ففي نهاية الاسبوع الاول من القتال .. بدت اسرائيل معيدة للحياة
عن كمسب الحرب . بحيث ان حكومة مصر مائله نائب على حذمه
المواثقة على ان تعرض عليها وقف اطلاق النار .. بشروط تعضي
للسادات مصر ا مؤكدا .

في منتصف يوم الاحد - ٧ أكتوبر - والحرب قد مضت عليها
اربع وعشرون ساعة فقط . استقل السفير البريطاني في مصر
السيد « ميليب ادمر » سيارته الزولر روبس في صباحية مصر
الحديد بالقاهرة . لكي يرى الرئيس السادات في مقره الحربي
بقصر الطاهرة . انه وجد الرئيس خائفا .. مدبورا عبر النافذة
العريضة التي تطل على حنيمة القصر . ومحصا على يديه . ان
السادات قال ملاحظته عليه عن المنظر اياه بعدها سبت طويل
.. كسر الرئيس السادات حذمه اخيرا . عندما قال للسفير في
سرور « حسنا . ما الذي يجري ذ » ان « ادمر » لم ير الرئيس
السادات من قبل بمثل هذا الاسرحاء .

وعندما يعود حتما الى السفارة البريطانية بالقاهرة .. فسوف
نجد ان « ادمر » ترك هناك لقائين من الترتيب التي تعطيها آخر
المعلومات عن الجهود الدولية العاجلة .. التي تبدل بهدف وضع
مشروع لوقف اطلاق النار عن طريق الأمم المتحدة . والآن ،
فلن « ادمر » بشير - بشكل حذر - السؤال الخرج : هل سيهتم
الرئيس السادات بداء مصدره مجلس الأمن لوقف اطلاق النار ؟
ان الرئيس السادات كان ماري المراج .. ان لم يكن علميا .

هذا الموضوع ليس محل مناقشة . في هذه المرة ، سوف يكون المشروع الوحيد الذي تهتم به مصر لوقف إطلاق النار .. هو الذي لابد أن يكون مغارما لسوية طويلة المدى . ان الأساس الوحيد المقبول لذلك سوف يكون غنام اسرائيل منطبق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ - وهو الذي أصدرته الأمم المتحدة في سنة ١٩٦٧ وتطلب فيه من اسرائيل الانسحاب من الأراضي التي كسبتها في حرب الأيام الستة .

ومن ثم .. أصبح جوهر عملية البحث عن صيغة تقبلها مصر لوقف إطلاق النار هو كيف يمكن للمصممين على اسرائيل من أجل أن تقبل ، مورا ، بمصون القرار ٢٤٢ ؟
أن هذا يعتمد على ما اذا كتبت أمريكا سوف تقوم بإعادة امداد اسرائيل بالأسلحة .

ولكن وزير الخارجية الأمريكي لم يحرك . وفي يوم ٢٦ أكتوبر تولى هو صياغة موقفه هذا بمهارة .. عندما قال ، « لقاء الأزمة كان الرئيس أليكسون ، بلقنما على أساسا بشكلين رئيسيتين - أولاها .. ان منهي الأعمال العدائية مسرع ما يمكن ، ولكن . ثانياها .. ان منهي الأعمال العدوانية بطريقة تيكنت من المساهبة في ازالة الظروف التي أدت إلى أرمع حروب بين العرب واسرائيل خلال الخمس وعشرين سنة الماضية »

أن كيسنجر كان يريد . بكلمات أكثر خشونة ، هزيمة اسرائيلية محدودة . ان الدقة تفتى في حساب المدى الأمثل لهذه الهزيمة . ان هذه الهزيمة لابد أن تكون .. كثيرة بما يكفي لأرضاء العرب .. مواضعه بما يكفي لمنع حدوث انتصار دعلى للروس .. معتدله بما يكفي لأحمار اسرائيل الى متدء المؤنمر .. محتلة بما يكفي لنخب انهيار حكومه حيلدا مثير وحلول الحصور من جباح للبين مطها .

وقى متابعه هذه الامفرانصحية - رمض كيسنجر امدادات السلاح لاسرائيل - ففى الساعة الثالثة وعشرين تشقة من بعد ظهر يوم الأحد ٧ أكتوبر - تلقت البعثة العسكرية الاسرائيلية فى نيويورك برفقه بالشفرة من السفارة الاسرائيلية فى واشنطن ان الرقعة كانت تقول ان الرد الأمريكى على الطلب الاسرائيلى الأول من اجل الأسلحة كلى « سلبيًا » ان كيسنجر مازال يتصور ان اسرائيل سوف تكسب الحرب . انه احذر الرئيس السادات فيما بعد بقوله « حبيبا سمعت انكم هاجمتم » قلب لمضى مساكين هؤلاء العرب انهم سيجرحون منوف منطحة بالدماء . وهذا سوف يبرئ حلما ماى أمل فى السلام . ماكرى ما حدث من قبل » .

ومع وصول يوم الإثنين ٨ أكتوبر . كان كيسنجر مازال متحمسا لوقف إطلاق النار على اساس العودة الى مواقع ما قبل السادس من أكتوبر . ان هذا الاقتراح كان يرمى اسحاجا هربيا من جانب واحد . لقد كلى انمراحا هربيا . ومضحكا ، بحيث انه لايد ان يكون الاساس فيه هو سوء فهم كامل لحرى الحرب .

ولكن ، مع مساء الاسي . كل واصحا ان العرب وهايون جيدا . والاكثر حسا من ذلك .. ان المسألة بب كى لو أن روسيا قد قررت ان تحوم على المصعة الى جانب اصداقها العرب . ان الرعيم الحرس السوفييتى لبونىد بريجيف كن يستحث الدول العربية الأخرى - مثل العراق - على الاشتراك فى المعركة . ولقد كل تحطيل المرور التفارى الروسى عبر الدردنيل .. يوحى بأن المحمود الروسى لاعادة امداد العرب .. قد بدأ .

ان كيسنجر نظامه جيدا مع السفير الروسى فى واشنطن ، اتانولى نوبريين . ان وزير الخارجية الأمريكى يتحدث الآن ، فى ضغطه على نوبريين ، عن الآثار المدمرة التى ستعقبنى بها

العلاقات السوفيتية الأمريكية .. فيما لو أصبح القوتان الأعظم
متورطين في الحرب .

ولكن استراتيجية الرئيس السادات كانت هي المصط توريط
القوتين الأعظم ، بالرغم من أن من المشكوك فيه أن تكون هذه
الاستراتيجية محل تقدير الروس .

أن التقرير المطبوع انتقدت على أنه — كاستحالة للحرب
الجوي الروسي الذي بدأ في وقت متأخر من يوم الثلاثاء ٩ أكتوبر
— فإن بيكسون وافق مبدئياً على عمل حصر جوي أمريكي
جائل في يوم السبت ١٢ أكتوبر . أن الحقيقة هي أنه ، في يوم
الثلاثاء ٩ أكتوبر ، أصبح مصط الدوائر اليهودية الأمريكية على
بيكسون ضحياً — خصوصاً المصط الذي قامت به مجموعة من
الشيوخ ينزعهم « جاكوب حافيتز » عضو مجلس الشيوخ في
نيويورك .

ولقد كل هذا المصط فعلاً ، ففي السلمة وعشر دقائق من
مساء الثلاثاء نلقت المنة العسكرية الإسرائيلية في نيويورك
برقية أخرى بالشفرة من السفارة الإسرائيلية في واشنطن . أن
البرقية تحبرهم بأن السفير الإسرائيلي « سيمكا ديمتز » قد رأى
أن الرئيس بيكسون .. وحصل منه على « ضوء أحمر »
بالنسبة لشركات السلاح .

أن أكثر تفسير محتمل لذلك ، هو أن بيكسون وكيسجر كانوا
منقسمين في الرأي . بيكسون منح للمصط المحلية .. وكيسجر
مازال يحاول أن يستخدم امدادات السلاح كوسيلة ضاغطة يحصل
مها على منازلات من إسرائيل .

أن الجسر الجوي الروسي إلى سوريا ترائحت حركته خلال
يوم الأربعاء . لقد هبطت طائرات شحن البضائع الضخمة

« أنتوبوم ١٢ » على أرض المطار العسكري قرب الأتار الرومقة
في مالبرا شمال شرق دمشق . لها طائرات الانتوبوم ٢٢ —
الاطول مدى — فقد طارت الى القاهرة . ان حملاتها — طبقا
للمصادر الإسرائيلية — كلفت لاسلحها صواريخ « سام ٦ » .

لها في واشنطن ، لقد ماتت الحكومة الأمريكية بشكل محيب في
مدى هذا الجسر الجوي .. رعاية أنه يتكون من سمين رحلة في
اليوم .. وأنه أربع الى مئة رحلة اسداء من يوم الجمعة . ان
المتحدثين العسكريين — في لوسهم للمخابرات الحاطنة — بعدرون
الآن بل الجسر الجوي الروسي « .. لم يكن وانرا او خطيرا الى
الفرجة التي تصورهاها في البداية » . ان تفديراهم انظمت
— بعد المراجعة — الى ثلاثين رحلة يوميا في موبد الطريق لبدء
الجسر الجوي الأمريكي .. ان الماتعت ساعدت كثيرا ، مع
ذلك ، غنى انلظه التي انزلت فيها التوتلي الاظم الى الحركة
.. مجع كيمجر .

ان شروط اسرائيل من اهل المواتقة على وقف اطلاق النار
كانت هي ان يمود كلا الجانبين الى خطوط ما قتل السادس من
اكتوبر .. بما يمي في التطبيق — انسحابا عربيا من جانب واحد .
ولكن ، مع ليلة الارماء ، تمت اسرائيل المدرعات السورية طما
الى خطوط سنة ١٩٦٧ . في يوم الخميس .. فيما ديلياتها
تتمقي داخل السوريي ، هربت اسرائيل جطة أخرى . ان مسر
مثير سوى توافق الآن على وقف اطلاق النار .. على أسس
ان تقوم بمعالجة مكاسبها السورية ، بضارها في سيباء .

ومرة أخرى كل هذا يعنى ، في التطبيق ، عودة الى مواقع
السلمى من اكتوبر .

ولكن ، مع يوم الجمعة .. أصبحت حاجة اسرائيل الى اسلحة جديدة ملحة وحادة الى شرحه انه بدون هذه الاسلحة الحثثة علي تكون اسرائيل قادرة على الاستمرار في الحرب اكثر من ايام قليلة . ان كيسنجر اضطر مسمراثر احيرا الى قبول شروط اكثر حشومة .

لقد وصف كيسنجر هذا الجزء غيا بعد بقوله : « كل اقتراحى هو ان احصل على وقف اطلاق النار في المواقع القائمة حينئذ — وكنا كما اعتقد في يوم ١٠ اكتوبر .. لم يكن سهلا التقدم لاسرائيل بانقراخ لوقف اطلاق النار عند خطوط ١٠ او ١١ اكتوبر . ان مصرضنهم لنا كانت سمير مالميط .. لانهم تصوروا انه بعد ان اكملت لهم التحبئة المالية .. فانهم سوف يكونون قادرين الآن على معبر محرى الحرب . ولكمهم .. وافقوا في النهاية . »

ولكن المصادر البريطانية تقول ان الامر لم يكن سهلا بهذا الشكل . فمن جانبهم كان الاسرائيلون مايرالون بصرممري . ولكن كيسنجر اصبح واثقا الآن من انه يستطيع ان يفرض تلك الشروط عليهم . لقد قام السفير الروسى -ومريبيى — بعد التشاور مع موسكو — بمخمسر كيسنجر نال الروس مناكثون من ان السادات سوى يوافق هو ايضا على وقف اطلاق النار .. على اساس هذه الشروط .

ان سوء التقدير هذا .. ادى الى مراخ ضخم بين بريطانيا وامريكا .

على وقف متأخر من مساء يوم الجمعة هذا .. اتصل كيسنجر بالسفيرة البريطانية في واشنطن ، ونقل اليها مسودة الصيغة التي توصل اليها مع اسرائيل . انه اتفق مع دوريمين على ان بريطانيا سوف تقترح الآن في مجلس الامن بالامم المتحدة .. مشروعا لوقف اطلاق النار .. على اساس الرجوع الى القرار رقم ٢٤٢

كأساس للتسوية في المدى الطويل . ولكن الجزء العاقل الآن هو
الدعوة الى وقف اطلاق النار مورا في المواقف الحالية .. وتلك
هي الجملة الخرجه . ان لأمريكا وروسيا سوف يؤيدان ذلك مورا
واسرائيل سوف تعلن استمداها للأدلى . وطقا للروس ، نحن
السادات سوف يوافق على انقث قوائه في سيء . هل يمكن ان
تتقدم بريطانيا بهذا المشروع ؟

لقد كأل الوقت في لندن بقرب من منتصف الليل . ان وراور
الخارجيه البريطانيه بعد ان تربت المشروع ، شعرت بالحيره .
ان بريطانيا غير راغمة في نصميم طائها ومصريين علاقتها
بالسادات للخطر .. من اقترح وقف النار ساء على شروط قد
يجدها هو غير مقبولة . ولكن « آدمر » كان قد أرسل تقارير
صلية من القاهرة من السادات — الذي رأه مرات عديدة منذ
الحرب — ان يوافق على مشروع موقف اطلاق النار .. الا اذا
كان ذلك حياء من تسويه طوبله المدى . ان كيسمر يقول الآن
العكس . ان اول شيء لابد من عمله هو مراجعة الموقف مع
الرئيس السادات .

لقد عاد « آدمر » الى مصر الطاهرة بالقاهرة في الرابعة صباحا
من يوم السبت لقد كأل السادات مستيقظا تماما وكان قد انتهى
لثوه من توديع السفير الروسى في القاهرة غلاديسر نيبوجرانوف ..
الذى كان يصمط عليه من اجل قبول الشروط التى انقث عليها
روسيا مع كيسمر . ان المطلق الروسى وهو صدى كيسمر ،
هو ان مصر قد حققت هفما السيلسى : ان القومى الأعظم سوف
تقوم الآن بفرض تسوية طويلة المدى .

ان الرئيس السادات رفض هذا المشروع غاضبا .. على
أسس انه يحلو من لية ضمانات محاسبية . وقد أدرك السفير
البريطانى هذا الموقف من الرئيس السادات خلال لقل من حقيقتين -

معددا ساعات قليلة .. قامت السفارة البريطانية في واشنطن
بملاح اقادة بريطانيا الى كيمسجر - لمن هناك معنى في السعي
لسميد هذه الحطة . لان السادات لن يقتلها . ان كيمسجر انمحر
صائحا . كى يخرؤ البريطانيون على منقصة ما قاله الروس
لكيمسجر ؟

وهكذا اعادت وزارة الخارجية البريطانية « آدمر » الى
السادات في الاربعتين مساء يوم السبت . ولكن الرئيس السادات
لم يتحرك . ولم يسمع موقفه . وفي ذلك المساء ، قلم رئيس
الوزراء البريطانى « ادوارد هيث » مستخدما السير اليك دوحلاس
هيوم وزير الخارجية واثنين من كبار رجال الخارجية .. الى
اجتماع مشحون بالقلق من في مقرة الربى . ان المشكلة الآن ليست
مجرد اينف حرب الشرق الاوسط . ولكن المشكلة اصحت هي
كيف نم يهذه ما أسماه هو مؤحرا بأنه « هذا التصدع الصم
في العلاقات الأمريكية البريطانية » .

لقد قرر المحرمون من في غير مساعدة — ان بريطانيا ليس امامها
من احصار سوى ان يسم على رعى حطة كيمسجر .. باء يرها
غير قابلة للسمد . وهكذا طلب دوحلاس هيوم كيمسجر تلنوبيا
في الساعة الحادة عشرة من مساء يوم السبت .

في نفس الوقت ظهر جولدا مائير تتحدث على شاشة التلفزيون
الاسرائيلى .. ولكنها لم تكشف عن رعى السادات للشروط التي
قبلتها اسرائيل . لقد اسعنت عن ذلك تماما .. وربما كل يرها
في ملك اللحظة مثل كيمسجر .. لكى تشير الى رعة اسرائيل في
النهايم . لو ان العرب اقرحوا اى نوع من وقف النار — هكذا
تالت مائير . فانه « في خلال دقائق قليلة ، مسوب يكون على
مائدة مجلس الوزراء متخذ قرارا » . انها — حتى — المحت —

الى التنازل الحرج الذي تقدمته اسرائيل ، مشيرة في اغوجاج الى انها سوف تقتل وقتلا لاطلاق النار مع مصر يتضمن قتولا لعبورها قناة السويس .

وفي لقائه كاتب المسند المصري يقول : ان الهدف العاجل الذي وضعه الحود المصريون لانفسهم هو اسائه الاسرائيليين بالفتح الحاسر المبك .

وكما قال وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر فيما بعد ، لقد فشل هذه المحاولة الاولى لوقف اطلاق النار في يوم السبت ١٢ اكتوبر واسمى بحادثة .. ربما ضمن خطأ بعض الأطراف في تقييم الموقف العسكري .



حينما سطر الى الجيش الاسرائيلي من الداخل ، فانك سوف تجد ان معظم صلاطة الكبار حلزوا معا في أربع جبهات .. اولاهما اعمال العمالي في فلسطين قبل انسحاب البريطانيين منها . بعدد صنعوا في سلم الرقيات معا خلال حرب ١٩٤٩/٤٨ ثم ١٩٥٦ ثم ١٩٦٧ . ان سواحي القوة والصنف .. والامجاز والفشل في كل واحد منهم اصبح معرومة لعاصريه . ان هذا لم يرك قسرا كبيرا من الاحرام داخل الضادة العليا . لهذا كل من المحسم ان بعد - مع امتزاج الصاعقات المحتللة معا - ان صانطا مبيبا مقدم في المناصب . تحت حيايه هذا التفتد او ذلك .. ثم بعد آخرين يدسون سالفوا لهذا النقصد لو ذلك . والى جانب ذلك يوجد مصدر اصافي للاحتكاك الكاسي بين المجموعة العليا للصباط .. يمشا من الصلة الوثيقة للجيش بالسياسة .. لأن من المفروض ان يتقاعد الضباط في حوالي الاربعين من عمرهم .. وقد انجهدت حسنة كبيرة منهم الى السيلة ، بعد تقاعدهم ، خلال السنوات الأخيرة .

أن حرب سنة ١٩٦٧ قد شهدت عودة موشي دايان إلى وزارة الدفاع بعد عدة سنوات من الح صفوف اليساري النشيط . أن مرور أحد ضباطه المفضلين - وهو حاييم بارليف - أصبح أكثر وصوحا مع عودة دايان إلى الوزارة . وحيثما حدث في مهديّة سنة ١٩٧١ ، أن تقاعد بارليف كرئيس لأركان الحرب . لكي يحتل ميدان السياسة . . ملقد كل من المحتم تقريبا أن يحتله دافيد اليمازير في منصبه . أن بارليف واليمزير كانا صديقين منذ طمولتهما في يوعوسلافا قبل أن يهجرأ إلى إسرائيل . وقت نشاكت وظلتهما التالية من قرب .

أن اليمازير كان احتيلرا ماموما لمصوب رئيس هيئة أركان الحرب . . حتى لو كانت حدوده النكتيكية محرونة . ولكن أحد مصادر الانشاقاق حول معييه . من رملائه الأكثر كفاء . كان بيركر في أن اليمزير لا يعتبر « مأموما » عسكريا لقط . . ولكنه يصبر أيضا « مأموما » سياسي . أن هذا ممناه أنه مطيع ومستقل ليهالك لعمل السياسي الحاكم في إسرائيل . ونشيحة لذلك . فإن المصايط قوي الاتقادات اليميه . . شكوا في وجود تمبير وتفرقة كلما كان يتم تعديهم في الترقية إلى وظائف القمة . وفي طليحة هؤلاء الذين لم يتصلوا مشقة احماء آرائهم . . كان العميد أرييل (أريك) شارون .

أن شارون أصبح قائدا للجهة الجنوبية (التي سمس سيماء) في نهاية سنة ١٩٦٩ . وباعتبره كذلك . . فانه واجه أسوأ وأشد مشاكل حرب الاستنزاء التالية . أنه حقق نتائج طيبة . . مما حطه بتخيل أن لديه فرصة طيبة في أن يصبح رئيسا لأركان الحرب ولكن قيل له بوصوح أن ميوله لا تتمشي مع ماتتطلبه تلك الوظيفة الرئيسية . لقد قرر شارون - في اشمزار - أن يستقيل من الجيش ، وكان فلك قبل نشوب حرب أكتوبر بمحدد ثلاثة أشهر ، والتي بنفسه في ميدان السياسة . . قائما بهمة لحام اهراب

البيبي الوثائق في تحالف يسمى « ليكود » . لقد كان هذا انحازا سياسيا لاسا .. حقق لشارون مسحة غورية باعتباره « دايان اليمين » .

ان الصفات الشخصية التي نشأت في ابن محبته للتقادة العليا في الجيش كتب حطما خيرا للثبور - من الفعالية وميل لخاور - او حتى الاسهانه بالآوامر . ان سجله العسكري كان شهوة صريحة للقتال . ملقذ أصبح معروفا لأول مرة كمؤسس وقائد لـ « الكتبة ١٠١ » التي كانت مهمتها القيام بعزات انتقامية . وفي سنة ١٩٥٣ . احررت هذه الكتبة شهرة عالمية في شبح السبيت وسوء السمعة حينما قامت بلرد على عازله ارهنية عربية قتلت فيها امراء اسرائيليه وطمعها . لقد كان رد هذه الكتبة ، هو قيام شارون وحشوده بمحيرة غربية اربية كاملة .. قاتلت ٦٩ من سكانها .. مصفهم من النساء والأطفال . وفيما بعد بحجج شارون بقوله « ان الكتبة ١٠١ لم تكن تعرف انه يوجد اناس يحشون في المنازل » !

ولكن موسى دايان قدر شارون .. لان دايان كان يحاول في الضمبات ان يخلق كلفرا في السطاط يكون ملصقهم هي الاستيلاء على أي هدف « بواسطة هجوم املي » .. وبهذا كان الس في الأرواح » . ان هدف دايان من ذلك كئي هو استنحراح « مهارة يهودية » من الجيش الاسرائيلي . وبصرف النظر عن أن هذا عمل مشوه من مزاج كثيره .. ماته مصر عن مطرء غير عليمه في سيرها على جيش يملك حصونه ارواحا كثيرة بيدلومها . ولذا نظريا الى هذه المسألة على أملي من شخصية دايان الماكرو والمناقضة .. مريد لم يكن هذا أكثر من تدريب بم تصميمه لقلب الروح الدفاعية التي تولدت داخل الجيش الاسرائيلي في حرب الاستقلال - ١٩٤٨ . ولكن هذه العملية انبرت تنبها - على الأقل في حالة شارون .

مخلال حملة السويس سنة ١٩٥٦ ، ثم استأط شارون مع وحدة من جنود المظلات .. بهدف ازعاج واتلاق الحركات المصرية عبر مصر مثلا . لقد تلقى شارون امرا بالآيهاجم المرميه .. نظرا لآل الدماغل المصرية فيه قوية .. ولآل هذا كآ شينا لا تكفيحه حطة دآيلآ .

آن شارون حصل على تصريح باخراج « نورية » . وبدلا من ذلك غانه ارسل فصيلة كيرة الى اعلى المرم مباشرة داخل مهنآ مصري . بعندآ أصبح عليه لآ بورط بلقى قواه في المعركة .. لآتقد الفصيلة التي تبى لنها وتمعت في كيب امداء المصريون لها . وبعد خسارة ٢٨ قنبلا و ١٢ حريحا — آى أكثر من الفلتر في كل معارك الانلحام الآخري للحملة — مآ شارون آحد الموقع . آن هذا كل يمي شينا بديما ، ولكنه لم يكن شينا ماهرآ . ولولا مدافعة عبرها ثلاثون سنة لآلها شارون مع دآيد من حوريون .. غانه كل سيعرض للتأليب بقسوة .

وفي حرب سنة ١٩٦٧ قلم شارون بقيادة « أوحدا » — آى : قوة عمل — كل عليها لآ متقدم في سبآاء عبر الطريق الرئيسي الأوسط . لقد كل من الضروري الاستيلاء لولا على ملقى الطرق في آو مجبلة . ولكن المصري دآعوا من هذه النقطة بقوة ، وبشكل أكثر كثيرا مما توقعته محاربات شارون الميدآيه . آن هجومآ اسرائيليا من طراز « الهجوم بآى شن » مآ بالفشل . وكان على شارون لآ يعيد الهجوم بطريقة أكثر شيولا . وفي هذه المرة آدار الاسرائيليون هجومهم ببهارة وتصميم .. ومع ذلك لقد خرجت قوات شارون من هذا الهجوم ضعيفة و « محونة » .. مع فقدان جزء كبير من قدرتها على التحرك . آن « آدجار بالانس » مؤرج الحرب — .. استخلص من فلك لآ شارون كلآ .. أكثر خبرة بالمعارك الموضعية الثآبته .. منه بحرب الصحراء المتحركة» .

ولكن شارون شخصيا ، يرى نفسه كومي على التنازل في الجيش الإسرائيلي . ان الحفظ وعمليات الإمداد والتموين .. تشير عليه الملل ، وهو يعبر عن احتقاره للسلطان طار بارليف .. الذين يبررون في هذه النواحي ان هذا الاحتقار يتم التعبير عنه على مستوى شخصي ان شارون - الذي يشبه في أسلوب حياته الحاضر راعي مزرع من تكس - يستند انه من الانحراف ان يجمع الجيش الإسرائيلي لقيادته مكان صواح محترمين يحملون شهادات في الاقتصاد .

وخلال نقاعده المبرد بعيدا عن الجيش . ظل أريك شارون في قيادة لواء احتياطي مدرع .. وبت منصبه مورا مع بداية حرب يوم كيور . ان قيادة الحصة الحسوبه .. وهي الوظيفة التي كان فيها شارون نفسه .. أصبح بشطها إلى العميد ، شامويل جوبين « .. الذي كان مانا لشارون نفسه . عندما كان الأخير في الحصة . لقد أعطيت لشارون قيادة القطاع الأوسط من جبهة سماء .. تحت قيادة « جوبين » . وحتى بالقصة لأي شخص آخر أقل تقلدا من أريك شارون .. على مثل هذا الانقلاب في الأدوار .. كان من الصعب ان يؤدي إلى احترام مريح . وسرعان ما بدأت تظهر الصداقات في الآراء .

ان الموقف أصبح أكثر تعقيدا مع تقدم الأسبوع الأول من الحرب .. واستدعاء المريد من الحركات المتعاقدين - ومن بينهم حاييم بارليف نفسه . لقد تم استدعاؤهم لكي يقوموا « مهمات خاصة » .. لمساعدة القيادات الأصغر سنا .. والذين كان معظمهم جديدا نسبيًا على وظائفهم . ان بعض كبار الضباط الآخرين لم ينتظروا إلى أن يتم استدعاؤهم . انهم بساطه ارتدوا بلباسهم العسكرية القديمة .. ووضعوا علامات رتبهم .. وذهبوا إلى الحصة .. ان

أحدا لم يكن لديه من حدود القلب أو من الاستعداد العاطفي ما يكفي
لصرفهم .

إن المجلة المصرية « هاعولام هئري » وصفت نتائج هذا استعداد
في انتخابات مقولها « .. إن الشخصيات السياسية التي لعبت
أدوارا رئيسية في «الحبة» الانتخابية ، أصبحت مضطربة جدا إلى
الصلوات في ميادين القتال . لقد كثر من المستحيل أن يروى كل
المناسبة بينهم مرة واحدة . إن حقيقة أن الحرب أتت أيضا -
وعلى الفور - إلى حفل ايدولوجي حول مدى صحة الآراء
السياسية المخالفة والمعلقة بالسلام والأمن - الحدود الأبية
ولجواجر الإسرائيلية والقوة الرادعة للعبث الإسرائيلي - قد
ساعدت في سببه الاحتلالات السياسية » .

إن بؤرة هذه « الاحتلالات » كل أربك شارون . إن رئيسه
الجديد « الحبرال جوبن » .. كان ضابطا شجاعا ومقدرا . ولكنه
كل مفتقر إلى أداء شارون .. وهو لم يعرض للتيارات المصادرة
التي يعرض لها شارون .. ويتوهمه - من البداية - بدأ شارون
بعبث جوبن باحتقار .. تقبلا له . « لو أنني كنت ما أزال في
الميدنة . لم يكن سمح لديك ما فعله في هذه الحرب » .



وفي وقت مبكر من الحربية .. أي في يوم الاثنين .. وهو اليوم
الثالث للقتال كانت الوحدات الإسرائيلية ما تزال تستطيع أن تصل
مرد أخرى إلى نقاط على القنات . إن رؤوس الجسور المصرية كانت
مأقصة في بعض الأماكن .. وغير كثيفة في الأماكن الأخرى . ولكن
.. أي هدف كان سيحتمه مثل هذا العمل ؟ إن إسرائيل كانت
تتركز على معركة الحولان . وقد بدأ على المصريين أنهم يهونون تشتت
وتكتف مراكزهم التي بحررونها الآن .. بالكثير من استعمال المايا

المارّة التي أحرروها . ان شارون - في مسؤوليته عن القطاع الأوسط الذي يدافع عن الممرات - كان يؤيد بحماس القيام بعمل إسرائيلي هجومي مزدوج . انه شرّح ذلك بعد الحرب بقوله : « كان هدفنا هو احتضارهم (المصريين) في سيناء .. سيما نحن ننتهز للسوريين . اني شخصيا كنت اعتقد ان هذا خطأ .. وقد عبرت عن آرائي هذه دئرا .. اني رايت اننا لم يكن بلك مسعا من الموقف . ولقد وحيث ان المصريين لا يسهطون الى الأمام .. ولكنهم كانوا يستحقون . وسوف يسي وقت انطلاق النار .. لكي يجدهم حصيني العاليه » .

وبهذا الشكل ، فان شارون كان يركّز مسميا على نقطتين دائمتين : انه من البداية كانت آراؤه تتمحور لتفرض متعدد .. وان الموقف في سيناء هائل بالنسبة للأسبوع كثر حرجا .

ان كلب القطيع غير متحمس لقد سمح «خوبين» بشن هجوم إسرائيلي مسلح يوم الثلاثاء في قطاع شارون الأوسط .. وكنت النتيجة هي فشل هذا الهجوم .. مع حيلولة اللواء ١٩٠ بفعل الصواريخ المصرية . ومن مصادف مصرية .. يبدو ان وسط الأسبوع شهد معركة كبرى في سيناء .. حيث فقد شارون لهما موقع مقرر قيامه المتقحم .

وهكذا .. اذا كان موقف شارون ، مع ليل الأربعاء ، قد أصبح أقل ثباتا وبأهمية مما يترسّسه هو من وقتها . فان من الصحيح ان صباح الخميس قد شهد مصرا حاسما في الانتشار العسكري المصري . ان الفريق أحمد إسماعيل - وزير الحربية المصري - قد يرسل الى سيناء الحفيلة ثمانية إلى كل يحتفظ بها على الضفة الغربية من القناة لحملة مؤجلة جيوشه .. سنة واضحة ، وهي صرف جزء من اليهود الإسرائيلي المتزايد في الجبهة السورية ..

ان الحتل الذي تبع ذلك بين الجمرالات الاسرائيليين يوم الخميس 11 أكتوبر ، وفي وراره الدفاع مثل لبيب - وفي بقر قيادة جوسيا سميناء .. كان محور حول نقطة واحدة هي كيف يستعيد اسرائيل من هذه الحركة المصرية غير الموقعة ؟

عند هذه النقطة لم يكن شارون يدعي عتق انه يستطيع الوصول الى القناه . ولكنه ادعى انما انه يستطيع عبورها محطال المستويات الاربع التي تصاها ككتلة للحصه الحويه وحد شارون مسعا من الوقت ليدرس - بل حتى ويجهر - نقطة للمور . ولقد كانت آراؤه في هذا الصدد مباشره .. ملقد كان يقول « .. عددا مقوم بقل الحرب الى الصفه المصريه من القناه . من هذا هو الذي يتمشى مع طبيعنا . مفرعات سريعه الحركة في أرض مفتوحة صالحة للدبابات شكل كلاسيكي » .

ان شارون لم يكن حير ثنائيات . ومن ذلك . فانه حصل على مساندة قوية داخل وراره الدفاع من اللواء « امراهام تلمير » الذي يبلغ التاسعة والأربعين من عمره .. وبينبر واحدا من أشهر اسين أو ثلاثة في الجيش الاسرائيلي .. مع انه من اقل الصاط شهرة . ان « تلمير » يستقده مسباط عديون آخرون من بينهم أحمد العبداء - كان يسمحت القيادة من أصل القسام بمور اسرائيلى للثناة .. على أسس ان الهجوم الآن .. بينا معظم الجيش الثالث (المصري) يتدفق من الصفه العربيه الى الصفه الشرقيه .. صوف يفتحي مفرعانه وهي غير مسعده ومؤهره هذا الجيش غير متبعة بالحمليه .

ان آراء « تلمير » كانت تحظى بقدر من الاحترام .. ولكنه كان يفسب اليه الاقتدار الى المحيرة القتالية . لن حطة شارون - تلمير تم تمضيها من أعلى المستويات : من الثلاث دايث واليمازر وبارليف

.. والآخر اصبح يعمل مع البعازر في « المهات الحاصه » ان
الثلاثة مروا الانتظار .. فكل يوم يمر .. هكذا قالوا .. سوف
يشهد مريدا من المدرعات والطائرات الاسرائيليه الى مركز
محبودها في سيناء .. كما شهد نزال محزنة اقل على الصفة
المصرية .. مما يخمس المرضي أيام هجومهم فيها بعد .

اما بالنسبة للهجوم المصري المتوقع . يبدو ان « حوبين » قائد
سببا هو الذي رأى ان هذا الهجوم سوف يبدد القوات الاسرائيليه
بالمعرضه الحاصه لتدمير المدرعات المصرية . لان المصريين سوف
يسطرون في تقدمهم الى الخروج من نطاق حمايه شكهم
العساروجيه . ان يهبط بارليف لهذا التقدم كلى خلسا في رفض
غزة القدام بهجوم سريع للصور . وكما افترق شارون . « ان بارليف
قال ان عايضا ان يستمر ويصد هجماتهم المدرعة . انى - اى
شعرون - اعتقد انه كلى يجب علينا ان نمر القصة وننها . واننا
طبعنا اياها عميدة .

في صباح الأحد الثاني من الحرب قال رابو القاهر « بسم
الله الرحمن الرحيم . في الساعة السادسة من صباح اليوم بدأت
قواتنا المسلحة في الهجوم شرعا طبقا للخطة .. ان قواتنا المدرعة
والميكانيكية نستخدم بمحاذ طول خط المواجهة » لقد كان هجوم
انصر المصري هذا - الذى سبقه تصدب من المخميه المصرية لمدة
شعير نتيقه - هو الاحضار الحاسم للقوات المدرعة في سيناء .
وكما تنب الاسرائيليون . على مصر خرجت لمحارب . وكما رأى
حوبين وبارليف .. على هذا الخروج سيج لاطقم الدبابات الاسرائيليه
.. الاهداف التى يحتلون عنها ..

والواقع ان هذا الهجوم لم يف بعد فترة من الهدوء .. لان
القبال كان مستبورا بدرجة أو أخرى منذ اليوم الاول . ولكن هذا

البحوم كان اسبوعا قداميا في نطق اليهود المصري . ان الجسم كله فيه الاحتياطية التي تم عبورها خلال أيام الخمس والجمعة والسبت . . حطت مجموع الدبابات المصرية في سيناء يصل الى اكثر من الف دبابة . . وفي نفس الوقت كانت الدبابات الاسرائيلية تتحرك غربا خلال ممرات سيناء مع تدهور التهديد السوري . وبشكل اجمالي اشركت في القتال مدرعات اكثر مما استخدم في معركة العلمين الشهيرة . . التي خارت فيها ١٦٠٠ دبابة بريطانية والمانية وابيطلبية . .

ان المعط المصري الرئيسي كلي في اتجاه ممر الجدي . ولعل ان تتقدم الموجه الاولى من الدبابات الى الالم . . اقام المصريون سدا من تدائن المدفعية وجهوه نحو الاسرائيليين . . كما شن المصريون ايضا هجمات حوية عديدة فوق المواقع الاسرائيلية . ثم ، عند الفجر بالضبط . . تقدمت الدبابات المصرية تحت قطاء صحراء من غار الصحراء .

في معارك الدبابات تكون لدى المدافعين ميزة المواقع المجهرة سلف . ان الدبابات الاسرائيلية المنتشرة في حفر وحلب كثيبات رملية كانت اقل تعرضا للضرر من الدبابات المتقدمة . لقد قال قائد دبابات اسرائيلي فيما بعد : « خلال عشرين دقيقة . . اضعنا الميراث في عشرين مقه » .

انه قال بعد ذلك . « ان الموجه الاولى تقدمت عبر واد ، وتسلفت الى اعلى هضبة في الجنوب من مواتما - (ربما يكون هذا جبل شفا . . في منتصف المسافة تقريبا بين ممر الجدي والمحيرات المرء الصغيرة) . ان قواتنا قلنهم على الهضبة . . ودارت هناك معركة ضارية . وحيال ساعه اخرى من انتهاء المعركة . . هاجمتنا الموجه الثانية من الدبابات المصرية . . وكانت

هناك ١٤٥ منها . وحينما سقطت في مرمى ميرانا .. حشمت كل
قواس .. وحاولنا اصلاحتها بكل شيء بملكه .

ان الاسرائيليين يدعون بأنهم دمروا ٢٥٠ قنلة في ذلك اليوم —
وهذا رقم مبالغ فيه كثيرا - بالرغم من ان الدينك المغربية نسيم
موجود جباله مغربية كبيرة .

مع ذلك . فان الهجوم كان لابد منه .. لان رؤوس الجسور
ابصرية التي كانت بيد في سبيلهم سمعنا ابيال مقطعا من
١٨ كما مقرر الحطة . كانت سلالته قلته الممن من حيث الذراع
عنها . ان النجاسات — حتى وهي ذراع — يجب ان يكون لديها
مستع من الارض سخرت منه — اذا اريد لها ان تكون فعالة . ان
رؤوس الجسور المشيدة كمنصاتها انه في القنال المحلي . فان
الاسرائيليين بسيطموا الاستمرار في تمرير قوابلهم والحصول على
مرايا حاسمة عديدة .. معز حريه مملووية في المناورة بهلكها
الجيب الآخر — اي المربوب .

ان معركة يوم الأحد هذه كانت أهم مواجعه مدرعه على نطاق
سحيم في الحرب . ان النسخة حيلت طلع سياحه لعمه الانتظار
المصوب بالحذر . والتي طينها الطارر وبارليف وحوبي . ان
الشرح اصبح مبهذا لهم الآن لكي يعطوا اشاره المدد لاريك شلرون
.. الذي ما زال بشد رباطه .. لكي يحاول القضاء بهجوم مضاد
وخرى عبر القناة .

وكما حدث كثيرا في عمليات شلرون .. فان الهجوم لم سر
المسيطر كما قرر رؤسلاؤنا . انه نصح .. ولكن : تقريبا .

لقد أحضر أرمك شارون نقطة لعبور القناة قبل الحرب بوقت طويل . حيسا كان قائدًا لحصنة سيناء . ان هذه النقطة التي أحضرها تقع في موقع عريب . بين بحيرة السماح والبحيرة المرة الكبيرة . بين طريق القناة الشمالي الشرقي ميلا أو ميلين شرق الشطوط . ولكن ، فوق منحل البحيرة المرة الكبيرة بالقصط بوهد طريقان حائبان متفرعين من بعضهما ويتصلان مرة أخرى بجانب القناة . في هذه النقطة ، التي يقع حوض الاسماعيليه سلانة عشر ميلا تقريبا . . خلف شارون من السندود الرملية الفخية على الضفة الشرقية . . ووضع علامات من الطوب الأحمر عند انحناء نقطة . وبالتقرب من هذه النقطة أعد أرضا مهيده للعربات والليات مساحتها مثله باردة في اربعمائة باردة . . ونحيتها حوايط مرصعة .

ان مقر قيادة شارون في القطاع الأوسط كان بالقرب من نقطة اسمها « الطامة » . . شمال شرق نقطة العبور المقترحة ثمانية عشر ميلا . لقد كان يوجد تحت مصرف شارون هناك ثلاثة ألوية مخدرة ، يسم كل منها أصلا ما بين تسمين الى مائة ذيلة . . ولكنها تالفت بعد أسبوع من القتال . وبالإضافة الى ذلك . كان يوجد تحت مصرف شارون لواء رابع من المشاة . . يسم ثوات مظلات . . ثم يوجد بعد مصرفه أحرا قوة خاصة من الهندسيين ، بمعدات لتجهيد الأرض ، ونقلات مثابة دائية الحركة . ومعدات للعبور .

وفي مواجهة شارون كانت نوحد الفرقة المصرية المخدرة الحادية والعشرون . . بدبابات تكاد تتساوى في مجموعها مع دبائنه . . وهذه الفرقة هي جوهر الجيش المصري الثلثي . . الذي يقوده من الاسماعيليه العميد سعد ملبون .

ان المصريين كانوا يسيطرون — بأعداد كبيرة من تشكيلات المشاة المجهزة بالقصواريج — على كلا الطريقين الموصليين من

« الطالبة » الى القنّاء . ان شارون يقول : « كانت المشكلة هي كيف نصل الى مياه القنّاء ونقيم رأس حمر في نفس الليلة . ان علينا ان نعمل ذلك قبل ان يخل ضوء النهار . . لاسا لو تقبنا الملاحاة فسوف نجد مصر شك عددا كفتيا من الدبكات يعظمرما على الحائط الآخر » . لهذا . . على الحل الذي اصابه شارون كان سعيه هو . خلا « مقدا » .

في محر يوم الاثنين بدأ شارون يشرح لضباطه عملية عبور القنّاء . . ذاكرا لهم انه سوف يحمل على مصرح بهذا الهجوم خلال ساعت قليلة . ان المهندس المسئول قال انه لا يملك تحت يده سوى عشرة مولدورورات فقط . . وانه لن يكون قادرا بهذا العدد على ازالة السدود الرملية على القنّاء . وفي وقت يسمح باقائه رأس الحمر عند أول ضوء . وهما يقول شارون : « اننى اخبرته ان يبحث عن علامات الطوب الاخضر . وخيسا هلى الوقت لذلك . . ياتيه وحدها وائم المبل » . ان النصريح مالهجوم جاء بعد ظهر الاثنين . . خيسا لم يصبح هناك شك في ان المصريين سوف يحاولون التقدم من جديد من رموس خسورهم .

ان جوهر خطة شارون كان هو ان يسمح واحدا من لواءاته المرمعه لكي يشغل انبساط المصريين . . ميسا تقوم لواء آخر بالسيطرة على الطريق المؤدى الى الجيوب العرس من ممر قبائله في « الطالبة » الى البحر المرة الكثير . ان هذا الطريق (انظر الخريطة) ينصل بطريق القنّاء الرئيسى قبل آلاف قليلة من المارذات ، من مخطى الاتصال الجوبيتين الى منطقة العبور المختارة . ان منطقة مقط الاتصال كفت معروفة باسم المرمعة الصينية . . لانه قبل حرب الايام الستة بوقت قصير . . كان حبراء استصلاح الارامى الصينيون يجرون بجارب هناك لاستصلاح الأرض .

ويعتمدون على السيطرة على الطرق ومنط الالتقاء ..
فئة سوف يكون قادرا على ارسال مهندسيه ، والتصالات المائية
الميكانيكية ، وقوات المظلات ، اثنين نقطة العبور والقتال على
القمة الأخرى .. وبعد عبور عدد قليل من الدبابات فوق التقلات
.. يصبح على المهندسين أن يدفعوا بأحراة كوبري قطامي (أي
مؤلف من أقسام مستقلة متجاورة) عبر القناة .

لقد تم توقيت العملية على أسس أن تبدأ في شمس يوم الاثنين ..
وسوف يكون من العيب أن يمتد هذا التوقيت الزمني بأحراة .
قد كل من المروض أن تقوم الوحدات الأولى من قوات المظلات
بعبور القناة في توارب من المظلات في الساعة الحادية عشرة مساء
.. أن هذا يعني أن الأقسام الحيوية من قوة الدبابات أممها خمس
ساعات فقط لكي يمتلي طريقا معقدا طوله عشرون ميلا خلف خطوط
العدو .. ولكن بحارب معركة ليلية ، وتتميل مع المهندسين .
وتتوهم . هم وقوات المظلات .. حتى نقطة الصور ، أن أحراة
كثيره من الطريق كانت تحتفظها نلال رملية مجهزة .. والدبابات
حيثما تسير بعيدا من الطريق في الليل .. نادرا ما تستطيع أن
تتجاوز في سرعتها حصة ليل .

ولكن الحملة بدأ تنفيذها ..

ففي الساعة الخامسة مساء قام لواء مدرع ، متمركز في شمال
الطريق الموصل بين « الطلعة » والبحيرة المرة الكبرى .. بشن
هجوم عرسي في اتجاه الاسماعيلية . لقد كان هذا هو العمل المقرر
لثبنت النساء المصريين . أن القنال كان ضاريا .. وقد اذى
بالضرب إلى جذب القتل الرئيسي للفرقة المدرعة الحادية والعشرين
شمالا نحو محور الطريق بين « الطلعة » والاسماعيلية .

بعدها ساعة ، في الشفق المنكر ، اتجه هذا اللواء المدرع بعيدا عن الطريق نحو الجنوب . وتحت غطاء الظلام .. استدار غربا و - عبر نخسل من المصريين - انحه عبر الكثبان الرملية نحو البحيرة المرة الكبرى . هنا كلى هذا اللواء بفتح الى المخوه بين الجيش الثنى بمقادة مأون .. والجيش الثالث و الجنوب ..

ان مخدرات اسرائيل الميدانية - محتفظة بكمائها المعتادة ، قد تعرضت على نقطة الصنف التقليدية التي تحت في مناطق القيادة المتداخلة . ان هذا ، الى جانب المهارة التكتيكية لقواد الدبابات الاسرائيلية - يفسر الى حد كبير الاهتمام الى المعارضة - وعندما وصل طانور الدبابات الى الطريق المحاذي للقباء عند البحيرات المرة .. فنه استدار لكي يتقدم بسرعة نحو الشمال .. بينما مياه القناة تؤمن له حائنه الأيسر .

وقبل ان تنتشر الدبابات ، تم تقسيمها الى ثلاث « قوات عمل » . فعد بلنقى طريق « الطلبة » .. اتجهت القوة الاولى في اتجاه الشمال الشرقي لكي تؤمن الطريق وتاهد القوات المصرية الرئيسية في المعركة .

وفي اول طريق حافى يؤدي الى القناة - عند نقطة اتصال « س » اتجهت القوة الثانية غربا لتأمين موقع المصور .

لما القسم الاكبر من هذا اللواء المدرع ، فقد انحه الى الامام مباشرة .. عبرا نقطة اتصال الطرق . ان مهمته كانت هي اقامه محيط آمن الى أقصى نقطة ممكنة في الشمال . وقد حدث ، بعد نقطة الالتقاء القاتمة « س » بالآف قليلة من اليزداد .. ان تعرضت هذه القوة الاسرائيلية الى نيران مصرية كثيفة .. مما أرغمها على ان تقوم بالانتشار بسرعة بعيدا عن الطريق . لقد دارت هنا معركة دبابات ضارية سوف تستمر - بفترات توقف قليلة - طوال اليومين التاليين .

وكل معنى هذه المقاومة المصرية العبيثه ان نقط انتمال الطريق لا يمكن تأميمها تماما . وفي هذا الوقت كانت العملية سر متحللة من توقيتاتها المقررة . ان القوات التي كلى يجب ان تعبر الآن فوق قوارب من الماط . . كانت ما تزال قريه من « الطلبة » . . وهي النقطة التي بدأت بها العملية كلها .

ولكن قوة العمل التي كانت نتفخ شرفا - أحده المصريين من المؤجرة على طريق « الطلبة » - كانت تنفخ بنجاح . وفي حوالي منتصف الليل . اتصلت هذه القوة مع قوات بطلات اللواء الثالث . . بسطيه جنلات الحمود صف المدرعة . ان الدبابات عكست اتجاهها . . وقامت العربات صف المدرعة خلفا نحو القناه . . بالمهندسين ومعداتهم خلفها .

وفي حوالي الساعة الواحدة صباحا ركب شارون نفسه . مع مجموعة من حوالي مائتي فرد ، في قوارب من الماط . . وصعدوا الى الضفة المصرية . ان شارون يستطيع ان يقول الآن انه احترق مصر الإمبريتيه ، ولكن ، في نفس الوقت ، كانت القوات الاسرائيلية الرئيسية ما زالت تتعامل مع المشكلة الأكثر بعلنا بالأرض - ولكن الأكثر صعوبة ، انها مشكلة الاحتفاظ بممر ارمي مفتوح الى القناه . . حتى يمكن اقامة رأس حمر مناسب .

ان شارون ورجاله وجدوا أنفسهم على الضفة العربية من القناه - كدائه على الأمل - مصر معزولة . ولكنهم حلفهم مهيلين اثنين - على الضفة الشرقية من القناه - عنهم كانوا يستطيعون رؤيه علامات متزايدة من المنساعب تعرض لها قواتهم الرئيسية .

لقد كانت ومصصات المدافع ومزارى الصواريخ المصرية نضوء الليل حول نقطة اتصال طريق المرزعة الصيبه .

ان ما حدث هو ان وحدة مشاة مصريه استطاعت ان تحرق القوات الاسرائيلية الى الشمال من منطقة الساء الطرق في النقطة « س » . لقد استجبت هذه الوحدة صواريخها وقذائرها - بحيث اصبح من المستحيل على امة قوات اسرائيليه ان تمر من نقطه الالتقاء الطري « س » وفي نفس الوقت . كل هلك سوء بارر من نقطه اتصال « س » يعرض للهجوم المصري من وقت لآخر . في نفس الوقت كانت تدور معركة ضالكة هامة الى الشمال بمدة آلاف قتيله من اليرادات .. ومعركة اخرى (التي كل هدمها الاصلي تشيخت امباء المصري) كانت ما يزال مستمرة على مسافة عشرة أميال الى الشمال الشرقي . وفي الجزء العلوي من الطريق الى « الطابية » .. كانت تطلق في نفس الوقت قذائف ضالكة بين فترة وأخرى .

خلال هذا كله .. كل لابد من نقل النواذير ومعدات الحفر والمقاتلات المائيه . لقد كل من المفروض ان تكون المظلات قد اتحدت مواضعها على الضفة العربية في الساعة الحادية عشرة مساء . ولكنها لم تستطع الوصول الى هناك حتى الساعة الثالثة صباحا .. أي تتطلب أربع ساعات عن الجدول الزمني . وبالإضافة الى ذلك فانه عند المحر .. كانت المقاتلات المائيه ما زالت منحرة من الوصول الى نقطة العبور المقررة .

ان رد فعل اريك شارون تميز باهمال موهجي لحقيقة انه وغريقه القليل من حدود المشاة .. كتوا معزولين على الجانب الخطأ من القنافة . انه قال لهم « يا رفاق .. لا تزعجوا من شيء .. ان معكم هيا سكرتير حرب ليؤكد » ! .

ومع أول ضوء في الصباح ، صبت المدفعية ثباتاً على نقط
 النقاء الطرق .. جاعلة من الرحلة اختبار أعصاب بالنسبة للقوات
 التي أصبح عليها أن يحصر الثغرات المائية وأحمره الإعانة
 والعوامات الحديدية قائمه الزوايا المحولة على لوربات ضخمة .
 أن ملاح النقلة الأولى وهو خاويش من بيقانيا ، وصف « حمام
 السران » الذي هدد وحدته بقوله . « كانت هناك معركة دبابات
 على كلا جانبي الطريق . وكنا نحن نستخدم في الوسط . لقد كانت
 معركة من أجل السيطرة على نقطه اتصال الطرق .. وكانت نقطه
 الاتصال داخل نطاق رؤيتهم (المصريين) .. وقد قتلوا بحرب
 كل مركبة لنا تقدمت الى هناك . لقد كنا قاتله صميرة من السهل
 هذا أصبتها .. وقد حدث مملاً بعض الإصابات .. وبعض
 الثغوب » .

أن هذه النقلة المثيرة الميكانيكية الأولى وصلت الى نقطة العبور
 عند الفجر . لقد أصبح المهندسون ينظفون الآن فقط أن يبدأوا
 المرحلة التالية لنحميل وربط هذه الدبابات — دبابة واحدة في كل
 مرة — على الثقافات .. وإرسالها متحركة سماء عبر القناة .

و في نقطه غير معبده من النهاية العربية لمنطقة العبور .. كان
 يوجد خطام أربع دبابات صميرة . انها شملت في لحظة ما خلال
 ساعات الليل — وربما كانت مهمتها هي البحرية .. ولكن من
 المحتمل أيضاً أنها كانت تقوم بجولة عسكرية روتينية — وقد صرنا
 قوات المطلات بالصواريخ .. ولكن « مع شروق الشمس .. لم
 يكن هناك مريد من القنصل من حلقب الجيش المصري . وعندما
 أصبحت الساعة هي النصفه صباحاً .. كان قد تم عبور ثلاثين
 دبابة وحوالي الى رحل . أما الخاويش الذي من سايها فقد وحد أن
 الطلقت على الصفه العربيه كان « سارا والسماة ررقاء والجو

هاديء جدا ، انما لم يكن قد تمنا بعد تنسيق انفسنا من الارض
.. فقد كان الطقس مماليا .. ومناخا للرعى معلا .

ومن المدهل ، ان المصريين لم يكونوا قد صرعوا بعد حد متطعة
الصور بمنا - باقهم من انه على مسافة اميل قلعة مقط من
الصفا الثرميه .. كل المصريين يصرمون صعب ومراد اللو بين
الاسرائيليين المدرعي الذين بدءا العمليه كذا في ليل الاسي لسد
كل هذا القتال الصاري ما زال يسمرا على امتداد المحيط الشمالي
للهمر المؤدى حفا الي « الطنه »

وطبقا لما يقايس العكرية المحه .. على محاوله شارون
لاتامة رأس حصر .. كانت سئل كثرته . ان القوات التي بدأت
العمليه كلها كانت مساوي مرقه كاملة .

ولكن .. بعد ١٦ ساعة من النشاط الاسرائيلي الحومس ..
من شارون لم يسطع ان يمتل الى الصفه انصريه من انقاء سوى
قوة تقبل عن كتيبه واحده .. بالاصافه الي دعم مدرع صير .
وبالاضافه الى هذا كله فلم يمح الاسرائيليون في اقامه كوبري أو
حصر . وبسبب اصناف اللذائف المصريه التي تطلها لأحراء الحصر
المنقولة عبر الطريق .. ماته لم تكن هناك فرصه لاقامه الحصر
خلال الاثنى عشرة ساعه الناليه .

ولو احدا في الاعمار كيمة التيران التي كانت ممسيرة في الانطلاق
خلال كل منطقة الثلث « الطلبة - البحيرات المره - الإسماعيلية »
بعد المساء السابق .. على الاسرائيليين لم يكن لديهم الحق في ان
يأملوا ان تكون في جانبهم حتى الآن ميره المفاجأة . ولو كانت قوة
مؤثرة من أي نوع قد تحطت يوم الثلاثاء .. فانها كانت ستتغنى
على العمليه كلها مهما فعل الاسرائيليون .. فلكي يقوم الاسرائيليون

يقتل ما يساوي قرقة عسكرية عمر مياه للقناة . فإن هذا كل
يتطلب منهم حوالي ألف رجل .

إن الخطة الأصلية للقيادة الإسرائيلية العليا كانت تقتضي أن
يقوم شارون ولواء تحت قمانته بإقامة رأس جسر ومهبيه - حتى
يستطيع العميد « ابراهيم ادان » وهو واحد من أحسن خبراء
العمليات في الجيش الإسرائيلي - يستطيع أن يعبر بعد ذلك نورا
.. لكي يبدأ الإكساح في اتجاه الجنوب بهدف قطع الجيش المصري
الثالث . إن هذه السيلة تم تصميمها نفيه للحاجة الماسة من
جانب إسرائيل للحصول على حاضرة كبيرة مرمم ما يمكن .. قبل
مرض ذلك الملاحق النيران . ولقد كل أصحاب هذه الخطة يقولون
أنه بمجرد تركز القوات الإسرائيلية جنوبا .. فإن إسرائيل سوف
تحتاج فقط إلى السيطرة على حصة يند حصة عشر ميلا تقريبا
بين الثلث والسويس .. وهذا يمكنها من احتواء الجيش
الثالث .

ولكن .. في صباح يوم الثلاثاء كل المصريين قد حطموا كل هذا .
إن ما حدث بعد ذلك كان سبعة ملاده ملحوظة من جانب ..
ونتيجة تصرف قام به شارون .. وهو تصرف يميز بهوعا في نظر
اصدقائه .. ويميز بلاهه عسكرية في نظر أعدائه لو استخدموا
الفاظ مهذبة .

إن صليبا كل معه قال في هذه النقطة « إن شارون كان
مفسطليا جدا حينما قال : فلنذهب رأس الحمر هذا إلى
الجحيم . إن الشيء المهم هو أن يتسلل خلف خطوط المصريين » .
وحينما سمع الحمرال « جومين » أن خطة شارون هي سيطرة
التحلي عن موقع الصور والتقدم داخل مناطق المؤخرة المصرية ..
فإنه لم يقل أن هذا شيء « مفسطلي » . إن جومين أجبر شارون

بأن عليه أن يحصن حول رأس الحصر ويحتفظ به .. إلى أن يهك القسام محلولة عبور حديدية . أن المصريين سوف يدركون كم هو هدف سهل هذا الذي يقدم لهم .

أن هذه لم تكن وجهات نظر بعض الدبلوماسيين فيها . وقد انتهت المحادثات بين جوبس وشارون بطريقة مهينة . أن شارون صاح في الراديو « اسبح يا حوصي .. اشرب من الخمر »

لقد بدأ شارون في تجريد قواته إلى مرق اعاره سمير .. وإرسالها لأبحاث عن مواقع حواريح سام العربية .. ومسودعات الوقت .. وأي شيء آخر يسحق الهجوم .

لقد ترك الإسرائيليون قوة تفكارية سميرة عند نقطة العبور . وبدأوا بتقديم في تشكيلات سميرة خلال جزارع الرينون وبنى اشجار الصبور .. أن الأجراء الأكثر كثافة بقودها أساسا لكل مجموعة .. مهربات نصف مدرعة سمها . ولكن بشيا مع الطيعة القرمزية بهذا المشروع .. مل أي حصى يرى ما يسحق أن ياتر بالضرب .. فانه حر في ذلك . وعلى سبيل المثال فإن صابطين بدأ بالسفر على مربة مدرعة مدرعة . ويحصد قتالا قتلته .. فانهما امطاراهما حتى مرت بها .. ثم بدأ مصرانها من الخلف . وهربا . وحيما وحدا مسودع وتعود دخلا اليه بالعبوة المصرية المدرعة .. والقبأ بعدد من القنابل لتفجير .. وحيما بعد رتود العربة المدرعة . تركاها واحتفظا عربة حسب عاداتها . أن التحديق كئي هو السرب الصحيح طبقا للحظة الامنية .. وأي شيء غيره كان معناه ترك المهتمين بعمر جنينهم .. ولكن شارون قرر أن عمل حفريات يتم التحقيق فيها .. سوف يحلل قواته الصميرة ظاهرة .

لقد كل من المحتم .. ان تصنع معظم الأضرار التي يوقعها
 الإسرائيليون بالمصريين .. أضرارا تكفيها سببا ، ولكن في يسمف
 النهار طبقا لأقوال شايرون سم تصير أربعة مواقع صواريخ
 سام . حدث أصبحت توجد في السماء منطقة عريضة مذبوحة ..
 تستطيع الطائرات الإسرائيلية ان يصل منها مصر خطورة . ان
 المصريين ربما يكونون أيضا قد تعققوا وحداب مصرية عديدة في
 سيده بالطلاق النيران من وقت لآخر في مؤخرهم من الضفة العربية؛
 وبعدها رفع العلم الإسرائيلي للفترات منقلعه بوضوح على السفود
 الرملية الملاصقة للقناة . وقد كل لشايرون هدف من ذلك .. انه
 انه يرى - حسب أقواله - انه « لا شيء يسمف من عربة جيش
 مثلما ان يحد عدوه خلفه » . في نفس الوقت . لماذا لم يكن هناك
 محمود يسمف لصعد الإسرائيلي ونعيمهم على الضفة العربية ؟
 ما الذي كان يتم من قبله على صفوف الحرائط الرجاءية المضينة ..
 والتي كان مفروضا ان ينعى كل تفاصيل الجبهة المنصره ٢.

ان الفريق أحمد اسماعيل هبط الى داخل مركز القيادة لكي يأخذ
 زمام الاشراف على العمليات في اليوم الثاني من أكتوبر .. أي قبل
 أن تبدأ الحرب بأربعة أيام . ولقد كل يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر ..
 هو أول يوم يشرح فيه أحمد اسماعيل الى صوء النهار مرة أخرى ..
 لكي يذهب مع الرئيس السادات الى احياء مجلس الشعب ..
 وطبقا لأقواله هو في حديث مع الأهرام .. فانه لم يعرف شيئا عن
 العبور الإسرائيلي حسبما دخل ميلوته منوها الى قاعة مجلس
 الشعب . في ذلك الوقت . كل قد مضى على وجود الإسرائيليين
 في الضفة العربية إحدى عشرة ساعة .

وحينما لم يذكر الرئيس السادات هذا التصور في خطابه ..
 افترض الإسرائيليون انه تعمد ذلك . وطبقا لأقوال المتحدثين

الإسرائيليي . . على كل يمين وجود « مارق سياسي » داخل مصر . وساء على هذا الرأي الذي ثبت قريبا بعد عدم صحة . .
هت بصيحات معتدة تتعلق بالفرحات المختلفة من ماء الوجه التي قد
يحصرها المصريون . . والتي طبقت لها سوف يستحقون ثواب
لكي يحاولوا تنمية قوة شارون .

ومن المفهوم أنه لم يحدث للإسرائيليين أن توقعوا أن المعلومات
من هذه العملية لم تكن قد وصلت بعد إلى القيد العليا في مصر .
أن أقوال أحد أساعيل وزير الحربية المصري نفسه تؤكد أنه
عرف بأمر الغزو لأول مرة من : « معلومات وجدها مستخرس بعد
عولتى من اجتماع مجلس الشعب » . لقد ذكر أن هذه المعلومات
كانت نتجت من « تسلل مصر من الخدمات الرئاسية » . ولقد
أضافت الرسالة أنه في تقرير القيامة المحلية جاء « من المكي
تدميرها سرعة » . وبالمثل تحركت لإواجهها كتيبة من قوات
الصاعقة المصرية . والواقع أنه كان يجب أن يكون واضحاً أنه
بالرغم من أنها قوة صغيرة تلك التي عبرت القناة إلا أن هناك شيئاً
ما كثيراً يتم تدميره . ومن المدهل أن بأحر المعلومات أدى إلى عدم
قيام أحد بتكوين صورة « رابطة » متكاملة لما يحدث وبحصل أن
يحدث .

ومثلما بين عبور المصريين لقناة السويس مامله الجيش وكفائته
.. فإن استعملته للاختراق الإسرائيلي في ١٥ و ١٦ أكتوبر كشفت
بقوة عن نقطه هامة في الحرب . أن الجهاز العسكري المصري
مهم وبعد خطة كبرى مدروسة وبنية ومهكمة . أن أدبه إداريين
الكفاء . . وعدداً كبيراً من الرجال المحمضين والضراء في
الخدمات والمدافع وقائضات الصواريخ . ولكن هاتين الصمتين
تحتاجان إلى صفه ثالثة من أجل استكمال النجاح في حربهما تحركة .
هذه الصفه تعبر أكثر الأعمال حيوية وهي . المعلومات . أن القائد

الالمانى روميل كتب في سنة ١٩٤٢ مقالا بعنوان « قواعد حرب الصحراء » قال فيه : « ان سرعة رد الفعل في القتال يقرر مصير المعركة » . وبناء على هذا قال روميل . « ان نتائج الاستطلاع يجب ان تصل الى القائد في اقصر وقت ممكن » و . . « وتوان العرقى المكتاتكيه يجب ان يكونوا في اقرب امكن ممكنه لقواتهم » وى كل من الماهيتين . . كان سوء الحظ من نصيب الجيش المصرى في سنة ١٩٧٣ .

لم يكن هناك محادل مصرى للروايك الاسرائيليه المسمره . وبشاط الاستطلاع . ان القادرة المصرين المصار كانوا بسياطه يحاربون الاسرائيليين بشحامة حارقة وكثافة ممتازة عندما كانوا يظهرن امامهم . . ولكن النفس الوحيد هو أنهم لم يقوموا باعطاء اولويه كاملة لممل تقارير قتال يتم تلبيحها مسورا الى اعلى المستويات .

ان نفس الاتصال المسمى يرجع حقيقة الى ان الجيش ، مثل معظم المؤسسات المصرية الاخرى ، لم يتسه بما يكفى لخطورة البيروقراطيه والتعقد فى المستويات . . والاميل الورقية .

ومع وجود كل هذا . . نتحققه هى ان المصريين نالكو انفسهم احيرا . . وقاموا بهجوم جديد مسبق ومتراط مرتفع الكفاءة للعبية . . فى يوم ١٦ اكتوبر . لقد ركزوا هجومهم هذا على المداخل الشرقية لنقطة العبور الاسرائيلية .

ومع ان هذا الهجوم جاء متلحرا . . الا انه كان عمالا جدا ، وبصح تقريبا . لقد جاء الجيش الثانى المصرى من الشمال جنوبا بنقله كاملا . . وجاء الجيش الثالث من الجنوب شمالا . ان هدفهما كان هو جدة ومعزير المشاة المصريين الذين مزلوا يحشظون سرائكرهم فى منطقة المرمره الصيفية ، ضد كل شراسة الهجوم

الإسرائيلي الموالى بالطيران والدعمية ، والذي لم يتوقف لحظة واحدة . ولقد كلى مقتررا أن يؤدي هذا الهجوم المصري الى وضع نهاية للحطط الاسرائيلية ... لأن انطلاق كمية حطيرة من النيران المصرية من الررمسة . كان سيحصل مقطة العبور محردة من الحياية .

لقد دارت معركة ضلالت قلبية وضارية طوال الليل .. كان المصريون يقاتلون فيها الاسرائيليين بصفة عنفة . أن حلول الظلام قتل من لعابيه الصوازيح المصادة للضربات التي يحميها المشاة المصريون ، ولكن ، لأن المسافة قريبة في الليل .. فإن الظلام أدى أيضا الى تليل لعابية القذائف بعيدة المدى التي تطلقها الدبابات الاسرائيلية .

انها كانت معركة معقدة .. تعرضت فيها الدبابات الاسرائيلية الى ميران مصرية من انماهين واحيافا من ثلاثة اتجاهات في وقت واحد . ولم تكن لدى المهندسين الاسرائيليين عند ضفة القناة صموبة في تقييم الاحمية العملية لهذه المعركة . لقد قال جاويش ملاح سباسة . أن المصريين اغلقوا الطريق خلفا .

لقد لوقف المهندسون الاسرائيليون عملية النقل خلال الليل .. ولكن مازال ينقصهم الوقت اللازم لاقبة حمر على القناة . وعند الظهر ، بينما معركة الضربات مستمرة بضراوة ، بدأوا بقتلوا المهمات والمعدات من جديد . ولكن الدفعة المصرية تدخلت في نفس اللحظة تقريبا . أن احد الحود الاسرائيليين المتسركين في المعركة قال : « أسى كنت فوق نقله مائية حينما وصلنا الى المسلة القريبة . لقد كانت القتالة فحل عرينين نصف مدرعتين وسيلاره جيب . وبالمصط ، في نفس اللحظة التي وصلت فيها هذه الشحنة الى الشاطئ الآخر ، بدأ نصف المتفعية المصرية ، أن القديمة

الأولى سقطت بعيدا عن المياه محوالى عشرين مترا . الثانية
الثانية سقطت الى جانب النقلة المته على الشاطئ تماما .

أن الحاويش « زقي » .. من بينانيا .. وجد أن طقس يوم
الثلاثاء المسبب « للرعى » .. قد احتفى بحشوية وقسوة . انه
يقول : « مع صباح الأربعاء ، سيطر المصريون بالنيران علينا في
كلتا الضفتين . ففى اللحظة التى كانت تسدا فيها مدالة مائية في
الخروج من سفة متجهة الى الضفة الأخرى . مائتا كانت بعد
أمامها ولموتها سدا مائتا ومرعبا من المدفعية المصرية . وإذا
وصلت الى الشاطئ الآخر .. لتتهم كانوا يتمسكونها من حديد » .

الآن ، بعد أن تحرك المصريون ، أصبح الاسرائيليون يتساقطون
على وحرى بأعداد كبيرة وضخمة . وسرعان ما أصبحت الضفة
مغروشنين بالأسلاك المينة ، التى تظنها خدمة القذائف المتفجرة .

أن القذائف المصرية بدأت تترق النكلات المائية الميكانيكية
الاسرائيلية . ويروى أحد الضباط الاسرائيليين الذين اشتركوا في
هذه الحركة فكرته قائلا : « لقد رايت معجربين تحدثل أبامى ..
أن قائد غصيلتنا تشمت قدمه في كسر حدث بقتاله المائية حينما
أصابها المصريون وبدأت تترق . اننى أعتقد أنه كل الشخص
الوحيد الذى هبط الى قاع القناة وخرج منها بمجرد قدم مكسورة ،
لقد فرق تحت المياه .. مما حرر ضميه .. وكل خروجه بهرد
قدم مكسورة هو معجزة . الحالة الأخرى . هى حالة أحد ملاحنا
الذى لم يكن يعرف السلحة .. لقد بدأ يحرق مع منافه .. و
تلك اللحظة طفا خلع كلبية القيادة حرام حادة . والتسحق به
محيطا له من أسفل .. مما دفعه الى أعلى المياه » .

ولقد كل الموقف بوضوح هو أن اسرائيل سوف تستفيد تماما

في هذه المعركة لأنها سوف تكون الملل المخفف الوحيد الذي
ستخرج به في قتال الجاح للكل الذي حققه المصريون طوال
الأيام العشرة الأولى . ان هذا نفس الحسائر الضخمة التي
تحملوها .. والمحاولات المسميئة التي قلبوا بها بواسطة كل
أنواع الأسلحة ..

وهكذا .. في ساء .. وبالدم .. انخفضت الخلوقة المصرية عند
البرعة المصيبة ، وتراحت النيران عند نقطة العبور .. بما أصبح
يكنى المهندس الإسرائيلي أن يضموا أجزاء الجسر في أماكنها
من أجل أقلية جسرهم الذي تاهرت أقلية كثيرة . وحتى بهذا
الشكل .. على نيران المدفعية المصرية وضربت السلاح الجوي
المصري من وقت لآخر .. كانت تجعل مهمتهم أمتحنا في الأعصاب
أن الضابط الإسرائيلي الذي قاد فرق أقلية الجسر قال . « لقد
كنا تحت النيران طول الوقت .. وكانت نيران المصريين خطيرة
هذا . أن جنودنا كانوا هدفنا للمدافع والطائرات في المواقع المجاورة
.. ولا يوجد بيننا من لم يفقد صديقا في هذه المعركة » .

وقال جندي إسرائيلي آخر « حينما نأتي طائرة فوقك .. فإن
هذا برعك . أن كل شخص لا يطلق النيران على الطائرة يعوض
في الأرض ، ويدرس رأسه في الرمال . ولكن ، حينما حانت طائرات
الميراج .. فإن الطائرات المصرية كانت تجعل معها في قتال طائره
بطائرة . أن الناس .. وقفوا على الضفة يصفقون بطلا في مجرأة
كرة قدم » .

إن مثل هذا المعطاء الحوي الإسرائيلي كان ممكنا فقط لأن قوات
شارون مرتقت ثقبا في مظله « سلام » . أن هذا ربما كان هو أحسن
سبب لشكروا في تحديه لحونين .

برقم ذلك .. على الحقيقة هي أن الحطة الإسرائيلية غشلت
أصلاً ، وبشكل ذراعى .. ولم يتم رتبها بالضرورة إلا بالقذرة
القتالية للمجموع الإسرائيلي - على حوالى منتصف ميسار يوم
الأربعاء ١٧ أكتوبر - أى ثلاثين ساعة بعد الموعد المقرر - أقيم
الجسر فى مكانه .. وبدأ لأول واحد فى اللوة الحسابات الإسرائيلية
الثلاثة التى يقودها « يريم آدان » يعبر إلى الضفة الأخرى .

وطوال باقى الأسبوع ، على الحسر ومحيطه الكامل .. ظل
مكاننا مخلوفاً بالمخاطر . ولكن الهجمات المصرية كانت متميزة
بعنادها وتصميمها .. بأكثر مما نبيوت ضلالتها . وهنا يقول
الفريق أحمد اسماعيل وزير الحربية المصرى : « أن المعلومات
لقطعت نتيجة اعتبار يتصل بتبادل فى المسئوليات أجرياً فى ظروف
طارئة فى بعض الهجمات » . بعدها بيلام قليلة ، أصبح معروف أن
قائد الجيش الثالث على من قمة قطية .. ومين قتدا آخر محله .



وكما عرفنا من نتيجة الحرب . على هذه المبادرة الإسرائيلية
غرب القناة قد حقت - نقط - نجاحاً فى الحد الأدنى من أهدافها
السياسية ، فإن الهدف السياسى الرئيسى من العملية كلها كان
يرى إلى تحقيق نصر لرفع الروح المعنوية الإسرائيلية .. والحصول
على ورقة المساومة قبل أن تفرض الضغط المتزايد من جانب
القوتين الأعظم وقف إطلاق النار .

وحتى فى هذه الحدود .. على الأمر اصباح إلى استغلال
إسرائيلى وعد وسقط لانتهاكات وقف إطلاق النار - حينها جاءت
الهدنة تدريجاً فى ٢٢ أكتوبر - من أجل نقل هذا النصر إلى
إسرائيل . وبشكل أجالى .. على جوهر عملية المسبة القريبة
كان هو الوقت .

أن لصربات المصرة أحرب الاسرائيليين كثيرا جدا وجعلتهم يدفعون ثمنا باهظا للعلامة .. ولكن المسئولة الرئيسية للأحمر تكمن داخل الجيش الاسرائيلي نفسه . وفي الحذل المسلسلي المستمر بين الجبرالات الاسرائيليين .. على شلرون يقوم القيادة الاسرائيلية العليا .. ويقول ان انهيار اعصاب القيادة العليا كان هو السبب في التراجع . انه يؤكد ان لمداده مدعم أسرع يوم الثلاثاء .. كان هو الذي سيؤدي الى الاحتلال الحيوى .

وفي المؤتمر للحذل .. ان استحالته شارون الحريضة للموقف في صباح الثلاثاء كانت صحيحة تكبكبها . بالرغم من ان الذين يحطون من شأنه داخل القيادة الاسرائيلية العليا عنها يستهزئون في اعتقادهم بأنها كانت مجرد معارضة لم نتجح الا بسبب حسن انخط . ومن المثار اليه هنا .. ان مثل شارون الحص بلقائمة الجسر طبقا للنوعية المقرر .. هو السبب الذي كلفه اسرائيل مثل هذا الوقت الكثير .. وهذا المصدق الكبير في الفنى .. وهذا الثمن الفادح في العملية كلها .

فلسطين ∞ أو إسرائيل؟

◇ صوت كيمش

هذا الكتاب ..

وهذا المؤلف

● صدر هذا الكتاب في لندن قبل حرب أكتوبر بشهرين . صدر بقلم الكاتب اليهودي الانتطيري « جون كيمشي » . ان كيمشي قال الكثير في كتبه السابقة عن العرب واسرائيل . قبل الكثير في كتابه « الاعداء السبعة المبهلة » وقال الكثير في كتابه « لغرق السرية » و « جانبى النل » .

قال « كيمشي » الكثير من قبل في كتبه السبعة . كتب أصدر معظمها باسمه .. واصدر بعضها بالاشتراك مع أخيه « دايد كيمشي » .

ومع ذلك .. لما ما يريد « كيمشي » ان يقوله في هذا الكتاب الجديد قليل ومحرص : ان الموقف في الشرق الأوسط كان يمس دائما امن ومصالح الدول العظمى . ولكن السموات ليست الاخيرة شهدت ميرا في طبيعة علاقة الدول العظمى بدول المنطقة .

من قبل كانت كل من اسرائيل والدول العربية تبحث عن حلف لها من بين الدول العظمى .. يؤيدها في صراعها ضد الجانب الآخر . ولكن الآية انقلبت بعد التوازن القوى وعصر الوثائق في هذه المرة اصبحت الدول الكبرى هي التي تبحث عن حليف لها من بين دول المنطقة . ان التوازن القوى ادى الى حدوث شك في قدرة الدول العظمى على التصرف الحفر .. وبشكل مباشر — في مناطق كثيرة .. من بينها الشرق الأوسط .

في هذا الوضع سحبت كل دول من طرف محلي نكلته ميزته الدماغ
من مصالحها بالمنطقة .. ميلة عنها .. وتقومها منها .. وحيدة
لها . سمى " ان أمريكا لها اليوم مصلحة اساسية - بقول المؤلف
- في وجود اسرائيل قوية ورائدة ومهيمنة في المنطقة .. بتغير
ما لاسرائيل هي الاخرى مصلحة في دعم استمرار القاييد الأمريكي
السياسي والعسكري . و ... حينا يحدث مشاكل بين الاثنين ،
لكن يكون سببها تمرا في الموتف الأمريكي نحو اسرائيل . ولكن
السبب سوف يكون نشلا اسرائيليا في اتفاع أمريكا بتقوتها - قدرة
اسرائيل - على حمايه المصلح الأمريكية في المنطقة .

ولقد بنى " جون كيشن " تحليلاته .. واصدر احكامه .. واتهم
تنبؤاته .. بناء على موقف سلف لشهر اكتوبر سنة ١٩٧٣ . بناء
على استمرار اسرائيل واضح في سنة ١٩٦٧ . ومبادئه يهودية
عالمية كاسحه بعد ١٩٦٧ ، ووعاق دولي بحسوب بعد ١٩٧٢ ..
واملئمن اسرائيل كابل الى التفوق القومي في ميدان القتل .

ولكن . عملا اقتصاديا عربيا مشتركا غير من هذه الحسابات
كلها . حسابات المستقبل . وعملا سياسيا عربيا غير من هذه
الحسابات كلها . حسابات القول الكبرى .

وعملا عسكريا عربيا تم في ٦ اكتوبر ، غير من هذه الحسابات
كلها . حسابات اسرائيل .

انها العاقل الوحيد الذي لم يفتل في حسابات أحد - حرب
اكتوبر . حرب لم يشأ بها المؤلف .. حتى كمهرد احتمال .

هنا يصح ان الفت النظر الى مصالقه هامة . لن تحليلات الكتاب
لملانة مصر بالدول المعتملى في السنوات الثلاث الأخيرة .. توضح

لنا مدى حقّه وتعميد الظروف التي عملت فيها الوطنية المصرية خلال تلك السنوات .

لقد فكرت الوطنية المصرية في الحرب ، وأعدت لها ، وبأدبرت بها .. في ظل نيلز كاسج من المصالح الدولية المتحالفة ضد المطقة أو - لو افترضنا حسن النية - الصلابة على استمرار الاخلال الاسرائيلي لأراميا . في هذا الاطر .. لم يكن مطلوبنا من الوطنية المصرية ان تواجه الأعداء فقط .. ولكنها اضطرت في بعض المواقف الى مواجهه الأصدقاء أيضا .

صعوبة جديدة أضيفت الى الصعوبات التي واجهت مصر في ٦ أكتوبر .. ولكنها - في الوقت نفسه - رصيد جديد يضاهي الى ما استطاعت السبله المصرية ان تحقّقه . وفي الوقت الذي تصور فيه الجميع أن الموقف يثير البأس ، تصرمت السبله المصرية على أساس ان الموقف يثير النحدي .. ومعير هذا .. كانت حرب أكتوبر ستمسح بمنحله .

انها الحرب التي هزت المياه الراكدة ، بمق .. وحلّحت الصلابة كلها .. بشدة . صابأت الأعداء والأصدقاء على السواء .

وهذا هو الشيء الذي غات على مؤلف هذا الكتاب ان يحسبه .

وربما لو أعاد « حور كيمش » النظر في كتبه اليوم - وعلى سوء نتائج العمل العسكري المصري السوري المشترك في شهر أكتوبر ١٩٧٣ - ربما لن يمر في كتبه شيئا على الاطلاق .

فلسطين .. أو إسرائيل ؟

مع قدوم عام ١٩٧٣ - أدى مجزأ الرعب النووي إلى أزعاج الدول الأعظم إلى أن نصح سانيه في طعامها ، أنها أصبحت تستطيع أن تحرض الحروب بالوكالة فقط .. محورها في الهند الصينية ، في شبه القارة الهندية ، في البحر الأبيض ، وفي الشرق الأوسط . وحتى هذا الأمر .. أصبح قتل أغراء مع وجود حالة الانفتاح والتماثل الإسرائيلي وظهور جمهوريه الصين الشعبية في حلبة الدول العظمى . لقد تغيرت الأولويات . أن سياسات المستقبل لم يعد ممكناً أن تعتمد على الوسائل التقليدية . لقد كانت تجربة القوى الأعظم في الإقتران محفاتها في الشرق الأوسط خلال الصيف الساخن لسنة ١٩٦٧ مصادفة حقيقية . لقد كانت تلك هي بداية الدبلوماسية الجديدة . أنها كانت أيضاً بداية أيام كل الأطراف المعنية في الشرق الأوسط بأعادة ترتيب نفسها .. ومراجعة كل مفاهيمها السائدة .. والقائمة بمد صدور وعد بلنور في سنة ١٩١٧ . أن العرب العربية الإسرائيلية في يونيو ١٩٦٧ كانت هي العامل المساعد الذي أدى إلى كل هذه التفاعلات . أنها كانت حرباً قصيرة ، ولكن أصبح خلال وتناقل الواقع القديم الذي أتت إليه كل بطيب .. مل بطينا هذا .

نبرغم التذلل اللاهث للحقائق والمذكرات والتساير عن تلك الحرب ، فإن أكثر النواحي خروجاً على المسالو في حرب الأيام الستة هو أنه بعد ست سنوات من وقوعها . مازال هناك العاز كثيرة فيها لم يتم تفسيرها . في كل الأدلة تشير إلى أن السلطات المعنية قد قررت الاحتفاظ بهذه « الألف » على الكتمان . وصياداً من أي لرشيف .. لسنوات طويلة أكثر .

مع ذلك ، فلقد كانت تجري . في نفس الوقت من استقصاءات وتحقيقات يقوم بها كل من الروس ، والأمريكيين ، والمصريين ،

والإسرائيلي . . بهدف استبصار تلك الاسئلة المتعلقة بحرب الأيام الستة . لكن يكون ذلك أسساً تعتمد عليه سياسات المستقبل . ولقد كان التحقيق الذي جرى في الاتحاد السوفىي يومها بهذه العملية .

إن الرجل الذي تم اختياره في الاتحاد السوفيتي للقيام بهذه اكتشاف الأخطاء التي وقعت . . كان هو الرجل الذي وجد في قلب الأحداث بطل أبهى أسلح الحرب وقتلها . هذا الرجل هو « تشومخين » السيفر السوفيتي لدى إسرائيل قبل الحرب وخلالها . إن معظم المسئولين الأمريكيين والإسرائيليين بمزبوع « تشومخين » هو المسئول شخصياً عن مشوب الحرب . لقد بطل وقتها أن « تشومخين » كان أداء فيما علق بتقديمه التسح أمي موسكو والثائرة خلال شهر مايو سنة ١٩٦٧ . وكذلك المعلومات التي قالت أن إسرائيل تعتمد لشس هجوم كبير على سوريا . . وهي المعلومات التي لم يكن يوجد مبرر مقبول لوجودها .

إن « تشومخين » اختفى من الحياة العامة بعد عودته إلى موسكو في صيف سنة ١٩٦٧ . وكل الأمراض الصائد وقتها هو أن هذا الاحتفاء هو بمثابة عقاب له على الخطأ المادح في تقديره . ولكن . . لم تكن هذه هي الطريقة التي رأى بها القادة السوفييت دوره في إسرائيل . لقد كان هناك شك لدى بعض المحللين الغربيين في أن « تشومخين » قد تصرف ساء على تعليقات من وزارة الدفاع في موسكو عندما أرسل تقاريره عن الهجوم الإسرائيلي الوشيك ضد سوريا . فلأسباب خاصة مهم ، كان رعباء الكرملين مهتمين للغاية بالحصول على صورة كاملة لما حدث خلال شهري مايو ويونيو ، ومن الذي كان مسئولاً عملاً عن تقارير « تشومخين » . . لأنه حينها عاد إلى موسكو في سنة ١٩٦٧ . . وضموه في إدارة خاصة بمعهد

موسكو للخراسات الشرقية . وفي تلك الوظيفة الصعبة تقاضى «تشوغاخين» معاشاً أعلى من مرتب الوزير في الحكومة بحوليات ذات استثنائية ، وسلطه للوصول الى كل المسائل الرسمية . لقد كلف باعداد تقرير منمّل عن لسبب حرب الايام الستة ، والشكل الحقيقى الذى اتحدته أحداثها . وحتى الآن . . لا يبدو أن تقرير « تشوغاخين » سوف يكون قفلاً للنشر . . ولكن من المؤكد أن أعضاء المكتب السيلسى قد قرأوه باهتمام .

يصرف النظر عما فعلته الحرب بالنسبة لطرفيها الرئيسيين - مصر واسرائيل - على سائرهما الأكثر أهمية في المدى الطويل هي شيء يهم الاتحاد السوفييتى ويتعلق به بالدرجة الأولى . أنها كانت تجربة جازحة للكرملين ، فكل المحاولات والحسابات لثمة ثبت أنها كانت خاطئة : من مصر ، ومن اسرائيل ، وعن سياسة الولايات المتحدة . وبالنسبة لمصر . . كان هناك حساب جزمى للذين اعتبروا مسئولين عما حدث . أما في موسكو . فلم يكن دور الحساب قد جاء بعد . . وذلك الأدلة تشير الى أن المكتب السيلسى يستعد لمثل هذا اليوم . يصرّف النظر من المدى الذى يستأخر اليه . وإذا كان هذا قد حدث في الاتحاد السوفييتى على المستوى الماهل . . فانه على المستوى الخارجى اعتبر بريخيف في السجاء على مصر بالمساعدات على نطاق لم يكن له مثيل من قبل ، ومن المقرر ان تية المساعدات السوفييتية ، عسكرية وغير عسكرية ، قد بلغت خلال السنوات الخمس التالية على كثره ٥ يونيو . . ما قيمته ٨ بلايين دولار .

إن بريخيف قد أخذ لنفسه أيضاً الاشراف الشخصى على علاقات الاتحاد السوفييتى بمصر ودول الشرق الأوسط . لقد ظهر هذا بوضوح كامل لأول مرة من الأحداث الدبلوماسية التى وقعت خلال الـ ٢٢ يوما ما بين ٢٥ يناير و ٢٦ فبراير سنة ١٩٧٢ ، وهى التى عبرت تماماً المفهوم الاستراتيجى الدبلوماسى للشرق الأوسط.

لقد اقامت أمريكا وإسرائيل اعتراضاتهما — على خطأ كيمسا
سيتضح — على أسس أن الزعماء السوفيت قد أصدروا قرارا
بالتسوية للبلدرة الأمريكية التي عكسها اتفاق حولدا مائير وبكسون
في ديسمبر ١٩٧١ ، والتسوية لمخاضات بكسون التالية في مكن .
أن السوفيت قرروا — هكذا بدا وقتها — أن يحتفظوا ببرد قطعهم .
انتظارا لانضمام زيارة بكسون إلى موسكو في مايو ١٩٧٢ .

ومع ذلك ، على الزعماء السوفييت ، بدلا من أن يحتفظوا
بالسلبية والهدوء . . قاموا في تلك ال ٢٢ يوما بمجهود دبلوماسي
مركز لم يسبق له مثيل في تاريخ السياسة الخارجية السوفيتية . أن
الطريقة التي تم بها تنفيذ هذا الهجوم السوفيتي المضاد للبلدرة
الأمريكية تم عن قدر قليل من الإيجال . من الدخية الظاهرية ،
بعت المسألة باعتبارها سلسلة من الإجراءات الحاطفة التي احكم
تسريها . ولكنها كشفت في الواقع عملية كاملة أحكمت حللتها . أن
كل الدلائل تشير إلى وجود يد قوية موهبة ومقل من خلفها —
وهذا مريخ عظيم من الدبلوماسية . وفي الواقع . . كان هناك
دليل كاف على أن ليونيد بريجيف السكسر العام للحرب الشيومي
السوفيتي ، هو المهندس الرئيسي للدبلوماسية شهر أكتوبر هذه .

خبيرما كالي الزعماء السوفيت يستعدون لمؤتمر القمة مع بكسون
في موسكو . . فانهم كانوا يقيمون مراكز مساومة قوية دبلوماسيا
وسياسيا . ولتحقيق هذا الهدف قلمهم حاولوا — مع أشياء أخرى
— أن يقوموا بتحييد الوجود الأمريكي الفعال في البحر الأبيض
والشرق الأوسط . . مل وشله لو لمكن ذلك . لقد رأوا أن عليهم
في سبيل تنفيذ ذلك أن يقوموا بلخواء وحصر الأدوات الرئيسية
لسياسة الولايات المتحدة في المنطقة : الأسطول السادس الأمريكي
.. والقوة العسكرية الإسرائيلية . وهكذا بدا السوفيت يسعون

بحو هذا الهدف خلال شهرى فبراير ومارس سنة ١٩٧١ .. وذلك
عن طريق تنفيذ سياسة محسوبة .. بهدف إقامة مراكز جديدة
للقوة السوفيتية في الشرق الأوسط والبحر الأبيض .

ولقد احتاج الزعماء السوفييت الى بعض الوقت لكي يروا المناجاة
غير السارة .. التى حرقوا بها من محاولات جولدا مائير وبيكسور
في واشنطن في ٢ ديسمبر ١٩٧١ . لقد أدت تلك المباحثات الى
اتفاق على توريدات جديدة من السلاح الأمريكى لاسرائيل ، وهى
توريدات اكبر هذا مما توقعه السوفييت ، كذلك لوجهى السوفييت
باتفاق جديد يتعلق بدور اسرائيل في المبادرة الدبلوماسية الأمريكية
و في البداية ، عطلت أحداث الحرب الهنكية الباكستانية على الأثر
المعجلة لتفاهم جولدا مائير وبيكسور . وصرح ما بدأ يتضح أن
هذا التفاهم قد ترك كلا من أمريكا واسرائيل في مركز قوى هذا ،
بالنسبة للصراع العربى الاسرائيلى .

ان الزعماء السوفييت لم يقوموا بتحريكهم المضاد الا في نهاية
شهر يناير سنة ١٩٧٢ .. وكانت طريقتهم في ذلك معوجة . انهم
قاموا أولا بدمرة زعماء دول حلف وارسو الى مؤتمر في « براغ » بمقد
في ٢٥ يناير . وبعد يومين من الإحساس .. خرج المؤتمر ببيل
رئيسى يعطى كل محاولات الدبلوماسية السوفيتية ، وكل فعلا بيان
واحد من تلك السياسات التوضيحية على الطريقة السوفيتية . لقد
حاء في البيل أن « الحدود القديمة حاليا بين الدول الأوربية ، بما في
ذلك الحدود التى تمحضت عنها الحرب العالمية الثانية ، هى غير
عاقلة للاعتداء » . بعد ذلك أكد البيل بهذه لاستخدام القوة ..
وتأكيدا لنادى القبلش السلى بين كل الدول .

ان كثيرين من المراقبين رأوا أنه ليس من المعقول أن يجتمع

رغمه دول حلف وارسو لكي يبحثوا في صوبيات مثل هذه . لابد
اذن ان تكون هناك امور أكثر حدية وتحديدا من ذلك .

وعلا . فخلال اسبوع واحد من اجتماع « براغ » .. بدا
الهجوم الدلوي على السوفييتي ، المتعلق بالشرق الأوسط .

في الثاني من تمراير سنة ١٩٧٢ .. قلم الرئيس السادات
بزيارة ودية للاتحاد السوفييتي « .. على حد تعبير البيال الرسمي
الذي صدر عند انتهاء الزيارة بعد يومين . لقد كان هذا انطوبا
غير عادي ، وغامضا . في وصف وصول الرئيس السادات .
بالمقاربة مع حالات الرعب الحرب الاخرين الذين سموه في ذلك
الشهر . ان البيال لم يقل ان الزيارة كانت بدعوة من الحكومة
السوفييتية . وقد حملت باقي لقائه نفس الطابع . لقد قال البيال
ان المباحثات المشتركة قد جرت « .. في جو من الثقة ، والفهم
الكامل ، والصداقة » . مع ذلك فان البيال لم يتضمن أي اشارة الى
الالتزام السوفيتي ذي الحليب الواحد .. الذي كانت تطمه دائما
جميع البيئات السوفييتية المصرية المشتركة . وعلى العكس من
ذلك . في هذه المرة .. كل هناك تأكيد على ان كل شيء سوف يتم
بالمشاركة بين مصر وروسيا على اساس السعي لحل مشكلة
الشرق الأوسط بناء على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .. وبواسطة
جهود السفير « جومار باريج » .. وليس جهود الولايات المتحدة .

وبعد رحيل الرئيس السادات بعثه ايام وصل الى موسكو لحاء
وقد عراقي برئاسة هدام حسين النكريتي نائب رئيس مجلس
الثورة العراقي . وعمما صدر بيل سوفييتي - عراقي مشترك
عن هذه المباحثات فانه لم يشر الى قرار مجلس الأمن . وبدلا من
ذلك نص البيال العراقي السوفييتي على « .. ان السلام الدائم في
الشرق الأوسط لا يمكن تحقيقه بغير تحرير كل الأراضي المصوبة

المحدثه بنجحه للمعنوان الاسرائيلى الامريكى .. وسعى ضمنى لتحقيق المطالب المشروعه لشعب فلسطين * . بعد ذلك نص البنى على مقرة غريمة سوف تتكرر بعدها عشرة ايام في بيان سوقيى لمين مشترك . كانت تلك الفقرة نص على .. ان العراق عبرت عن تقديرها لقرارات حلب وارسو .. وبرى انها مساهمة هبة لتحرير السلام في اوربا * .

كانت تلك الفقرة اشارة الى شكل الاشياء الناقية ، والتي تعبر عن رغبة الروس في ان تشارك دول الشرق الاوسط في تشكيل سياسة الامن الاوربى .

وقبل ان ننهي المباحث بين الوفدين السوفيتى والعراقى ، غادر المارشال اندريه جريشكو وزير الدفاع السوفيتى موسكو ، على رأس وفد سوفيتى للتباحث مع الصومال - الذى تقع على الجانب الآخر من البحر الاحمر في مواجهة عدن ، وعمر محجل البحر الاحمر والمحيط الهدى . ان جريشكو غادر الصومال في ١٨ فبراير . وقد أعلن رسماً في مباحثاته أدت الى * .. فهم كامل متبادل بالنسبة للتعاون السوفيتى الصومالى المشترك وتبنيته الى الحد الأقصى * . بعدها ذهب جريشكو الى القاهرة ليليا وصف بأنه « زيارة ودية رسمية » . ان جريشكو قضى ثلاثة ايام فقط في مصر ، وبعدها صعد بيل مشترك عمر من * .. الرضا الكامل عن تطور التعاون بين القوات المسلحة لكل من مصر والاتحاد السوفيتى »

ومع عودة جريشكو الى موسكو في ٢١ فبراير .. كانت هناك بعثة سوفيتية أخرى معسكر موسكو ، متوجهة في هذه المرة الى دمشق . لقد كانت البعثة برئاسة « كيريل مازوروف » النقيب الأول لرئيس الوزراء .. وكان من بين أعضائها الأربعة عشر نائبه

وزير الدفاع والحرال سوكولوف . وفي أول يوم كامل قضته بعثة « مارزوف » في دمشق . تم توقيع اتفاقية مع الحكومة السورية لتقديم مساعدات غنية واقتصادية سوفيتية . ولكن العرض الحقيقي للسلطة .. لم يشر إلا بعد الأيام الأربعة التالية من المباحثات .

إن المباحثات لم تركز فقط على المسائل الدبلوماسية والعسكرية المعتادة .. ولكنها أظهرت أيضا أن الاهتمام السوفيتي الجديد في المنطقة له مضمون سياسي قوي .. لأن المباحثات أظهرت محلا سوفيتيا جديدا للعمل على استقرار النظم السياسية للدول الصديقة والمهمة للاتحاد السوفيتي . وكما حدث مع العراقيين ، لمن البيان المشترك لم يشر إلى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وقد نص البيان على تعريف وتحديد المساعدة السوفيتية .. بحيث تمتدق « المقاومة العربية العادلة للشعوب العربية من أجل انحلال إسرائيل » . بعد ذلك لمس البيان مناطق الصراع مع الولايات المتحدة ، كما فعل البيان العراقي من قبل ، وعبر عن مساندة ، والتعاطف مع ، قرار دول حلف وارسو من أجل التعضير المؤتمر للأمن الأوربي ، ولكن ، بعد هذا .. جاءت المرقمة . أن البيان قال — وهذا غير مألوف بالنسبة لهذا النوع من البيئات السوفيتية — أن الجانبين قاما أيضا « .. بتوقيع وثائق هامة تتعلق بتطور نموحيهما الاقتصادي .. والملاقات بين الحرب الشيوعي السوفيتي وحرب البعث .. وبالمساعدة في تقوية المهجر الدفاعي للجمهورية العربية السورية » .

إن السرعة غير المألوفة التي كانت تعمل بها الدبلوماسية السوفيتية أصبحت ظاهرة في دمشق بعد عشرة أيام من توقيع هذه الوثائق الهامة . معنى لا مارس أعلن زعماء البعث في دمشق أنه تم تشكيل « جبهة تقيمية قومية سورية » .. وتشمل كل التجمعات السياسية ، بالإضافة إلى حزب البعث الحاكم . إن الحزب

الشيوعي السوري ، والاتحاد الاشتراكي العربي ، والحركة
الاشتراكية العربية .. قد ذكرت بالاسم ، كؤسسين للجهة
الجديدة . وفي نفس المساء ، اذاع نائب الرئيس السوري النص
الكامل لبيان الجهة ، الذي حدد سلطاتها ومسئولياتها . وكليهما
يتماشى مع المناقشات مع بعضه « مأزوروما » .

ان الجهة القومية قد اتمت في الواقع سلطة الحكومة وقطاعات
حكومية حيوية . مطلقا للمادة الاولى .. على مهنتها هي « تحرير
الاراضي العربية المحتلة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ » . ان هذا الهدف
له الاولوية فوق كل المهام الاخرى . اما المادة الثانية ، فقد اعلنت
ان الجهة سوف تكون مستقلة هي السلطة الاسفلية في « تقرير
مسائل الحرب والسلام » . المادة الثالثة اعطت سلطة تنفيذية في
كل ما يتعلق بالمحيط الاقتصادي . ان السيادة المستقلة للجهة
قد عبرت عنها المادة السابعة بتفصيل كد .. حيث قررت ضرورة
موادة الحقوق القومية الكاملة لشعب فلسطين في ارضه . ان هذا
النقد قد كرر صيغة العرطوم المشهورة من انه « .. لن يكون هناك
سلام او تفاوض مع العولة الصهيونية .. ولا منازل عن اى حرمين
الاراضي العربية المحتلة » . واكثر من ذلك .. قرر ميثاق الجهة
اعطاء بمساندة كاملة للمقاومة الفلسطينية ، وحمايتها ضد المحرم ،
وامطائها « حرية الحركة » . واعلى الميثاق في « الصهيونية العالمية
ورببيتها اسرائيل .. هما العدو الاول والمتميز لوطنا العرس . ان
المعركة الرئيسية هي بين وطننا من ناحية . وبين الصهيونية
واسرائيل والاستعمار العالمي الذي سرعه الولايات المتحدة من
ناحية اخرى » .

وبعد هذا الجانب الآخر من العملة . ان الدول الاشتراكية
الصديقة ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي . هي السند الرئيسي

للجمهوريه العربيه السوريه . ان هذه الدول هي التي « تقدم كل
انواع التأييد العسكري والاقتصادي والسياسي » .
ولكن ، حتى يبيننا الصيغة السوريه تتم في دمشق - اتحاد
السوفييت خطوات اخرى في البحر الابيض ، ووسط ظروف متناقضه
بعض الشيء .

على الساعه الثامه عشرة والنصف مساء التوقيت هنا مهم
يوم ٢٣ فبراير ١٩٧٢ ، اعلنت موسكو ان الرئيس عبد السلام
جلود رئيس الوزراء الليبي قد وصل من ليبيا على رأس وفد رسمي
ليبي يضم وزير الشؤون ولتينا لرئيس الاركان له يعطى اسمه . وفي
مطار موسكو قال الرائد جلود ان العرض من رياره - وهي اول
اتصال من هذا النوع مع الاتحاد السوفيتي - هو « تقوية الروابط
بين الثورة الليبية والاتحاد السوفيتي » . بعدها اضحك انه يبظر
قدما الى « نتائج سياسية واتصالية وعسكرية » تتحقق من
مصادقاته . وفي نفس المساء ، في الساعة التاسعة ، قامت وزارة
الخارجية الليبية - التي كانت تحت الاشراف الشخصي للعقيد معمر
القذافي رئيس مجلس الثورة - باصدار بيان يبكي اعتباره واحدا
من اكثر البيئات حبا وعراقة في الدبلوماسية العربية . لقد كلى
من المواضيع انه اعد بمصلبه .. وقد حظي بأكبر قدر من الاعلام
في صحف واداعة الحكومة الليبية . لقد قال البيان : « لقد أصبح
من الثابت ان العراق الشقيق على وشك إبرام اتفاقية مع الاتحاد
السوفيتي . ان الجمهورية العربية السورية تصير من اهتمامها البالغ
بهذا الاتحاد الذي يعود بالعراق الى ايام حلف بغداد والمعاهدات
الاستعمارية العربية .. انما ، ما زال مليل في ان يتلوم العراق هذا
الاتحاد ويحافظ على ما بقي من كرامته » .. ان الرسالة كانت
واضحة - ان الدول العربية يجب ان تكون بعيدة سلبا عن أي تورط،
سواء مع المعسكر الشيوعي .. أو مع القوى الغربية .

وفي اليوم التالي ، ولدت الرائد جلود برمة لكي يشرح هذا التصرف العريب برئيسه ، حنبا احتج برئيس الوزراء السوفيتي كوسيجين . . في محادثات استمرت أكثر من ثلاث ساعات . أن الروس وضعوا بنما احتريت كلمته مخرص ، بعد هذه المشوثة ، وتال البيان لي كوسيجين قد « استنسل » جلود . . وأنه « حري بينهما حديث ودي ناقشا خلاله نظور العلاقات السوفيتية الليبية ومشاكل دولية ملحة مثل الموقف في الشرق الأوسط » .

وبعدها بيومين ، وقع الوفد الليبي اتفاقيه برولية فنعسلي بمساعدة فيه رونييه ، مع نائب الوزير السومبي « بونيكوف » . بعدها كل من المفروض أن يعاين جلود موسكو الى موحارست لزيد من المناحلت البرولية مع الرومانيين . . ولكن رحيله تأخر ، لن شيئا لم يحدث لمدة ثلاثة أيام . وبعدها قال ميل قصير أن جلود اجتمع مع الرئيس السوفيتي بونجورني يوم ٢٩ فبراير ، أن ملك يقله البيان هو انها تعفنا لمدة خمس ساعات و ١٥ دقيقة - وهذا رقم قياسي حتى بالمقاييس السوفيتية . أن موضوعها الرئيسي كلى هو العلاقات بين ليبيا والاتحاد السوفيتي في « مختلف الميادين » . . وكذلك القضايا الدولية و « . في مقدمتها احتلال فلسطين والقضايا المتعلقة به » .

في نفس الوقت ، في طرابلس ، كلى العقيد القذافي مستمرا في حرب العصابات هذه ضد التقدم الواضح لمناحلت جلود في موسكو أن الصحافة والإداعة الليبية قالت ، سبا جلود يتحدث مع بونجورني ، أن العقيد القذافي رفض استقبال سفير العراق في مصر ، الذي قدم خصيصا من القاهرة لكي « يشرح وجهة نظر العراق في المعاهدة السوفيتية العراقية » .

مع ذلك ، يبدو أن هذا لم يؤثر على تقدم بحثة جلود في موسكو .
 غنى الثأى من مارس اجتماع جلود بالزعيم السوفيتى الذى سبق
 اسمه دائما رئيس الدولة ورئيس الوزراء فى كل السلك الرسمية
 — ليونيد برحيف سكرير الحرب الشيوعى السوفيتى ، انهما
 تحدثا لمدة أربع ساعات و ٤٥ دقيقة . وهكذا قضى جلود ١٣ ساعة
 مع ثلاثة رعاء سولت مهمين . وكل من الواضح انهم لم يهتموا
 بالمشكلة الصغرى المتعلقة بكيفية اداء ليبيا لحقل القترول البريطانى
 سابقا ، والذى تم تأميمه . ان .. لابد ان يكون فى الأمر شيء أهم
 كثيرا من ذلك .

لقد ورقت اشارة ما لهذه الحادثة فى الحديث الذى اعطاه جلود
 لوكالة ناس السوفيتية والذى لم يشر فى بلده — ليبيا — مع ذلك
 .. فان موسكو لم تدع آراء جلود بحلبا غلط ، ولكنها ادامتها أيضا
 فى ادامتها العربية الموحدة .

ان جلود قال فى حديثه : « ان الاتحاد السوفيتى آمنه دور هام
 يلعبه فى تمكين الثوات النووية المصرية من هزيمة الاستعمار
 الاستيطانى الصهيونى الذى تساعده الولايات المتحدة » . انه أصاب
 بحسونة يشهر بها ، ولكى الاسل لا يسهمها عادة فى الاداعة
 السوفيتية ، أنه مقتنع بأن « الاتحاد السوفيتى يستطيع ان يفعل
 الكثير لمضاعفة القدرة الدفاعية للعالم العربى .. وتمكين الشعب
 الفلسطينى من استعادة وطنه وارضه » .

ان جريدة « البراءة » السوفيتية — تشجعها فى ذلك صراحة
 جلود — قد جعلت مقورها فى لمة شد الجبل بين حنود وموسكو
 والقذافي فى طرابلس . غنى « مارس كتبت البراءة نقول » ان بعض
 الناس لا يحبون ان يروا العلاقات المتبادلة الرأيا .. وهى تسمى

بين بلعين . ان هناك اتجاها في ليبيا يرغبون في حق أسفين من عدم الثقة بينهما » . ان المرادوا - فيما عدا ذكر اسم العقيد القذافي كمصدر للمعارضة - جعلت التحوة واضحة بين الزعيمين الليبيين . ان الاختلافات لم تكن حتى الى نص النيل المشترك الذي صدر عقب انتهاء الزيارة في ٧ مارس . ففي نفس اليوم اداع راديو ليبيا المفهوم العربي للنيل ، فيما لم يدع النص السوفيتي الا في اليوم التالي . . كشفنا عن وجود عدد من الاختلافات .

ان المفهوم العربي - ولكن ليس الروسي - لك وجود مباحثات مطولة مع مرجعيات وبودجورمي وكوسيتش ، وان المباحثات جرت في حو من الفهم المتبادل والصراحة حيسا تناولت العلاقات السوفيتية الليبية . ان المفهوم السوفيتي حذف الفقرة التي ادعاه المفهوم العربي ، والتي تنص على « ان الجانبين طلبا اخلاق كل القواعد العسكرية في المنطقة ، لكن تكون منطقة ابن وعفوه وسلام واستقرار لكل الشعوب » والنسبة للباقي ، فان نص النيل اقترب من البيتين السوري والعراقي : لقد اذان الولايات المتحدة وعبر عن مساندة لمعط دول حلف وارسو بالنسبة للامم الاوربي والحركة التحرير الاغريقية . لقد كان واضحا ان الرائد جلود قد عاد الى بلده حاملا بركات وتأييد الزعماء السوفيت .

وهكذا ، فان شكل الحركات السوفيتية الاستراتيجية والدبلوماسية المضادة . . كان يكتمل في مطلع ربيع سنة ١٩٧٢ . لقد كان من الواضح انه بهدف الى تشكيل خطة سياسية استراتيجية حول اسرائيل . . وتحقيق مراكز قوة سياسية وعسكرية للاتحاد السوفيتي . وكان من الواضح ايضا ان الزعماء السوفيت مهتمون بنقطة رئيسية : انه بالرغم من انهم ربما يحتلون مراكز قوة دبلوماسية . . فان العالم العربي متاثر للغاية بضمحوظ

داخليه يمكن ان تهدم البناء السوفييتي العلماني والاستراتيجي، ان المخطط للعلومانية للرئيس السادات خفف ملموسة . ان التصدع الفلسطيني اظهرته هزيمة حسين لمنظمات المقاومة الفلسطينية .. تتركها محيلا واحدا أمام المقاومة الفلسطينية .. وهو الاتجاه الى الارهاب . ان هذا سوف يترك الروس والزعيم العرب الآخرين ، ويضيف الى عدم الاستقرار الشامل في المنطقة

ان محاربة المتهبين بقتل وعلى القتل رئيس الوزراء الأردني السابق في القاهرة ، وسماح القاهرة لحاملي المتهبين بأن يطمحوا أن القتل كلن ميلا بخروعا ضد طاعية بمسجد - قد أضاع الى هذا الاتجاه . ان الزعماء السوفيت قد عبروا أيضا لشخصيات سياسية اجنبية زاروا موسكو - عن اهتمامهم بالدور الذي تلعبه الصين الشعبية في التسلل السطحي الخمسة والثلاثين مليون مسلم الذين يعيشون في الاتحاد السوفيتي .. أساسا في المناطق المتاخمة للحدود الصينية . ومن ناحية أخرى فإن النسي اذاعت بيانات عديدة تطلق فيها ادانة السياسة السوفيتية التي تسمح لليهود السوفيت بالهجرة الى اسرائيل . وعندما تأخذ كل هذه مما في الاعتبار .. فإن الهجوم العلماني الذي تم شمه .. كل أكثر شمولاً وتركيزاً من الحركات السابقة المماثلة - لأول مرة ، كان الاتحاد السوفيتي يسمى أيضا الى ان يضمن لنفسه درجة من السيطرة المباشرة في البلاد العربية .

ان مريخا من الوعود المعكرو السوفيتي في مصر ، والتشكيل السيلي للجهات القومية النقدية مع الشيوعيين ، وابرام اتفاقيات صداقة مع مصر والعراق وسوريا واليمن الحزبية وجمهورية الصومال وربما مع ليبيا .. لم يعد مجرد افكار على الورق . ان هدفها جديدا كل معبر ميران القوة السياسية

والعسكرة في الشرق الأوسط والبحر الأبيض ، ورغم الترتيبات الجديدة بين الولايات المتحدة وإسرائيل .. ورغم وجود الأسطول السادس الأمريكي وحلف الأطلسي في البحر الأبيض . لقد كانت هذه هي أكثر المفردات طموحا من جانب الاتحاد السوفيتي فيما يتعلق بالشرق الأوسط — أو هكذا بدت المسألة في أعين الرعياء السوفيت والمراقبين الغربيين . ولكن مريخيف — مثل سمارك من قبله .. والذي يشبهه من نواح كثيرة — كل لديه ما هو أكثر من الحديد العربي في النار . لقد وضع حديدا في النار بالنسبة لتيكمون أيضا .

إن إعادة دراسة الأحداث بعد وقوعها له ماله .. ومساوئه أيضا . إن أغراء إعادة كتابة تاريخ العلاقات السوفيتية المصرية في ضوء « طرد » السوفيت من مصر في يوليو ١٩٧٢ ، هو أمر عظيم . إنما يدرك الآن أنه كل هناك قدر كبير من الحديث المزجج في كل تلك الأحاديث والبيانات الرسمية ، كما يتلذذ به حتى ١٨ يوليو سنة ١٩٧٢ ، عندما انسحب الرئيس المصري لتتور السجلات القرار الذي لم ينص على أحد أن مصر تخرق على اتفاقه . أنه القرار الخامس بترحيل جميع الخبراء والمهندسين السوفيت من مصر قورا .

إن الرئيس السادات نفسه كان هو الذي اتخذ القرارات ، وهو الذي عسر دوائمه ، وهو الذي تحمل نتائجها . لقد أعطى الرئيس السادات تفسيرات وافية ومقنعة للشعب المصري ، وفي الأحاديث المحببة . وفي المحادثات الخاصة مع سفراء الدول الصديقة .. وكذلك في حديث مع عدد من رؤساء التحرير المصريين قبل عدة أيام من إعلان القرار التاريخي الحظي بترحيل الخبراء الروس من مصر . أن « أربود دي مورشيحراف » الصحفي الكبير في مجلة « ميورويك » الأمريكية .. أعاد بناء الخط الرئيسي لأقوال الرئيس

السادات في هذا الاجتماع . ومن الواضح ان تقرير «بور شيجراف» هو أصفق تقرير نشر مفسرا ما حدث . وطبقا لهذا المفهوم على خلاصة الخط الرئيسي لتفسير الرئيس السادات هو — طبقا لأقواله — كما يلي :

« .. انكم لا تستطيعون ان تتحللوا كيف اصبح حيائي معد اصبحت رئيسا للجمهورية . من النادر ان كان هناك يوم واحد يمر مصر شجار مع الروس . انهم لم يبتقوا في مطلقا . لقد تناولوا انمي متعاطف مع الأمريكيين ، واسع مصر للاتريكيين . وحسباً ذهبت الى موسكو في مارس سنة ١٩٧١ . وقدبت قلبي الا ان لمصرات الميج ٢٢ ، تاتهم لغيروني بعد مناقشه مطوله . ان طائرات الميج ٢٢ سوف تصل حالا ، وانهم سوف يتناولون في تدريب لطيارين المصريين غورا . ان الميج ٢٢ لم تصل ابدا . وبدلا من ذلك على مجموعة على عبري حاولت قلبي من الحكم ل مايو سنة ١٩٧١ . وحينما اتى الرئيس السوفيتي بوجدورس الى القاهرة مؤجرا في نفس الشهر — مايو سنة ١٩٧١ — وتم توقيع معاهدة الدفاع المشترك . لقد اعطيتي كلمة سوف نلنا سوف يحصل على الميج ٢٢ خلال اربعة ايام من عودته الى موسكو » .

« انمي وقعت المعاهدة لاتي تمسورت ان هذا سوف يجعل الروس يملكون من جديد انمي لم اك رجل امريكا ، وانهم يستطيعون الثقة بي ، ولتوق تلك كله . ان مصلحه مصر فوق الجميع » .

« بعدها . لم يحدث شيء . ان الروس يعرفون انني قررت ان سة ١٩٧١ يجب ان تكون هي سنة الحسم بالنسبة لارصا المختلة ، ولكن ، كان يتضح لي انهم ان يمدوا بالمعدات التي تحتاج اليها من

أجل تحقيق حدّ الهدف . أن حصر الأسماء في سلبهم كان هو
صروء الاحتفاظ بحاله " لاسم ولا حرب في الشرق الأوسط . انسى
دهت الى موسكو مرة ثانية واكتوبر سنة ١٩٧١ . أن مودجورى
— الرجن الذى اعطانى كلمة شرم — كل غير موجود في أى مكان .
لقد اصبت وحدي مع كومجى ، ثم لحق بنا بريخيف في يومى
الآخر هناك . »

« لقد توصلنا الى اتفاقى حديد . اسم وعدوى بل هذا الاتفاقى
الحديد سوف يتم نميده قبل بهانه السنة . ومرة أخرى لم يحدث
شيء . . . استثناء الحمر الحوى السوفيتى الى الهند . هذا الحمر
اشت لى أن الروس ، حيثما يريدون مساعدة بلد . . . فاتهم ينفطون
ذلك . . . معر أن سمهم حقيقة أن الولايات المتحدة تسند الطرف
الأخر . وبما على ذلك . . . فامنى قررت أن الوقت قد هان من أجل
تهديد وثلية علاقتنا بالامحاد السوفيسى . . . لقد أخبرت السفير
السوفيتى باننى أربع في زيارة موسكو قبل نهاية السنة . كل هذا
يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩٧١ . لقد هاء ردهم في ٢٧ ديسمبر ،
واقترح الرد أن يكون موعد الزيارة في شهر فبراير . اننى أخبرت
السفير السوفيسى « ميوجراحوب » بانى صبرى قد لوشك على الماد
. . . ولكن من أجل صداقتنا فامنى سوف تنتظر حتى فبراير . وبعد
تلك الزيارة ذهبت الى موسكو من حديد قبيل اجتماع القمة الروسى
مع بيكسوف . اننى كنت أريد أن أؤكد من لى الروس أن يوافقوا
على تقصد اهدادات الصلاح قبل أن تجلو إسرائيل . »

« اننى ظلمت برمدا من الوعود التي لم تتحقق . . . وبعد الانتظار
شهرًا كاملًا — أرسلت خطابًا يتضمن نقاطًا سما الى بريخيف . .
من أجل تحديد علاقتنا . اننى أخبرته بانى سيطرة مصر سوف تستعيد
على أحلامه . وحتى ١٥ يونيو سنة ١٩٧٢ لم اطلق أية اجابة لهذا

كثرت حمل. آخر الى بريجنيف . وبعد ثلاثة اسابيع اخرى ، احضرني
 السفير السوفيتي انه تلقى رد موسكو . انه جاء ليراسي ، واعطاني
 خطاب بريجنيف ، الذي كان مكتوما باللغة العربية . انتي طلبت من
 مساعدتي ان يقرأه . ان الصفحة الاولى من الخطاب كانت تتكسر
 بالروح الحارة والوفقة التي سيطرت على العلاقات السوفيتية
 المصرية . الصفحة الثانية هاجمت محمد حسني هيكل . وتعرضه
 المسئول من تدهور علاقاتنا . للصفحة الثالثة استمرار في الهجوم
 على هيكل . بعد ذلك — لا شيء . لقد انتهى الخطاب . ان هذا
 جعلني غاضبا جدا ، وعلى الفور قررت ان انصرف في وجود السفير
 السوفيتي . اني املت لوامري :

١ — جميع المستشارين السوفيت في القوات المسلحة عليهم
 معاداة الاراضي المصرية خلال عشرة ايام تبدأ من ١٧ يوليو .

٢ — كل الاحهزة العسكرية السوفيتية يجب وضعها تحت
 الاشراف المصري .

٣ — جميع المعدات العسكرية السوفيتية يجب بيعها الى مصر
 لو اخرجها من الاراضي المصرية غورا .

٤ — أي مظاهرات ضخمة بين مصر والاتحاد السوفيتي ، يجب
 اجرائها في القاهرة . . وليس في أي مكان آخر .

ان نيموهرادوف رحل الى موسكو على الفور . وكان الرئيس
 السوري حافظ الأسد قد اصابه لزيارته بعد ان انتهى لثووه من محادثات
 مشتركة في موسكو . ان الرئيس الاسد سألني كيف اتوم بمثل
 هذا العمل بيما هو قد وقع لثووه لتتلقا مع الروس لشراء اسلحة
 قتيها ستمائة مليون دولار . انني اخبرته بالا يتلق عليا ، وان
 يفعل ما يرى انه في مصلحة سوريا . واحيرا ، احضروني من الروس
 يريدون وفدا مصرية على مستوى عال . . لكي يمشرو الى موسكو

ويشرح لهم اسباب تصرفي .. انني قررت ارسال رئيس الوزراء
صفى . واحضره بأن يقوم بجهود آخر للحصول على الميج ٢٢ .
وكل هذا بلا فائدة . انكم تعرفون بقى القصة .

بعدها اكد الرئيس السادات ان هذه الوثيقة الضرورية مع
الصديق .. لا تؤثر بأي حال على جوهر الصداقة السوفيتية
المصرية . التي رآها تتوسع في مفاهيم جديد ومرحلة جديدة .

والواقع ان الرئيس السادات لم يكن مفاجئا لأحد في تفكيره هذا .
ان السادات كان يرى دائما ان المعركة هي معركة مصر ، ولا أحد
غيرها . وان مصر لا تريد من أحد ان يحوض حربها بالنيابة عنها .
ان الصدي المصري هو الذي سيحرر مصر شرا شرا . وكانت هذه
هي عقيدة الرئيس السادات دائما . وكانت عقيدته ايضا هي انه
لا يرغب في أحداث مواجهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .
ان كل ما يسعى اليه هو تحرير التراب المصري من الاحتلال الأجنبي
.. وهذه هي القضية الرئيسية ، بل الوحيدة ، التي شغل بها
نفسه منذ تولي الرئاسة .. ومن اجل تحقيق سياسته هذه .. كان
الهدف من طلبه الى الاتحاد السوفيتي امداده بأسلحة هجومية —
الميج ٢٢ وأنواع معينة من الصواريخ أرض أرض . ولقد كان
مستعدا لعمل أي شيء في سبيل تحقيق هدفه الأخير ، طرد الاحتلال
الإسرائيلي .

مع ذلك غامه لا موسكوا ، ولا واشنطن . صدر عنهما أي رد فعل
لهذا التطور المفاجيء . ان كليهما حاول في البداية ان يتحاشا
مضمون هذه الخطوة في المدى الطويل . ان برخيف وبيكسوف ،
لم يرتكبا الخط الذي ارتكبه بقى المفاوضين والحكومات .. بما في
ذلك الاسرائيليون — جميعا افترضوا ان اسحاب الروس قد أدى
الى حدوث تغيير أساسي في للشرق الأوسط ، وصاعف من تعرض

وجود تسوية بالمفاوضات بين مصر وإسرائيل. إن هذا ليس بمعناه أنه يمكن هناك تعير في الموقف . كل شيء هناك تميز .. ولكن التميز الذي نتيجة لاختلافات بريخيف وبكسوت ، وليس بسبب انسحاب المسؤولية . إن الروس استنطاعوا .. قبل مؤتمر القمة الأمريكي السوفيتي - إن يكسوا موافقة الولايات المتحدة على حالة من التعادل الإسرائيلي في البحر الأبيض . إن معنى هذا «الترتيب» تتطلب ترتيبات أصابية .. رغم أنها غريبة .

إن المصالح الاستراتيجية والاتصالية والسياسية لكل من الشرق والغرب ، أصبحت تتطلب مقاييس جديدة لمنع نشوب حرب أخرى . هذه المقاييس لابد لتحقيقها من وجود شكل ما من التفاهم السوفيتي الأمريكي القائم على تعادل سلمي وأسرانجي متفق عليه في البر كما في البحر . مع ذلك .. على السياسة السوفيتية كتب تتحرك بسرعة أكبر ، وتنظر إلى الأمل بعد من الأمريكي والحكومات الأوربية . وسواء كل هذا خطأ أم صوابا .. فإن الروس كانوا أكثر اهتماما بالحلف الجديد النامي في الشرق الأوسط ، والذي يقوم على أساس وجود قوتين عسكريتين في المنطقة : إسرائيل وإيران .

إن ما بدا أنه قد تم تركه مفتوحا في مناقشات الشرق الأوسط - التي لم تكن بمعهد هذا - ضمن احتياج القبة وموسسة ١٩٧٢ .. كمن هو السؤال : هل يقوم الروس والأمريكيون بتشجيع هذا الاتجاه الجديد في الشرق الأوسط .. أم يعارضونه كمصرا تنسائي حديد ؟ إن الروس عابوا اتسحابهم من مصر كمنود حديث لمقوم ليمن : خطوة واحدة إلى الوراء .. وحطوت إلى الأمام . إن المحور الجديد للمصالح الروسية معقد عبر سوريا والعراق إلى جنوب اليمن ولتريقيا .. وقد اكتسب هذا المحور قوة عن طريق إيران والهند وأفغانستان . إن الروس كانوا يقصرون الاحتفاظ

بوجودهم في الشرق الأوسط من مركز قوة جديدة . انهم لم يكونوا وحدهم في ذلك . ان الأمريكيين قبضا فهموا ان الشرق الأوسط — ليس جنوب شرقي آسيا .. ولا فيتنام .. ولا باكستان .. هو الذي يتطلب شكلا جديدا من الوجود الأمريكي يساعد على تأمين مورد البترول .

ان كلنا القوتين — روسيا وأمريكا — أصبحنا مهتمتين في سنة ١٩٧٣ بشيء جديد وواحد ومتفق عليه : البترول . انهما تختلفان في طبيعة هذا الاهتمام والسلبه ، ولكن الاتفاق بوجود علي نقطة واحدة : ان بترول الشرق الأوسط يجب الا يتأثر مصراعات الشرق الأوسط .. وخصوصا بالتفراع العربي الاسرائيلي .

وعكذا فلي سمرا جديدا دخل في حسابات الدول الكبرى بالنسبة لصرامها على الشرق الأوسط . ان هذا العصر كان موجودا دائما .. وحاسبا دائما .. ولكن في هذه المرة أصبح هو العصر الذي يحدد أولوية مطلقة بالنسبة لسياسات الدول العظمى المتعنتة بالشرق الأوسط وأهدافها في المنطقة . هذا العصر هو : البترول .

عند هذه النقطة بالمصيط يصح ان نرجع الى الوراء كثيرا .. الى مطلع هذا القرن العشرين ، قبل خمسين سنة من الآن تقريبا .

في منتصف شهر أغسطس سنة ١٩١٨ قال «آرثر جيمس إلغور» وزير خارجية بريطانيا لرؤساء ودرارات المصمرات والمسؤولين فيها في اجتماعهم بلندن . «لنا لا يهمني ما هو شكل الحكومة التي محتفظ في ظلها بالبترول .. ولكنني وأصح في أنه من المهم جدا لنا ان مضمون استمرار الحصول عليه » .

لقد حامت هذه الكلفة وتمسكت بريطانيا هي القوة العظمى
السيطرة في الشرق الأوسط . وقد سقتها فكرة هامة للعامة تنبئها
الكولوميل هاتكي سكرتير مجلس الوزراء ومجلس الحرب البريطانى
حول سرور الشرق الأوسط . ان تلك الفكرة لصارت مجلس الحرب
البريطانى بالخلق .. وهو خلق استمر قائما طوال الخمسين سنة
التالية ، ولم يتوقف حتى اليوم (١٩٧٢) .

ان الكولوميل البريطانى « هاتكى » أدرك في تلك الايام الفكرة
والعصية من سنة ١٩١٨ أهمية مثل السرور . وسبب ادراكه
هذا .. على البريطانيين سموا بمرء حليته حبيب حان وقت
اقتسام مناطق المتروك بين الدول الكبرى المتحاربة .. ولكن لم
يكن الحال كذلك بالنسبة لثريكيها في محله الشرق الأوسط .

أما بالنسبة للقوميين العرب من ناحية ، والصهيونية من ناحية
أخرى . فانهم أخطأوا القارب معا .. ان كلا منهما كان مشغولا
بالنظر الى داخله نهائيا .. بحيث أنه في خلال تلك السنوات
التي شكلته بعد سنة ١٩١٧ .. كان كل منهما مشغولا نهائيا
بمسأله الخاصة .. ومرثم فارتكبا غشا في رؤية أهمية عنصر
المتروك . ليس هذا فقط بل ان كلا من العرب والصهيونيين رأى
ان اهتمام البريطانيين والفرنسيين والأمريكيين سرور الشرق
الأوسط .. هو عنصر حاديه معانف .. ومن ثم مل عندهم ان
يكسفوا المفاسد ضده . انهم — العرب والصهيونيين — لم يروا
المتروك باعتباره الورقة المرائحة التي يستطيع كل منهما أن يحصل
عليها ويلعب بها .. لذا استطاع أن يفهم اللية الأكبر .. التي
كان كل منهما جزءا منها دون أن يدرك

ان العرب والصهيونيين — في تلك الأيام — مشغولوا في أن يفعلوا
هذا . والاسوأ من ذلك ، انهم نجحوا في خلق انطباع لدى

البريطانيين بأنه لا الصهيونية ولا القومية العربية لديها ما فعله للمساهمة في أعلاه تشكيل الحطة البريطانية الكبرى للشرق الأوسط . لقد أدى هذا إلى عزل البترول عن الصراع السياسي في الشرق الأوسط . وكان هذا شيئا كاملا منوجهه نظر الدول الكبرى لكن تصانده بالقوى المبررات الاخلاقية والسياسية . ان البترول كان مصرا ضروريا في الأمن القوي البريطاني . . وانت لست مداهما لأن تكون مؤمنا بالصهيونية أو مؤمنا بالقومية العربية . . (لكن تكون مؤمنا بالبترول .

لقد كان هذا يمثل بكل تأكيد شكلا جدادا وفعلًا بالنسبة للدول الكبرى ولقد كان هذا هو لبها هوهر المسألة بعنونة ١٩٢٢ . ان كلا من القومية العربية والصهيونية لم تعد له جانبية كبيرة للبريطانيين أو الفرنسيين أو الأمريكيين بالنسبة للسياسات العملية المتعلقة بالشرق الأوسط . ان كليهما لم يكون مفيدا في دعم المركز الاستعماري للسيطرة على — واستغلال — حقول البترول . لأن احدا منهما لم تراوده هذه الفكرة .

ومع تقدم سنة ١٩٢٢ . . أصبح كل من العرب والصهيويين أكثر اهتماما بأن يكون مرعفا ومؤيدا للبريطانيين . . وأكثر من اهتمامه بالدخول معهم كشريك . ولهذا السبب على البترول أصبح — كما كان دائما — هو قوة ثالثة في الصراع بين العرب والصهيويين ومع غزور القضايا القومية ودولها بعد الحساس الأول لها قبل سنة ١٩٢٢ . . على تصيه البترول امتجمعت قوتها و — بعدها بحسين سنة — حدثت ملحدات تحول ضخم في الموقف العالمي .

وليست هناك حاجة لأن نكرر من جديد تاريخ تزايد أهمية الشرق الأوسط . ولكن بالرغم من أن العناصر الأساسية قد أصبحت معروفة . . فإن هناك واحدا أو اثنين من الاستقصاءات الأساسية

لقيامه العامه . بناء على ذلك غلب ما يحتاج اليه هنا هو ان يؤكد على العناصر الاسفسيه في دور سرول الشرق الأوسط .

لقد بدأت القصة مع اهتمام وزارة البحرية البريطانية بامدادات الوقود اللازمة للاسطول الملكي المتوسطي . . والذي كان يحول من النعمان الى انترول . لقد بحث مجلس الحرب البريطاني وامسئولون في الحكومة البريطانية النظمهات العريضة لذلك ولكن خلال أشهر قليلة من اتفاقية الهدنة في يومس سنة ١٩١٨ . اتسحت عوامل أخرى أكثر ملاهه أهم السلطات البريطانية . وكانت هذه العوامل كالفية لأن بعض السلطات البريطانية السماح لشركه « سكيلر » الأمريكية للسروول . . بأن يرسل مرقى استكشاف الى العراق .

كانت اتفاقية « سكيلر ريمو » في أبريل سنة ١٩٢٠ قد أدت الى حل الخلافات الانجليزية البريطانية حول سوريا وفلسطين . وادت أيضا الى إقامة سوق مطلق سايما — مقصور على البريطانيين والفرنسيين — بالنسبة لاستغلال المنروول العربي . لقد أصبح الأمر الى ست سموات من العهد الأمريكي المستمر قبل أن يتم التوصل الى اتفاقية جديدة سميت « اتفاقية الحط الأحمر » في سنة ١٩٢٨ . في هذه الاتفاقية الجديدة أصبح مسموحا للأمريكيين بمشاركه محدودة في عمليات المنروول الفرنسية الانجليزية . ولم يكن هذا التطور ممكنا — الا بعد أن أصبح عنصر الأرباح الضخمة حافزا اضافيا . . أهم شركت المنروول الدولي .

لقد استمر الحال كذلك حتى شوب الحرب العالمية الثانية . وخلال سنوات الحرب على الأمر لم يفتح من الأمريكيين في هذه المرة أي وقت على الإطلاق لالغاء اتفاقية الحط الأحمر . في هذه المرة كل الفرنسيون والبريطانيون يوافقون بمصاعب شديدة ويحتاجون الى المساعدات الأمريكية . ولو لم يحدث هذا التطور الجديد لكان

البريطانيون والعربيون قد ضمموا اشراكهم مع الأمريكيين في الاكتشافات المنزولة المصحبة الحديدية في السعودية . ومع ذلك فعلى قتل أن يحدث هذا التطور — تستطيع أن يعود حلا الى سنة ١٩٣٣ . وقتها كانت شركة البترول العراقية — وهي شركة بريطانية — تستطيع أن تشارك مع الأمريكيين في عمليات البحث والتقيب عن البترول في السعودية . لكن شركة بترول العراق اعتبرت أن طلبات الملك سعود المالية مرتفعة جدا . أن الشركة قررت أنها لن تدفع للملك أكثر من عشرة آلاف جنيه استرليني فقط . . ثمة للحصول على امتيازات البترول . . ولو أنهم قد عرضوا خمسين ألف جنيه فقط — لكنوا حصلوا على الامتيازات . وعندما دخل الأمريكيون في المناقشة معهم كانوا يريدون أن يضمموا من البداية حصولهم على هذه الامتيازات . ولهذا عرضوا خمسين ألف جنيه استرليني . . وحصلوا على الامتياز لمعلا .

ان الأرباح التي حصل عليها الأمريكيون من هذه الصفقة رادت عن ألف مليون دولار . ولكن في الثلاثينات ، لم يكن قد انضمت بعد أمام الشركات النصفية المعتمدة . مرحلة الأمان المالية لأعمال البترول . ان تلك الشركات القومية — التي كانت هولندية وبريطانية أساسا — كانت تحصل على أرباح ضخمة جدا من البترول مقابل اتفاق قليل جدا . انها كانت سعيدة بذلك . . ولم يكن تغيير هذه العقلية ممكنا . . الا مع مشوب الحرب العالمية الثانية .

مع قدوم سنة ١٩٤٣ . . كانت السياسة الأمريكية البترولية تهاجم لسانها الأحرة ، متحررة من قيود انطاكية الحط الأحمر . ان الأمريكيين تلقوا . . في وقت مبكر من تلك السنة — منكره بريطانية . اراد منها البريطانيون أن يقتنوا الأمريكيين بـ « الاهبة الكبرى والتمرايد للشرق الاوسط بالنسبة للكومولث البريطاني » . . وهي اهبة رأى البريطانيون انها تنوي اهبة المنطقة بالنسبة

للولايات المتحدة . لقد طلب البريطانيون التسلح مع الأمريكيين حول هذا الموضوع . . . ولكن الأمريكيين احتجوا هذا الطلب .

مع ذلك من بريطانيا تصورات انه يمكن اقناع الأمريكيين — « ان يسمحوا لنا بتحرر معين من المناورة السياسية » ولكن الأمريكيين لم يكونوا ميلين لذلك . ان المبعوث الخاص للرئيس الأمريكي روزفلت — هالغورد هو سيكر — منح الرئيس بأن هذه هي الفرصة الحقيقية الأولى أمام الولايات المتحدة لكي تهيئ مصالحها بالشرق الأوسط فيما بعد الحرب . وحتى لو تصرفنا واشتري كثير من أصغر للبريطانيين — فإن أمريكا لابد أن تترك — وتعترف بتزايد مصالحها السريالية في المنطقة . و « . . . نبدأ مع هذا التفكير فانه أوصى أيضا بأن تعارض الولايات المتحدة الادعاءات الصهيونية في فلسطين . . . وفي الحقيقة فإن السيطرة على البترول تحتل الآن أولوية مطلقة في السياسة الأمريكية العامة بالشرق الأوسط » . هكذا أصبح هناك إدراك أمريكي كامل بأن بترول السمودية أصبح بشكل واحد من أكبر الجوائز المالية .

وفي نفس الوقت طلب وزير الخارجية الأمريكي من حكومته وزير حبيبة حقيقية ومساندة للمصالح الأمريكية ضد النوايا البريطانية طويلة الأجل الخاصة — « . . . تلبية مركزهم في غرفة ما بعد الحرب بالشرق الأوسط على حساب المصالح الأمريكية هناك » . ومن ثم . . . فإن وزير الخارجية الأمريكي منح حكومته بأن تقتصر مساهمتها للبريطانيين فيما يتعلق بتوسيع مصالحهم السريالية . على القدر الضروري اللازم لتطلبات الحرب الخاصة .

كل هذا الإحساس بالالاحاح والتدخل في واشنطن — يعده

حسن الطالع في اكتشافات البترول السعودي — يمتد الى دائرة
اكثر من هؤلاء المنصلين به مباشرة . فخلال فترة قصيره مرسلة
ورير الخارجية الأمريكي . . قام « جيمس مورستال » . . ورير
البحرية الأمريكي بخبراء حديث شيموس مع الرئيس الأمريكي
روبرت . لقد اجبر الرئيس على رجال البترول الأمريكيين متلفون
للحصول على تأييد ومساعدة الحكومة الأمريكية مما يعني بترول
السعودية . . ولكنهم في نفس الوقت لا يريدون مشاركة الحكومة .

وفي تلك المكالمة المسجلة قال ورير البحرية للرئيس الأمريكي
« ان الشيء الرئيسي هو ان هذا الكثر البترول في السعودية . .
هو شيء « يجب الا نحصره بأي شيء » . بعدها اجبر الرئيس على
البريطانيين ارسلوا الى السعودية خمسة رجال مختارين تمت
اسم خبراء لحاربة الجراد . . بينما هدمهم الحقبتي هو ان « بروا
ماذا يفعلون نحن هناك وما الذي حصلنا عليه » .

لقد كان البريطانيون متفهمين الى هذا الاهتمام الأمريكي
المحوم والمفاهيم ، بترول السعودية . ان رئيس الوزراء
البريطاني وسفوف نشرشمل شعر بأن عليه ان يرسل برقية الى
روبرت لتتبرر بالسلطة والنفوذ . يحذر فيها بأن هناك حثبة
في مجلس الوزراء البريطاني من ان « الولايات المتحدة لديها رغبة
في ان تحرمنا من ممتلكات البترول الخاصة بنا في الشرق الاوسط
— والتي تعتمد عليها — مسمي اشياء أخرى — كل الامدادات
اللازمة لاسطولنا البحري » .

لقد احب روبرت منقته انزعج من اشاعة « ان البريطانيين
يرغبون في ان ينفقوا بقرصهم في احتياطات البترول بالسعودية » .
وكان هذا الرد من روبرت هو اثسالة خطر رآها نشرشمل
بوضوح — واضطر بعدها ان يسلم في النهاية بالامر الواقع ،
حتى لا يؤثر هذا التحالف العربي في الحرب . وساء على ذلك

قرر نشر مثل أن مضمي درجة الحرارة ورسالة شخصية بعث بها إلى رورملت . أنه شمسك الرشني الأمريكي على أن الحصول البريطانية للسفرون في إيران والعراق لا « ترعلل » ميون الأمريكيين . بعدها قال له : « أني أعطيك ضمانات وتلكذات كاملة دائما لا يمكن في أن منفع تقريبا في مصالحتكم أو ثرونتكم في المصروفية . أن بريطانيا لا تريد مكاسب اقليمية أو اية مكاسب أخرى من الحرب ، ولكن يجب عدم حرمانها من أي شيء ينفي إليها بطريقة مشروعة . . على الأقل ملامت أحسن بنقتكم في حسن تسهيري للأموال » .

كانت تلك هي أيام القرصنة الرومانسية بالنسبة لبتول الشرق الأوسط ، وأولئك كفوا هم الرجال المنصلين بها . أن بعضهم كل مهنا بالأمس القوي ، بعضهم اهتم بالمكسب الاقتصادية — وبعضهم بالمكسب الشخصي أو الحصول على أكثر قدر من النقود — سبابيسي تلك الأيام . أن التفات السهاسية كانت موجودة هي الأخرى . . ولتمها لم تكن بعد مهيمنة .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية . . جاء التسير . لقد كان تعبيرا كاملا واجهته شركات البترول . أن المنافسة كانت كاملة ، والنفائص أصبح نايبا . . بين الزهال الحد . . والمبيعات المحددة . . والنظورات الجديدة لسنة ١٩٤٦ . . عن كل شيء قبلها . لقد كان تعبير الحرس القديم صما ، وكثير من الشركات لم يعمل ، ولم يرغب في أجرائه . لو . . لم يستطع تمده ان احدى الحالات الواضحة لذلك كان يمثلها السير « ويليلم فرانسر » الرئيس العظ للشركة الإمبريالية البريطانية للبترول . أنه كان يتحدد إجراءات مشددة للعلية . . لكن يضمن في النهاية أنه لا أحد خارج مكتبه . . يعرف أسرار عمليات شركته في إيران ، أو ما هي

الأرباح الحقيقية التي تحمل عليها الشركة من عملياتها في إيران .
 ان الميراثية السعودية للشركة كل يتم تصميمها بحيث يحظى
 المعلومات بأكثر مما تكشف عنها . ان كل ما كان معروفاً هو ان
 الحكومة الإيرانية حصلت على عائد مسوى يتراوح بين مليونين
 وأربعة ملايين هـ . ثانياً لتقول ثم يبعه بملء يتراوح بين ٧٠
 و ١٠ مليون جنيه استرليني . ان معظم التحويلات المستقلة للبراء
 الإيرانيين والمنقذين الأمريكيين لم تكشف من التكاليف الحقيقية
 لهذا الانساج البترولي . . لو حدود الأرباح التي حققتها الشركة
 الاحتلالية . مع ذلك — على لجنة في مجلس الشيوخ الأمريكي
 أعدت « هيئة تكاليف » محسوبة على أسس البترول المستخرج
 من المملكة السعودية . ان الظروف هناك كانت مشابهة لتلك
 القائمة في إيران — فيها عدا ان الرسوم التي يتفهمها الأمريكيون
 كانت أعلى مما يدفعه البريطانيون بقدر مليون . مع مراعاة هذا
 الاختلاف — على الرغم الاجمالي الذي حققته الشركة البريطانية
 الإيرانية في السنوات العشر ما بين ١٩٢٤ و ١٩٤٣ يقدر بأشياء
 مليون دولار ، بينما الرسوم التي تم دفعها للحكومة الإيرانية خلال
 تلك الفترة لم تزد عن مائة مليون دولار

ومن المريب ان الإيرانيين في ذلك الوقت لم يكونوا يطلبون
 أية زيادة في الرسوم . ان كل ما كان الإيرانيون يسعون اليه
 هو الحد الأدنى من المشاركة — أي مجرد الاعتراف بالجهد الإيراني في
 « الشركة الإيرانية البريطانية » . مجرد اثنين من الإيرانيين في
 مجلس الإدارة . ولم يكن هذا يبدو بالثمن الكثير . ومع ذلك
 لمن رئيس الشركة فهم المضمون فوراً . وحينما قيل له انه
 يستطيع ان يشتري السلام مع الإيرانيين بمجرد وتوظيفين ، فانه
 رد بالفعل وسخط وغضب قتلًا : « هل تريد ان ينظروا في
 دفترا ؟ » و . . كان هذا هو كل شيء .

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية .. بدأت الأيام الذهبية للبترول .

ان اعادة تعمير أوروبا بعد الحرب — والاحتياجات الحادة في الولايات المتحدة قد تطلعت حدود ما سبق مسوره بالنسبة للبترول . ان أوروبا كانت عطشى للبترول ، والذين يستطيعون امداده بوفرة .. اصبحوا هم رجال شركات البترول الدولية — التي تسيطر على حقول البترول في ايران والسعودية والعراق والخليج الفارسي .

وفي ظل تلك الظروف .. فان شركات البترول لم تكن تريد ان يظفر اى عربى او ايرانى في ذنبتها .. او يسال الى عاصمها . ان الشركات تفضل اى شيء — بما في ذلك دفع رسوم اعلى — حتى يتحقق ذلك . انهم يستطيعون قبول اى ربح في الربووم ولكنهم في الشركات لا يستطيعون قبول فتح ذنبتهم للايرانيين او العراقيين او السعوديين ولا حتى للمستهلك او دافع الضرائب البريطانى والأمريكى .

ان الشركات البريطانية أصبحت الآن مضطهدة ومحاصرة بقوة في ايران والعراق .. والأمريكيون في السعودية . أنهم يتحكمون في معظم النقد الأجنبي الذي تملكه تلك البلاد . ان الإدارات القوية للملاكات العلية والصحافة في شركات البترول مطهران وبعداد تقوم بلرشاد الصحفي الأجنبي عبر ممر الفهم الصحيح .. وتقدير العمل الطيب الذي تقوم به شركات البترول داخل تلك البلاد — ليس هذا فقط ، بل انها قامت أيضا بمساعدة الصحف المحلية وبعض الصحفيين في حل مشاكلهم المالية .. ان مصروفات الشركات على هذه « المساعدات » كانت كبيرة وغير محيية — ماكينيس الساذقى تلك النقرة . لقد كان هناك مفسدون ووزراء .. قلدرون على

أن يعطوا لأنفسهم جزءاً من تلك المساعدات التي كانت تقدمها شركات البترول أن كلا منهم لم يكن مطمئناً بعد ذلك في اظهار تقديره لشركات البترول في صحتهم ، وفي مجالسهم .

وبصرف النظر عن بعض حالات التزجوة المنظومة من مركز شركات البترول في ايران والعراق والمصوبية بدا حسيناً ومينما — خصوصاً في السنوات التالية مباشرة للحرب العالمية الثانية . وهكذا مصى الحال . . برغم المصيفات التي علتها شركات البترول . فبعد كل ضربة . . كانت شركات البترول يصرح كما هي . احياناً بإسما جديدة — ولكن دائماً بأرباح متزايدة وبفود منضم . لقد كان على تلك الشركات أن تدفع أكثر — ولكن هذا لم يجعلها تشر بأى سوء . ان الشركات استطاعت في النهاية أن تحصل على مساهم جديد في أرباحها ، دافع الضرائب البريطانى والأمريكى .

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية — أى في سنة ١٩٤٦ — لم يرد أهالى الرسوم الخفوعة لدول الشرق الأوسط من عشرة ملايين جنيه استرلى . . بينما لم تقل أرباح شركات البترول عن مائة مليون جنيه استرلى .

كانت تلك كما بدت في ذلك الوقت — أرسلاً ضربة . ولكن من وقتها . . حدثت ثلاث لزمات بقروية على الأقل . ثلاث أزمات ضخمة . . معرضت فيها ابداعات البترول لخطر حقيقي أو بدائع فيه . كانت هناك ثورات وحروب وانتفاضات سياسية خطيرة . . في كل دولة من دول الشرق الأوسط . وفي نهاية هذا كله — أى في سنة ١٩٧٢ — وبعد ٢٥ سنة من الطيلان . . ملل الرسوم التي أصبحت دول الشرق الأوسط تحصل عليها في سنة واحدة من طريق الامتيازات والضرائب تصل الى عشرة آلاف مليون دولار —

أي أن الرقم ارتفع من عشرة ملايين جنيه استرليني في سنة ١٩٦٦ إلى أربعة آلاف مليون جنيه استرليني في سنة ١٩٧٢ .

كل هذا حدث .. بينما الشركات السبع الرئيسية ما زالت تحقق الأرباح . في الواقع أن دخلها الصافي من بتروال الشرق الأوسط وصل في سنة ١٩٧١ إلى بلومين ونصف بلون دولار ، أو ما يعادل ألف مليون جنيه استرليني ، من بين دخل إجمالي قسبته خمسة بلايين وربع بلون دولار .

وقبل أن نستدير لبحث النتائج السياسية لهذا المعجم البترول في السيميوت على التقييم الكامل للأرباح القاذبة من بتروال الشرق الأوسط يحتاج إلى مزيد من البحث . أن محال هذه العملية منير للاهتمام .. والحقائق الأساسية هنا سطوح — مع احتمالات بسيطة — على المبالغ الإجمالية المتعلقة بكل كيان من كيانات البترول — غيما عدا ليبيا .. التي كانت حديثا سببا . أن المملكة العربية السعودية يمكن تقديمها هنا كنموذج مثالي متكرر في حالات إيران والكويت و .. على مستوى أقل — العراق .

على الفترة ما بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٧ حصلت الحكومة السعودية من دخل البترول على ١٧٨٥ مليون دولار . وخلال الفترة هذه على الشركة العربية الأمريكية للبترول (أرامكو) حصلت ربحا صافيا يبلغ ٢.٢٩ مليون دولار من عملياتها البترولية في السعودية .

أما في الفترة ما بين سنة ١٩٥٨ وسنة ١٩٦٧ فقد حصلت الحكومة السعودية على ٥١٥٥ مليون دولار .. بينما قطرت أرباح شركة « أرامكو » إلى ١٧٠٠ مليون دولار .

وخلال الفترة ما بين سنة ١٩٦٨ وسنة ١٩٧٢ حصلت الحكومة السعودية على ٧٨٢٤ مليون دولار — بينما الأرباح الصافية لأرامكو .. ما زالت ترتفع — وصلت إلى ٥٤٠٠ مليون دولار .

إن الاتجاه العلم كلى هو نفسه في حالات إيران والكويت
 مؤخرا - ليبيا والخليج العربى . ومع ذلك فيجب أن نلاحظ أنه
 في داخل هذه الأرقام توجد ثلاث أزمات بتروولية كبرى . هناك
 أولا أزمة سنة ١٩٤٦ ، حينما واجهت أوروبا وروسيا وأمريكا
 نقصا عاجلا في الإمدادات البترولية بسبب التوسع الاقتصادى .
 وهناك ثانيا أزمة سنة ١٩٥٦ .. حينما أغلقت قناة السويس ،
 وهناك ثالثا أزمة ما بعد حرب ١٩٦٧ حينما أغلقت قناة السويس ،
 وظلت كذلك حتى الآن . إن كل واحدة من هذه الأزمات تم امتصاصها
 من طريق مزيد من التوسع ، ومزيد من المدفوعات للحكومات
 المنتجة ، ومزيد من الأرباح للشركات نفسها . إن الحكومات
 المعنية لم تعال شيئا ، فقد أصبحت أغنى . والشركات الدولية
 للبترول لم تعال شيئا .. بالرغم من أنه أصبح عليها أن تستفيد
 من هذا النصح المتزايد في أرباحها . لقد دفعت الشركات أكثر
 .. وأصبحت مسيطرة في الدخل الإجمالى أقل .. ومع ذلك فإن
 أرباحها ظلت تتزايد إلى درجة أكبر وأكبر .

ما هو السر في هذا اللغز ؟ إن في الأمر لحرا كبيرا وسرا أكبر
 .. فكيف محل الإثنى مما ؟ هذا السر هو واحد من الأسرار التى
 ظلت شركات البترول تحتكمها طويلا ودائما بالاشتراك مع الحكومة
 البريطانية والحكومة الأمريكية . إن الرجل الذى اكتشف هذا السر
 في مبرانيات شركات البترول كان هو المحكم العراقى عبد الكريم
 قاسم .. الذى ربما تكون له حصولة كثيرة .. ولكنه كلى يعرفه
 عالم البترول .

نحن هنا ذهب فريق مبرطاني لمقابلته وبنافش معه اتفاقية جديدة
 يريد إبرامها مع شركة بترول العراق .. مخدئ قاسم رئيس
 الشركة أن ينكر هذه الحقيقة : أن الرسوم التى تدفعها الشركة
 لا تشكل أى عبء على مبرانية الشركة مادامت الحكومة البريطانية

سمح للشركة بحصص المخفوعات التي تقدمها للحكومة العراقية .
من مخفوعات الشركة للمراتب البريطانية . بكلمات أخرى ..
على رسوم البنزول — وباتى مخفوعات البنزول — كانت مصنوعة
ضرائباً .. ومن ثم كان يدفعها في النهاية ليس هو الشركة
— ولكن دافع الضرائب البريطانى .

ان أحدا لم يكن سيمسح لهذا بهذا الابتكار المرائى المشاذ —
الذى لم يعلن عنه أبداً أمام البرلمان — لو أنه ظل عنصر ميسر
في المفاوضات الخاصة بين شركة بنزول العراق ، وبين الجنرال
كلم . ولكن كلما كان قد سجل الحديث بغير علم المفاوضين
البريطانيين — ثم نشره وترجمه ولذا عنه من راديو بغداد .

وهيما تسأل البعض — واندهش الكثيرون — تبين في النهاية
ما يلي : أنه في وقت ما من أواخر سنوات الأربعينات وانفت
الحكومة البريطانية على فكرة خصها الحرة البريطانية للساح
لشركة بنزول العراق بأن تخصص رسومها المدفوعة للحكومة
المراشبة من الضرائب التي تلزم الشركة بدفعها للحكومة
البريطانية . ان شركات البنزول الكبرى في فرنسا والولايات
المتحدة توصلت الى اتفاقيات مشابهة مع حكوماتها . وعلى هذا
الأساس ما شركة بنزول العراق وحدها استطاعت ان تخصص
رسومها المدفوعة للحكومة العراقية من المراتب التي تلزم
الشركة بدفعها للحكومة البريطانية . ان شركات البنزول الكبرى
في فرنسا والولايات المتحدة توصلت الى اتفاقيات مشابهة مع
حكوماتها . وعلى هذا الأساس فإن شركة بنزول العراق وحدها
استطاعت أن تخصص — فيما بين سنتي ١٩٥٢ و ١٩٧٢ — مبلغاً
يصل الى مائة ألف دولار .. من فاتورة الضرائب المستقاة
عليها في المملكة المتحدة .. ما يضي أنها لم تجمع تقريباً ثمة

ضرائبه اطلاقا على حصتها في الأرباح .. التي كانت كبيرة بما يساوي على الأقل تلك الأرباح التي حصلت عليها الحكومة العراقية . ان نفس الشيء ينطبق على معظم شركات البترول الأخرى المحلة في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة

تلك ان كانت هي الحيلة التي امنت بها شركات البترول صبة ارتفاع مدقوماتها ، وهي الحيلة التي كان المستهلك هو في النهاية الذي يدفع ثمنها . وبهذه الطريقة استطاعت الشركات ان تتغلب على أزمة سنة ١٩٥٦ للس كانت أزمة أورس . وأزمة إغلاق القناة في سنة ١٩٦٧ . ولم تسبب لها تلك الأزمات أية مشكلة ، غيب عدا أنها رغبت من التكاليف والأرباح .. بعير ان يكون هناك نقص في البترول الذاهب الى أوروبا وأمريكا .

ومع نهاية سنة ١٩٧٢ ، وى اعتاب إعادة اسحاب سيكون لئصب الرئيس الأمريكي خان خبراء البترول بدأوا يحسون بأزمة من نوع جديد .. في هذه المرة لم تكن أوروبا - الممتدة دائما على بترول الشرق الأوسط - هي التي تواجه أزمة في الطائه . انها الولايات المتحدة نفسها ، هي التي تواجه أزمة طائه .. في هذه المرة . انها لم تكن أول مرة ، لهذا فلابد من الرجوع الى الورا قبل . حتى نكتشف التطورات الحقيقية للمصالح طويلة المدى لشركات البترول الكبرى .

ان التنمية الأصلية في هذه الأزمة ، عرفت أصلا « تشارلز ريتور » الذي كان مستشارا لوزارة الخارجية الأمريكية ، وكلى هو نفسه احد رجال صناعة البترول الأمريكي . ففي سنة ١٩٤٦ عقد مؤتمر أمريكي برمطلى على مستوى عال ، واستمر لفترة قصيرة ، بهدف مناقشة امكانيات البترول . وبعد انتهاء المؤتمر أعد « تشارلز ريتور » بيانا فلم بتوزيعه مكتب الاستعلامات

الحكومي الأمريكي . ان « ريمور » خول في تلك البيل ان يشد الانتباه الى التوقعات الخطيرة التي تواجه الولايات المتحدة فيما يتعلق بالبترول . لقد ثلث انه في سنة ١٩٦٥ سوف يصل استهلاك امريكا من البترول الى معدل يبلغ ٢٢٥ مليون طن في السنة . . بسبب الانتاج في امريكا سوف يبلغ ، بأكثير ، مئتي مليون طن . وفي نفس الوقت تقريبا ، كان ستالين يباشر ازمه البترول في الاتحاد السوفيتي مع السمر الأمريكي المعين حديثا في موسكو الجنرال « ليندل سميث » . ان ستالين كل مشجوما بالمرارة بسبب الطريقة التي سدت بها امريكا ومريطيا كل المساند امام المحاولات الروسية للحصول على مزيد من الامتيازات البترولية . . خصوصا في ايران . لقد تحدث معه عن حاجة الانحداد السوفيتي الى نصيب اكبر من موارد الملم ، وقال ليندل سميث : « انكم لاتفهمون موقفا مبيا بملق بالبترول وايران » .

ول ٦ فبراير سنة ١٩٤٨ نشرت وزارة الخارجية الأمريكية تقريرا آخر يدمي ان موفد امدادات البترول خطير بحيث يستدعي ضرورة تخفيض استهلاك الدول الأوروبية التي تطلب المساعدات الأمريكية بنسبة كبيرة . . ولي على الولايات المتحدة ان تفكر بسرعة في استيراد البترول من الشرق الأوسط . ولقد صدرت بعدها تقارير مشلحة من وكالات عديدة . ان صناعة البترول الدولية — خصوصا القطاع الأمريكي — استجبت بشنط لهذا التحدي . . الى درجة ان التقلد شكوا في ان تكون شركات البترول بمسها خلف هذه التقارير . . ما دامت هي التي رمت كثيرا من هذه الاستدارة في الاحداث .

وهكذا كانت الشركات تنص كل الازمات ، واحدة بعد الأخرى ومع نهاية سنة ١٩٦٧ — وبعد نكسر بحرب يونيو — ارتفع انتاج

الشرق الأوسط من البترول إلى ٥٨٠ مليون طن .. ثم تضاعف في السنوات الخمس التالية . بحيث وصل إلى سنة ١٩٧٢ إلى ألف مليون طن .. وما زال يواصل الارتفاع بسرعة .

وقد حدث خلال نفس الفترة أن غيرت شركات البترول الأمريكية ملكيتها مع شركات البترول البريطانية والهولندية . على بداية هذه الفترة كان الأمريكيون هم الشركاء الأمهر . أن حصنهم كانت تمثل ١٢ / غطت من البترول المنتج من الشرق الأوسط في سنة ١٩٤٥ . ثم تدرت النسبة إلى ٥٨ / في سنة ١٩٧٢ . وبرغم الضغوط التي تمارسها الدول صاحبة البترول .. على الشركات الأمريكية هي الآن في موقف المسيدة بالشرق الأوسط ونسأل بريطانيا .

وهكذا فإن المديريات التي صدرت في سنوات ١٩٤٦ ، ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ثبت هطؤها . أن الإحصاء الإداري والنسبة لصناعة البترول استطاعت أن تتغلب سحاح مواصل على أكثر المشاكل وأصعبها . ولكن لجهربها السياسية التحليلية لم تكن تصنع بطل هذه الكفاءة .

لقد كان التهديد المظلم موجود لثمة بتزولية .. له بواحيه السياسية والحارحية من البداية . أن الرئيس الأمريكي الأسبق ترومان قد سجل في مذكراته اهتمام وزارة الخارجية الأمريكية وهيئة أركان الحرب بهذه المسألة في سنة ١٩٤٦ ، أي في الوقت الذي كان « ريسور » يعد فيه تقريره . لقد كان الاتساق بحشيشي لن تمثل السياسة الأمريكية في أن تأخذ في اعتبارها « .. أن السيطرة على البترول في الشرق الأوسط كانت دائما اعتبارا خطيرا جدا .. ولا يجب اتخاذ أي عمل يكون من شأنه توريث قوات الولايات المتحدة ، أو يحول شعوب الشرق الأوسط بعيدا عن

القوى العريضة .. ما دامت لما مصلحة من حيوية هناك . لقد
كل القادة السياسيين هما مهتمين أساسا ببقول الشرق الأوسط ،
وبالاعتبارات طويلة المدى الناشئة من الخطر المقرب على أن
العرب — بعضهم في ذلك العمل العدائى العربى فى فلسطين —
قد نسح لهم قضية مشتركة مع روسيا .

لقد كان هذا يمثل — بالطبع — ممررا أصلا لاهتمام هيئة أركان
الحرب الأمريكية . يظننا كل هناك قلق مشاهد فى مساعة
البنترول .. حول مستقبل مركز الولايات المتحدة فى الدول صاحبة
البنترول . وفى الحقيقة .. على هذا الاهتمام كانت تشترك فيه
أيضا هيئة أركان الحرب ، والحكومة ، فى لندن

ولكن الحقيقة لم تتوهم عند هذه النقطة . أننا لا نستطيع أن
تحدد كيف تم هذا التوافق فى الأحداث : تحدير « ريسور » الحاصل
البنترول .. تحدير هيئة أركان الحرب الأمريكية للرئيس ترومان
بالا يذهب بعيدا فى حساسه الصهيونى بسبب وجود عامل البنترول
العربى .. ازدياد الحائر لريادة انتاج البنترول .. نمو اليهود
الاقتصادى الأمريكى فى الشرق الأوسط .. كل هذا ، هل كان
بالصفة ؟ من الحائر أن يكون الأمر كذلك مرة ، لو حتى مرتين
ولكن .. ليس أربع مرات وكثير . أن شركات البنترول لا تميل
للصدق .. إلا إذا كانت هناك روح مرشدة .. تؤدى إلى توجيه
الأحداث فى هذا الطريق .

وهكذا مأتى إلى الضرورات السياسية لازمة الطلقة ، والتي
استقرت مرة أخرى على كسب الولايات المتحدة والعالم العربى .
ثمرة أخرى يحدث ذلك من خلال الحملات الطيبة لحطس البنترول
القومى الأمريكى — فى ديسمبر ١٩٧٢ — قبيل إصدار بيكسون
لبياناته السياسية الخاصة بمدة رئاسته للنفقة . أن انفجار

أزمة الطاقة كن مدويا في كل مكان . في لندن أسرت « الأوبريغر »
المشكلة في ١٧ ديسمبر ١٩٧٢ بعنوان « أزمة الطاقة تهدد
أمريكا » . في إسرائيل قامت صحيفة « الحريورالم موست » بإعادة
نشر تقرير من « وول ستريت جورنال » بعنوان يقول « احتمال
الانقراض العربي يحتمل الولايات المتحدة » . كل هذا في أول
فبراير ١٩٧٣ . وقبلها بنسبوع حصلت مجلة « نيورويك »
الأمريكية قصة غلافها لـ « أزمة الطاقة الأمريكية » .

ومن حيث العنطوط الأسليه ، على المنقشات والنسائج لم
تكن تختلف كثيرا من تلك التي كانت قائمة في سنوات ١٩٤٦ و
١٩٥٦ و ١٩٦٧ . أن مجلة « نيورويك » لحصت النتائج
السياسية للأزمة في سنة ١٩٧٣ بشكل يكاد يكون متطابقا مع
ما خرجت به هيئة أركان الحرب الأمريكية في سنة ١٩٤٦ . قالت
« نيورويك » : « من الناحية الدولية .. يمكن للأزمة أن تغير
أمريكا على وضع قائمة جديدة من الأولويات في الدبلوماسية
الأمريكية . أن الولايات المتحدة يمكن في النهاية أن تهدد نفسها
بمتعمده ومتطرفة من حلفائها الاسرائيليين كجزء من محاولتها
تحسين علاقاتها مع الدول العربية .. التي تسيطر على معظم
احتياطي العالم من البترول » .

لقد كان هذا موقفا مفهوما في سنة ١٩٤٦ ، وظل كذلك في
سنة ١٩٧٣ . أن الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وأوروبا
العربية . يجب أن تضع مصالحها في المكن الأول .. ومصلحتها
البترولية هي أساس هلم جدا لامنها ورعايتها الاقتصادية .

ولكن ما أخطأت فيه شركات البترول الكبرى الرئيسية ، كان
افتراضها أن هناك طريقا سهلا لضمان علاقات طيبة مع الدول
العربية صاحبة البترول .. عن طريق عدم مساعدة — أو عدم

الاتحاد مع - إسرائيل . وحيفا - مثلاً - رحفت شركة « شل » لكن تخرج من إسرائيل في الخمسينات ، و باعت ممتلكاتها النسيبة وحقوقها لإسرائيل بسعر بخس .. فلن هذا لم يغير حقيقة مشاعر الوطنيين العرب نحو المؤسسات السروولية الدولية .. ولم يقتل من عدائهم أو يحبس مطالبهم . وعلى العكس من ذلك ، لقد تصرمت الدول العربية على نحو أصبحت تمارس معه معطاً أكثر على شركات السروول . أن ما لم تنهه شركات السروول في أيام فروس - وما زالت لا تنهه في أيام ميكسون - هو أن إسرائيل خلقت ، إلى درجة كبيرة ، شيئاً ممصلاً في الشعور العربي من شركات البترول الأمريكية والبريطانية . أن القضية هنا هي معها التي أدت إلى أزمة السروول الأيراني في سنة ١٩٥١ ، التقسيم غير العادل للمناجم في السنوات المنكرة للصناعة .. وتصور الدول العربية أنها في موقف يسمح لها بأن تطلب نصيبها - مع شيء من الريادة .

والذي يجب أن يكون مفهومنا لديرى شركات البترول في سنة ١٩٧٣ ، هو أنه صرف النظر عن حجم التأييد الذي نلتصاه الحكومات العربية من أمريكا وبريطانيا ضد إسرائيل .. فلن هذا أن يؤدي إلى أي فرق بالنسبة للمصط العربى على صناعة البترول العالية . بل على العكس .. سوف يؤدي هذا إلى تشجيع القوميين العرب على ممارسته مزيد من الضغوط . أنى لا لتول هذا كيهودى فقط ، ولكن كبريطانى أيضاً .

ولكن هذه لم تعد هي طبيعة توازن القوى في الشرق الأوسط في سنة ١٩٧٢ ، فحتى قبل أن تصبح أزمة فلسطين الأمريكية قضية مله في مناهيه تلك السنة ، فلن تحولاً استراتيجياً قد حدث في الشرق الأوسط ، منتاج عميقة تسمى كل الأطراف

المسيه . اننا نحتاج هنا الى ان نتذكر ان الحكومة البريطانية وصلت مبكرا ، في سنة ١٩٢٢ ، الى نتيجة بسيطة هي : انه لا الصهيويون في فلسطين ولا القوميون العرب .. يستطيعون ضمان أمن واستقرار المنطقة .. وثلاثا بتزولها الذي لا يمحوس اقتصاديا واستراتيجيا . ان السياسة البريطانية التالية رتبت نفسها على هذا الاساس . وبما على ذلك فانها لم تصح في الاعتبار كلا من القوميين العرب والصهيويين . لقد احدثت في اعتبارها فقط ضمان أمن واستقرار التدفق المستمر للبترول .. ومروره عبر المنطقة . كل هذا في سنة ١٩٢٢ .

ولقد ظل هذا هو المبدأ السائد خلال الخمسين سنة التالية ، بما في ذلك سنوات الحرب العالمية الثانية .. وبما في ذلك ايضا العوامل التي دفعت ببريطانيا الى معارضة قيام دولة اسرائيل . وخمسا انسح البريطانيون الطريق أمام الأمريكيين — بعد ازمة السويس وصفتهم في الأردن والعراق في اواخر الخمسينات — على السياسة الأمريكية ظلت تدير على نفس الخطوط الأساسية تقريبا .. فيما يتعلق باعطاء الأولوية المطلقة لتأمين تدفق البترول من الشرق الأوسط .

ان الأمريكيين اعطوا امعلا استراتيجيا جديدة بالنسبة لدور الشرق الأوسط في سياسة العالم .. واندخلوا الاسطول السادس في البحر الابيض كرمز للوجود الأمريكي والمصالح الأمريكية . ولكن ، طبقا لهذه الاعتبارات العالمية .. فان الصهيويين في شكل دولة اسرائيل .. والقوميين العرب ممثلين في مصر وباصر .. لعبوا محرد دور هامشي ومحلي . ان ليا منهما لم يسكن عاصرا ضروريا رائدا لو ناقصا في نظام الأمن الجديد الذي اقامه الأمريكيون محل البريطانيين .

لقد ظل هذا هو جوهر علاقته العرصة الاسرائيلية مع
الأمريكيين خلال الستينيات . وبشكل أساسي قبل الموقف لم يكن
محتفيا في أول يونيو ١٩٦٧ ، عن ذلك الذي كلى عليه في أول
يوليو سنة ١٩٦٢ . . . غلا القوميين العرب ولا اليهوديين كل
شيئا لا يعومى بالسببه للأمن الأمريكى والدعاع عن المصالح
المترولية الأمريكية الضخمة في الشرق الأوسط .

وحينئذ . . . بدأ التحول .

إن التحول الحثيث لم يحدث فوراً عقب حرب الأيام الستة . .
لأن تلك الحرب — مع كونها معرا اسرائيليا صحيا — إلا أنها
ما تزال مطيبة في نفسها ضد مصر وضد العرب .

إن هذا التحول لم يلاحظه أحد . . . إلى أن بدأ عهد الناصر في
سنة ١٩٦٩ يشي ما أسماه بـ « حرب الاستنزاف » عبر القناة
.. وصديقا بدأ الاسرائيليون يستحيون لذلك متصمدا التحدى ..
اضطر السوفييت أن يسلموا على النصر الحقيقي في مهران القوى
بالشرق الأوسط قد ضم فعلا . مع وجود المساعدات الأمريكية
الضخمة في المعدات والأسلحة وكنتيجة لتوسيعها الصناعي الخاص
.. فإن اسرائيل اتمت حقيقة في سنة ١٩٧٠ . . ما بدأ ك مجرد
مريق من الصراع المحلي في يونيو ١٩٦٧ . لقد أصبحت اسرائيل
عنصرا عسكريا رئيسيا في الشرق الأوسط . بل انها أصبحت هي
القوة الوحيدة القادرة على اتخاذ اجراء حاسم . . ما دامت
القوتان الأعظم قد شلتا موقعهما المتبادل من التعادل . إن هذا
الوضع كلى يعنى أن أيا من أمريكا وروسيا لا تستطيع التصرف
في المنطقة بحرية التعرض لعمل مضاد تقوم به القوة الأعظم
الأخرى . أما اسرائيل فلها لم تكن تشعر سائح في هذا الحال ..
وتستطيع أن تمرب حينما تريد . . دون حاجة إلى أكثر من

الولايات المتحدة على تلبيدها . لقد كان هذا هو أهم تطوير يقع في منطقة الشرق الأوسط منذ سنة ١٩٢٢ . فاجبرا حذا ، أصبحت هناك دولة واحدة في المنطقة لا تستطيع الولايات المتحدة بموقفها . أن ما فشل جليم وايرمان في تحقيقه سنة ١٩٢٢ . حققه موشي ديان في سنة ١٩٧٢ . وكما جرى فيما بعد ، على ديان كل هو الذي فعل ذلك . . ليس مسر مائر ، ولا أي أحد آخر . أنه اقام قوة ثالثة - قوة عسكرية حققت - في الشرق الأوسط . هذه القوة كل لابد أن تصبح بطبيعتها عمرا وثيبيا بالسياسة لأن امداداتترول الشرق الأوسط الى الولايات المتحدة ، ودرجه مساوية الى اوروبا . اما اليابان ، فالواقع أن امدادات علىترول الشرق الأوسط كل كميلا بحيث أن ٩٠٪ من احتياجاتها بجىء من هذه المنطقة . أن هذا الوضع يؤدي بدوره الى مصاعبه المسلحة المباشرة . . وموسيع منطقة اتفاق المصالح بين اليابان واسرائيل .

أن اسرائيل أصبحت هي أداء التاليف الوحيدة الميكنة . . التي يستطيع الأمريكيون والأوروبيون واليابانيون استمداءها عندها يرينون مواجعة العرب وأثرها المتروك في سنة ١٩٧٢ . . والذين تعتمد امداداتترول لحقبة نالية . . على حسن مواياهم .

أن حكام إيران والسعودية والكويت وليبيا والمراق ، وسلاطين وشيوخ الخليج . . لم يعودوا هم الفقراء الذين يتعرضون لاستغلال العالم للنهى . . انهم أصبحوا ، مع قدوم سنة ١٩٧٢ ، يمسكون بأوروبا واليابان - ومحرحة ما . . أمريكا كقديه . انهم يملكون المتروك . . والآخرين يملكون الحاجة اليه . كانت تلك هي المعادلة القائمة في الماضي . ولأن المعادلة لم تعد يملك هذه السيادة بعدد التطور الجديد . أن شركات المتروك تلك

المقود ، وماروليت المتروبوليتون النفوذ و - ما هو اكثر من ذلك - مجدحوها . انهم اعتمدوا على أسلوب حياة لم يمودوا يستطيعون التحلى منه الا على حساب المخاطرة بسلطاتهم وبرحاء شعوبهم وبلداتهم .

ان هذه الارياح ملعت لزعزعة غيليه . مع انتهاء سنة ١٩٧٢ . فخلال الحقبة من سنة ١٩٦٣ الى سنة ١٩٧٢ تلقى منجوى المتروبوليتون الارمنه الرئيسيون في المنطقة ٣٧ ألف مليون دولار . كعائدات من شركات المتروبوليتون العاملة في بلادهم . ان شاه ايران حصل على ٩٥٠ مليون دولار . ليبيا . ٩٠ مليون . والكويت . ٨٠ مليون ، السعودية اكثر من ١١٠٠٠ مليون . ان فخرهم المتوقع خلال السنوات الثلاث التالية من ١٩٧٣ الى ١٩٧٥ يصل الى ٢٤٠٠ مليون دولار . وفي حالات السعودية وليبيا والكويت . . فان هذا الدخل البترولي يشكل ثلاثة ارباع او اكثر ، من اجمالي دخل الدولة ، وانظري في حالة ايران . ويمر هذا الدخل ، وبصرف النظر عن مخزائهم في الخارج ، على اقتصاديات البترول سوف تتوقف . . ومودهم سوف يتلاشى .

ان اعتماد الصنم العرس واليهابي على متروبوليتون الشرق الأوسط لا يحدله في الواقع سوى اعتماد حكيم الشرق الأوسط على دخل البترول من الشركات العربية وكذلك الوجود العسكري الاسرائيلي في الشرق الأوسط . ان اسرائيل هما ليست وسيلة دسنة او حقيرة كما قد يتصور البعض . في الواقع ان هذا المريج من الظروف التي لم تكن موجودة في لية ازمه سابقة للطاقة . . هو الذي يحدد الآن محرى الملائكة القائمة حاليا حول توفير احتياطات أوروبا وأمريكا واليهابي من متروبوليتون الشرق الأوسط . ان نلا من اسرائيل والعرب يجب ان يعترفوا بما فعلوا في تقييده خلال عرصة السلام الاولى بينهما التي كانت قائمه فيما

بين سنتي ١٩١٨ و ١٩٢٢ . انهم كانوا جزءا من كل اكدس وانهم لم يستطيعوا حصل مطالبهم القومية عن تلك التي يريدونها المجتمع العالمي . في ذلك الوقت ، والان . كان هناك الكثير مما يقال عن الاملك المقدسة للادبيل الثلاثة في القدس . . ولكن الاعتصام الرئيسي حتى وقتها خلى هو تلعين طبرول .

ان ما معطى لزمة الطاقة في شتاء ١٩٧٢ - ١٩٧٣ هو انها ركزت بمصالح واحد او اكثر من القوى العظمى على الشرق الاوسط . . وحطت كل الأطراف المعنية منهم ان هذه ليست مصلحة ثانوية . . وان هذه المصلحة لا تستطيع الولايات المتحدة ان تتسحب منها ، وكذلك لا تستطيع أوروبا ، ولا يستطيع الاتحاد السوفييتي ، ولا تستطيع اليابان . . ان تدمي عدم لاهتمام بها .

ومع اعلان لزمة الطاقة الأمريكية في شتاء ١٩٧٢ اصبح واضحا ان القوى الاعظم تعود الى استمر الشرق الاوسط . بشكل حديد في هذه المرة . ولاول مرة بعد سنة ١٩٢٢ ، بلوح السؤال انكسر في الاتفاق من حديد . هل يكون العرب . . أم الصهيونيون . . هو الحليف الذي لا يهوض ؟ من - مهيا - هو الذي يجب الاعتماد عليه ؟

في سنة ١٩٢٢ وحد البريطانيون في الاثنين - العرب والصهيونيون - يمكن الاستعانة عنها بالقصة الاسرائيلية العالمية ، وبالقصة للمصلح النرويجي البريطانية .

اما في سنة ١٩٧٢ ، فقد وحد الأمريكيون معادلة جديدة تجيب على السؤال : انها الوجود العسكري الاسرائيلي .

ولكن . . هل مهم الاسرائيليون هذا ؟ هل غيبه العرب ؟ هل غيبه الاطراف الاخرى ؟

للاضحة على هذا السؤال لابد ان نستدير الى النحول الذي وقع في الوقت الذي بدأت اعدادات البترول تصبح فيه عنصرا مبطرا . كيف تعاملت كل من اسرائيل ومصر مع هذه الأزمة ؟

ان اسرائيل واجهت اخطر ازماتها ، ليس في صيف سنة ١٩٦٧ ، ولكن في الشتاء البارد لسنة ١٩٦٦ . وقتها كان البناء الاجتماعي والايدولوجي والاقتصادي لاسرائيل يمر بما كله الخطر وقتها اصبح اليهود المهاجرون من اسرائيل اكثر من اليهود المولجين اليها . . ووضعا بنت الحكومة وقد فقدت سيطرتها على الموقف المتدهور في الداخل . ووقتها توقفت الحكومة عن ان تكون صريحة حول حقائق مشاكل اسرائيل مع شعبها ومع مؤيديها اليهود في دول العالم . ان الجيش كان هو القطاع الوحيد في المجتمع ، الذي لم يتأثر بهذا المرض الضال .

وفي مايو سنة ١٩٦٧ واجهت حكومة اسرائيل أزمة اكثر احتلافا واثقل هذه ، نشأت من التردد والانتظار الى النهاية . . ومن عدم ثقة الجمهور بها ، فكثر ما نشأت من طبيعة التهديد المصري .

ثم جاءت حرب ١٩٦٧ ، ومناتها التي لم تكن في الحسبان . . لكي تشفى كل هذا فجأة .

وفي مارس سنة ١٩٦٦ تولت جولدا مائير رئاسة الوزراء خلفا لاشكول . انها أصبحت رئيسة للوزراء ، بعد اسابيع طفيلة من تولي ميكسون منصب رئيس الولايات المتحدة . لقد كان هذا يمثل وقتا من عدم المتأكد في اسرائيل بالانسة مستقبل سياسة الولايات المتحدة . ان هذا حدد نقطة المرحلة الاولى من الجرح الأمريكي الذي اصبحت به مصر مقرر . . والذي جعل المسألة كلها تبدو باعتبارها من أعرب العلاقات السياسية في النظم السياسية الحديثة .

أن هولدا ماتر ورثت مع منصبها نفقاج انتميلر سنة ١٩٦٧ ..
وتلك النتائج كلف هي التي لميت عليها ، وشكلت ، تصرفاتها
التالية مع الولايات المتحدة .. بالإضانه الى مشاعرها هي نحو
أمريكا .

وفي تلك الفترة ، كل غشل إسرائيل في ارفعام أو اغراء الزعماء
الحرب على الطوسي على مقدمه المفلوجات .. هو الشيء الذي
ترك بصماته على السياسة الإسرائيلية ، وعلى مظرة وسياسة
هولدا ماتر ازاء المشكلة . لقد كل هذا هو لسبب الذي أدى
الى ملاد العسر ، وإلى انراك لى السلام لى يانى . ان هذا
التحور شجع إسرائيل على الترحيب بالأثر الأخرى لانصار
سنة ١٩٦٧ ،

ان أضخم آثار تلك الحرب قد هاء لإسرائيل نيباً يشبهه
الصدمة . ان اليهودية العالمية استقطبت نجاء ، واندمنت في
مساعدة إسرائيل انتملانيا .. شكل أحد وقع الصدمة ، انها
صدمة كانت لها ردود فعل بعيدة على الحياة في إسرائيل ، وعلى
سياسات الحكومة .

ان الحكومة الإسرائيلية بدلت على الفور ، في أعقاب حرب
١٩٦٧ ، في فتح أبواب المرور لملم للفضل الماطنى والمالى الذى
تتلاق على إسرائيل من يهود العالم .. يهجم بمساندة إسرائيل
المتصورة ، وهو فيضان غير الحكومة والمجتمع تملها . وخيسا
تولت هولدا ماتر رئاسة الوزارة في مطلع ١٩٦٨ ، من هذا
الانفجار القومى اليهودى المالى .. كلن قد بدأ طريقه تملا ..
في استعمار إسرائيل منذ ١٩٦٧ . ومن مواج كثير على هذا
الموقف من حطب اليهودية العالمية .. كل له تأثير اعمى كثير ..
من تأثير الاحتلال العسكري للأراضي العربية ، الذى حققه موسى

ديان . ان جيش الخلاص الاقتصادي اليهودي هذا ، والذي بدأ عمله مباشرة بعد يونيو ١٩٦٧ ، قد أدى الى نتائج الاستمرارات العسكرية الملاحقة في ١٩٦٧ .

لقد كان هذان العاملان — الملائمة اليهودية العالمية ، والانسار العسكري — هما محور السياسة الإسرائيلية بعد سنة ١٩٦٧ . ان الاول كان اكثر اهمية من الثاني . . ولكن ، عليمنا ان بحث العاملين معا . . لانها اصحاحا حجر الزاوية في سياسته جولدا مائير . التي طرستها في علاقتها بواشنطن . . ولأنها أدبنا الى تحديد شعورها بالنسبة للسيطرة داخليا على حركة العمل ، وبالتالي على اسرائيل ، وهي السيطرة التي سميت اليها مائير ضد موسى ديلر واسدقته .

ان وثيقة ملاحظة في هذا الصدد هي الارشاد العربية التي تميز بها المؤلف الاسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧ ، وبالذات بعد أن تولب جولدا مائير رئاسة الوزارة ، ان الحكومة الإسرائيلية — ابتداء من مسر مائير مما دونها — كانت تمانى انها تريد بالاعلام التوصل الى تسوية سلمية مع العرب ، وانها مستعدة لتقديم تضحيات لها اعسرها من اجل للحصول على هذه التسوية .

وفي نفس الوقت تمانى نفس الحكومة — ابتداء من مسر مائير فيها دونها — كانت مقنعة تماما بل ان خططها مقروحة نحو التسوية . سواء جاءت من صديق أو من عدو ، هي لا شيء اقل من افتتاحية نهضة في تحقيق انسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة . بناء على ذلك على كل مشروع يتضمن انسحابا اسرائيليا ، سواء عرضه المصريون او الأمريكيون لوحتي الاسرائيليون «المسحج» ومن سبهم ديلر نفسه ، كل يقرع من لشك كبير من جانب الحكومة الإسرائيلية . بل ان جولدا مائير كتبت تروي ان مثل

هذا المشروع يجب تخطيطه في كل مرة .. قبل ان يحول الى تهديد
 لابن اسرائيل او لاتتلاف الحكومة . سواء على ذلك .. فمن
 الحكومة الاسرائيلية -- وخصوصا بمصر مثير ووزير خارجيتها
 انا ايمان -- كنت تحدث دائما عن رغبة اسرائيل في السلام .
 وعندما كانت تفعل ذلك .. فاتها كتاب يعطى صوتا لامل ..
 بأكثر مما تقترح سياسة محددة . لقد رفضت مثير ورملاؤها
 الاتهام بأن هذا الموقف يتضمن مصرا من التناقي .. ما دام
 يثبت ان السياسة الاسرائيلية لا تعطى الاولوية للسلام .. ولكن
 لمجرد الاحتفاظ بالامر الواقع . ان لمصالح هذا السلام يقولون
 -- ومعهم جانب كبير من المنطق -- انه في ظل الظروف الحالية
 المساعدة في العالم العربي .. ويالنظر لاتجاهات رعايته .. فان
 أي تغيير يقع خلال هذه السنوات الخمس سوف يكون حساسا
 ومصريا لمصالح اسرائيل .

هنا لابد ان نبحث الاسباب التي ولدت دائما حلف مقاومة جولدا
 مكارير المستمرة لأي تغيير في الامر الواقع .

في هذه النقطة لابد ان نعرف ان نتائج حرب ١٩٦٧ ، والنهم
 الباتر للاتصال العسكري ، والحماس الذي خلقه بين يهود العالم ،
 والشعور السلي من حقب الرعياء العرب نحو تشويه سلبية ،
 ونجاح سياسة ديان في ادارة الاحتلال العسكري ، والازدهار
 الاقتصادي في اسرائيل الذي حل محل الكساد الاقتصادي السابق
 على حرب يونيو .. كل هذا خلق اسلما اجتماعيا حديدا لمهوم
 ما بعد الحرب عن اسرائيل الكبرى -- اسرائيل كبا تصورهما
 جولدا مكارير .

ان حماس يهود العالم لاسرائيل عبر عن نفسه في شكل مساعدة
 مالية وتأييد اقتصادي لم يبق له مثل . ان هذا العمل الجديد

لم يترك بصماته على الاقتصاد الإسرائيلي فقط .. ولكنه أدى أيضا إلى تغيير ضخم في الأسس الاجتماعية والمسيحية للمجتمع الإسرائيلي . غابت حرب ١٩٦٧ ، أصبحت اليهودية العالمية عمرا عمالا لا يمكن تجاهله . كما حدث قبل يونيو ١٩٦٧ . لقد أصبحت مساندة يهود العالم المالية عمرا أكثر أهمية في تشكيل السياسة الإسرائيلية .. أكثر أهمية من المهاجرين الجدد .. أو من برلمان إسرائيل . أن اليهودية العالمية — خصوصا القطاع الذي يمد إسرائيل بالأموال — أصبحت عنصرا ضروريا في المحتج الإسرائيلي الجديد ، وفي السياسة الإسرائيلية الجديدة .

وبالطبع لم يكن هذا تحولا مغلطنا . أن عناصر هذا التغيير كانت موجودة قبل الحرب . أن المحتج الإسرائيلي أصبح بنفسه بدرجة متزايدة بين الأقلية العنيفة .. والأقلية الفقيرة .. مع أغلبية رمادية اللون في الوسط . ولكن ، قبل الحرب لم يكن العنصر يمثل سلعة سياسية كبيرة .. وكل هذا يصدق بالتأكيد ، وبدرجه أكبر . على اليهودي العنصر الذي يعيش في الخارج .. أما في سنوات ما بعد حرب ١٩٦٧ ، فإن سياسة مصر مثيرة أصبحت انعكاسا للمفارقة الجديدة التي تمت مع اليهودية العالمية .. حيثه يكاد يكون معاصرا * أن عليكم — في إسرائيل أن تستمروا في لتوسيع الحسري .. وعليها — كيهود حول العالم — أن تقدم لكم الأموال . أن هذه الصفة أصبحت أكثر أهمية في نظر الحكومة الإسرائيلية . من ضرورة الحاجة إلى تسوية سلمية في الشرق الأوسط .

لقد كانت هذه هي أول مرة منذ قيام إسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، التي يحدث فيها أن يعبر أغلبية يهود العالم — بما في ذلك كثيرون بالاتحاد السوفيتي — عن تعاطفهم مع — ويستأنهم لـ — إسرائيل . « علنا وبوضوح » وأن يمحروا بهذا التعاطف . أنهم لم يكونوا

يحشون في ذلك ايه معارضة او اداة للولاء المزدوج ، او بالتعصب الدينى . ان انتصار اسرائيل العسكرية بدا وكأنه قد ازال كل هذه الحواجز النفسية التى ظلت قائمة طوال الفى سنة . ولقد عبرت هذه العواطف من نفسها بطرق كثيرة .. أهمها تقديم مساندة مباشرة لاسرائيل و — الأهم من ذلك — تقديم مساهمة مالية ضخمة من يهود العالم . وبهذا لا تقول الأرقام الرسمية كل الحقيقة .. فمنها تقدم مؤثرا ممكنا لتلبس الفرحة التى أصبحت حرب بوسو ١٩٦٧ عندها .. تمثل معجزة اقتصادية بقدر ما هى عسكرية .

على السنوات الخمس السابقة على حرب ١٩٦٧ . بلغ اجمالى الهبات والتمح والتبرعات التى قدمها يهود العالم لاسرائيل ، اربعمائة مليون دولار . وفى مقابل ذلك فإن هذا الرقم ارتفع خلال السنوات الخمس التالية للحرب مباشرة الى ١٦٠٠ مليون دولار . أى لربعة أضعاف .

ان هذه الاستجابة الديملبكية من يهود العالم .. فى رد فعلهم بالنسبة لحرب الأيام الستة .. قد أدت الى ترطيب وانعاش كل قطاعات الاقتصاد الاسرائيلى .. واعادة شحنها بالحياة . ان الأمر لم يقتصر على الهبات والتمح فقط ، وإنما حدثت فترة مستقلة فى الاستثمارات القادمة من الخارج . هذه الفترة سمحت بدورها أن تقرر الاستثمارات الاسرائيلية من ٢٢٠٠ مليون جنيه اسرائيلى فى سنتى ١٩٦٦ و ١٩٦٧ ، الى ٧٧٠٠ مليون جنيه اسرائيلى فى السنتين التاليتين للحرب .

وفى أعقاب هذه التفزات .. امتد الانعاج الاقتصادى الى المؤسسات المالية والصناعية الاجنبية .. ان معظمها هو أساسا مؤسسات لبريكة وكندية والملمبة وفرنسية وبعضها بريطانية .

ان هذه المؤسسات والبنوك الدولية خاضت أموالها الى اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ ، تشجعها في ذلك بعض البنوك الكبرى في الولايات المتحدة وأوروبا . ان كثيرا من هذه المؤسسات لم تكن يهودية . . وتعرفت ساء على اصحاب تجارية محضة في تنوعها الى اسرائيل . . ولكن الأغلبية الكبرى منها كانت تتمتع بضمانات تقدمها اليهود الأمريكيون ، أو قدمت مؤسسات مالية يهودية دولية ، مثل عائلة « روتشيلد » مثلا . وفي هذا المجال نجد ان شركة « فيرست بنسلفانيا » الأمريكية مثلا ، قد استثمرت في اسرائيل ١٦ ١/٢ مليون دولار لائحة اول بنك قولى فيها . ومع تقويم سنة ١٩٧٠ . . وصل معدل الاستثمار السنوي لهذا البنك في اسرائيل الى ١٥٠ مليون دولار .

ان هذا المربح من الاستثمار المحلي الضخم ، رائد المصالح الاقتصادية الإيجابية . . قد أدى الى حدوث تفتق ضخم في رأس المال . . مصاحب للتفتح المنهني الذي جاء من يهود العالم . . ومن القروض والمساعدات الأجنبية . . ولقد أدى هذا كله الى خلق محنة اسرائيلية جديدة خلقت محل المحنة القديمة . ان اصحاب النفوذ الاقتصادي بعد الحرب . . حلوا محل اصحاب النفوذ السياسي في اسرائيل قبل الحرب . . وقد أدى هذا الى تغيير أساسي في المجتمع الإسرائيلي ، وهو تغيير لم يحدث من قبله أبدا خلال السنوات الثلاثين السابقة . وهكذا ، الى حلق المؤسسات القديمة — مثل الأحزاب السياسية والوكالة اليهودية والهيئات والكيبوتزات والجيش — أصبحت هناك محنة جديدة غير محتاحه الى حماية وتأييد السياسيين القدامى ان هذه المحنة الجديدة أصبح لها من القوة الذاتية والموارد المالية ما يكفي لأن تملأ من نفسها شكلها الخاص من النفوذ والحماية .

هكذا أصبح هناك « ضابطته للصناعة » في اسرائيل . . يمتلكون

معظم المؤسسات الأكثر تحلجا .. ويمكن اعتبارهم «المئة مثلة» على طريقته الاسرائيلية .. ولهم قدرة التصرف في حرة كبير جدا من ثروة اسرائيل . مع ذلك فانهم لم يسوا قدرا ملحوظا من ضبط النفس حيسا كالم الامر يصل الى المسائل المالية . ولكن النتيجة الأخيرة كانت هي نفسها : تركيزا جادا في الثروة يمشي مع العيوان المالي القادم الى اسرائيل من اليهود في الخارج . ان هذه النتيجة كانت بشكل « كوبري » يصل ما بين اسرائيل من ناحية وثررة اليهود في أمريكا وبريطانيا والقوق الأخرى من ناحية ثانية .

ان هذا الرخاء الاقتصادي خلقه الانتصار العسكري في سنة ١٩٦٧ .. وقد كان انعكاسه هو انه في مهلة سنة ١٩٧٢ .. أصبح هناك تسع من كل عشر عائلات اسرائيليه يملك ثلاثة .. واربعة من كل خمس لديهم موقد بولاجاز ، وصدف السكاكين أصبحوا يملكون غسالات كهربائية . ولاحتمسار .. غال يملك هذه السلع المعمرة .. قد تضاعفت في خلال ثلاث سنوات . والى جانب ذلك فان تطوير الاقتصاد الاسرائيلي لكي يصبح عصريا .. كان امرا يجري بسرعة كبيرة في ظل هذا التدفق المالي اليهودي العائلي .. وليس في ظل التهديد العربي المستمر .

كل هذا كانت له نتائج سلبية صريحة . لقد أصبح هذا الاقتصاد الاسرائيلي المتوسع يحتاج الى قاعدة متسعة ، والى احتياطي متوسع من القوة العاملة ، والى العلاقات الضرورية مع الخارج ، انه اذن لم يعد دايان ، أو مائير ، الاذان يقرولن سياسة اسرائيل فيما يتعلق بالمناطق المحتلة وبالحل السلمي . انما لم تعد رغبات مسر مائير ، أو المقاومة ضد الفلسطينيين أو حتى ضد دايان .. الذي أصبح يشكل سياستها . ان سياسة جولدا مائير أصبحت ملتزمة أيضا ، امام اليهودية العالمية . ملتزمة بحكم الالتزام الاقتصادي الذي قامت على أسسه « اسرائيل الكبرى » كما تصور ها جولدا مائير .

ولكن الأمر لم يقتصر فقط على ضرورة استمرار احتلال المشرق المحتلة ، والحدود الآمنة . كشرطين أصبح الاتصاف الإسرائيلي حائلا لها . ان هذه الـ «إسرائيل الكري» أصبحت في حاجة شديدة ليقا إلى الارتباط الأمريكي . في هذا الارتباط أصبح لابد من تأييده والحفاظة عليه بأي ثمن ممكن . أي سي اقل من تحقيق سلام مع العرب سابق لاوانه . . لو مصحوب بفازلات لاقتال لها . . .

من أجل تأييد هذه المساعدة الأمريكية . والتأييد الأمريكي ، فقد أصبح واحدا على إسرائيل أن تصمم مفهومها الخاص وتصورها الخاص بمنطقة الشرق الأوسط كلها . بحيث يكون حادا للأمرين ويصير مساند لهم لإسرائيل .

ولكن التصور الإسرائيلي سر على ما واحة المانع أن الأمريكي بدأت تصبح لديهم أفكارهم الخاصة عن مستقبل المنطقة ، وعن التخطيط لهذا المستقبل . . وهي أفكار يحتفظ عن تلك التي تقمصها لها جولدا مائير . . وسبحة لذلك . فقد حدث خلال أيام من انقلاب سيكون رئيسا لأمريكا . أن اضطرت الحصان بعضها ببعض بمصنف . . واتجهت العلاقة بين ويليام روبر ووزير خارجية يكون وبين مسر مائير — حتى قبل توليها رئاسة الوزارة — إلى اتجاه خاطيء .

وفي نفس الوقت على المصريين — ناصر أولا ثم أنور السادات — كانوا يطمحون أيضا تصورهم الخاص بهم ، والذي يستهدف الولايات المتحدة هو الآخر ، أن هذا الاتجاه عرف باسم « محيد لأمريكا » في الصراع العربي الإسرائيلي

أن هذه الخطط الثلاث — مع روسيا كقوة جاتيه — أصبحت هي السائدة خلال سنوات ما بعد حرب ١٩٦٧ . وقد أدى هذا —

حالا صافه الى التردد وعدم التاكيد من جانب الحكومة الاسرائيلية -
الى الفشل في تحقيق تسوية سلميه .

ولو نظرنا الى هذه السيناريوهات السياسية الناقصة بشيء
من التفصيل .. نقابا سوما مكتشف ان يوم ٨ اكتوبر سنة ١٩٦٨
كان موعدا من الصعامة بالنسبة لمستقبل الشرق الاوسط . فعلى
السطح .. قال السير النويدي « هوبار ياريج » مبعوث الأمم
المتحدة .. انه قلم بمد بداية السنة - ١٢٨ رحلة جوية لمقاتلة
ورراء خارجية مصر والاردن واسرائيل .. ولم ير لمرته او سفارته
في موسكو لمدة عشرة لشهر . ولكن ، من الماحية الفعلية ، تاكدت
لدى « ياريج » انطباعات توصل اليها من قبل .. ولكن اسرائيل
تقدمت له في ذلك انيوم الدليل على صفق تخميناته .

فعلى ذلك اليوم قدم وزير خارجية اسرائيل مقترحات أمام الجمعية
العامة للأمم المتحدة بالنسبة لتصور اسرائيل للحل السلمي . لقد
كانت مقترحات اسرائيل حذرة الصياغة ، وجيدة الاطار ، ولكنها
كانت تنفتر الى المعلومات الضرورية والمحددة عن النوايا الاسرائيلية
الحقيقية . انها مقترحات لا تقول شيئا عن مصر الزمن ، ولا عن
ماهية الحدود التي تراها اسرائيل آمنة ودائمة ، ولا عن أي حل
بالنسبة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين . لقد كانت الأحرار الناقصة
جها - باكثر من الأحرار المطمئنه فيها - هي التي ستقرر مصر
هذه المبادرة الاسرائيلية . ولكن الأكثر انثرة للدهشة من أي شيء
آخر .. كان حلو هذه المقترحات من أي شيء عن مستقبل فلسطين .

وبالطبع ، لم يكن الأمر مفاجئا .. حينما رفض المصريون خطة
السلام الاسرائيلية هذه بعد اعلانها - ٤٨ ساعة .. بسبب قتلها
من التحديد .. ولانها في الواقع لا تضميد شيئا الى البيئات
الاسرائيلية السابقة .

والذي كان أهم من العرض الإسرائيلي والرفض المصري .. كان التطور الهام الذي وقع .. مقبرا كل الافتراضات السابقة . فلتقد أعلنت أمريكا أنها سوف تبدأ في احراء مفاوضات لبيع لول صفقة من طائرات المقاتل الى اسرائيل .

لقد كان هذا يحمل معنى واحدا بالنسبة للقاهرة وموسكو . ان الولايات المتحدة قد قررت مرة ثقبه (كانت المرة الاولى في مايو سنة ١٩٦٧) الا تقيد اسرائيل . الولايات المتحدة قررت ان تضع على اسرائيل عبء الدفاع عن نفسها ، ولي تقدم لاسرائيل المساعدة اللازمة لضمان فعالية الموقف الاسرائيلي في امتلاك قوة عسكرية رادعة . ولقد كان معنى هذا ان الولايات المتحدة قد طرحت جانبا اى احتمال لانفاق الدول الأربع الكبرى على سياسة موحدة بالنسبة للشرق الأوسط .

وبهذا القرار الأمريكي أصبحت الرسالة واضحة لكل من يهبه الامر ' ان الولايات المتحدة سوف تعتمد في المستقبل على اسرائيل .. بقدر ما تعتمد اسرائيل على الولايات المتحدة . لقد تغير مركز اسرائيل من « ربون » لدى أمريكا .. الى شيء اقرب الى الشريك .

وفي البداية لم يستوعب المصريون النتائج الكاملة التي يعنيهها هذا التحول الاساسي في الموقف . فمن الآن فصاعدا .. لم تعد الولايات المتحدة تستطيع ان تتحمل عبء العبء الاسرائيلي في المنطقة . ومن المدهش ايضا - بدرجة متساوية - ان هولدا مثلث لم تتحرك هي الاخرى حطورة هذا التحول . لقد كان الذين أدركوا الأبعاد الكاملة للموقف الجديد هم الروس .. وموشى دايان .

ولكن هذا التدهور في الموقف لم يطرا عليه اى تحسن قبل ١٩ يونيو سنة ١٩٧٠ ، حينما أعلن ويليام روجر ودير الخارجية

الأمريكية بمبادرته المشهورة من أجل وقف محدود لإطلاق النار ..
التي كانت مسمومة ميبا يسمى بحرب الاستنزاف .

أن الحكومة الإسرائيلية أصرت على ألا توافق على المشروع
الأمريكي قتل الحموض على المضادات من بيكسوس . وساء عليه
فقد وضعت إسرائيل مجموعة كسلته ، حدد موشى ديس بمصوبها
.. وصاغها أما أبلي ، وأرسلتها هولدا مثير إلى واشنطن ..
وأجلب عليها الرئيس بيكسوس . وكانت توصيحات بيكسوس تشمل
التأكيدات التالية :

١ - أن أمريكا لن تضغط من أجل انسحاب إسرائيل من
المناطق المحتلة قبل الوصول إلى تسوية سلمية .

٢ - أن أمريكا لن تطلب عودة على نطاق واسع للاجئين
الفلسطينيين إلى إسرائيل كجزء من حل مشكلة اللاجئين .

٣ - أن أمريكا سوف تستمر في تحقيق توازن في الأسلحة
بين أطراف الصراع ، أو بكلمات أخرى - سوف تستمر في إمداد
إسرائيل بالأسلحة التي يحتاجها ما دام روسيا تعمل بنفس الشيء
مع مصر .

وبهذه السمات التي قدمت في حينها ، أصبح على هولدا مثير
أن تختار بين الانضمام إلى كتلة حلال البسمية في إسرائيل ، والتي
معارض المبادرة الأمريكية .. وبين التحالف مع الولايات المتحدة
في المبادرة الأمريكية . ومع ذلك فإن مثير احتاجت إلى ثلاثة عوامل
إضافية .. كانت هي التي لرغبتها على قبول المبادرة الأمريكية .
وكانت تلك العوامل هي : الضغط الخارجي ، التورط السوفيتي ،
والضغط العالمي .

وكان معنى حلحه اسرائيل الى هذه العوالم الإضافية ، دون اكتشافها بالمبادرة الأمريكية . هو قراءة خاطئة من جانب جولدا مائير للموقف الأمريكي . قراءة لم نصح في اعمارها انه ما دم قد حدثت حالة تماثل في القوة الاسرائيلية بالشرق الأوسط بين روسيا وأمريكا . . . فإن استمرار امداد أمريكا لاسرائيل بالسلاح معناه اتجاه الميزان العسكري باستمرار لصالح اسرائيل . ان جولدا مائير ورملاءها لم يفهموا هذا . . . ولكن مرشحي راسل والمكبريين في اسرائيل هم الذين فهموا . بطريقة صحيحة .

وبشعة لذلك ، عقدت اسرائيل العودة الى مباحثات يارميج . بينما كان الموقف الأمريكي يطلب ضرورة استئنافها . ومع ذلك . . . فإن استئنافها لم يكن يعنى أى تقدم في الموقف الاسرائيلى . سيما انشغلت اسرائيل في كيمية مواجعة المبادرة المصرية التى قدمها الرئيس انور السادات في ١٤ فبراير سنة ١٩٧٠ لمح نفاة السويس وانسحاب اسرائيل كمنفعة لحل سلمى شامل .

وبينما اسرائيل مشغولة بالرد على هذه المبادرة ، وصلت رسالته من الدكتور جوملر يارميج سلمت الى كل من مصر واسرائيل . ان يارميج وضع لأول مرة امثلة محددة في خطابه بطلب الاحياء عليها . . . وسعلق كلها مدى استفزاز كل طرف لتحقيق الالتزامات المنصوص عليها في قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ سنة ١٩٦٧ . وبينما اجابت مصر ، فإن اسرائيل لم تجب . . . بل وعصيت للنعية من تصرفات يارميج ، وقررت مقاطعته الى أن يصبح خطابه . ولم يصب يارميج خطابه .

وعلى الفور نشأت أزمة مصطنعة بين اسرائيل وأمريكا بسبب تصور مائير لوجود تحالف بين روجرز ويلرنج والمصريين ضد اسرائيل . ورغم تصفية هذه الأزمة بسرعة ، الا ان المحفلة

الإسرائيلية كانت قد ذهبت بعيدا في الحملة على مستر روبرت . .
وفي أمثال محادثاته التي أجراها في إسرائيل خلال شهر مايو
سنة ١٩٧١ . ولم تستقر المسألة إلا أثناء زيارة مؤتمر لوائح
في أكتوبر من نفس السنة . فخلال تلك الزيارة كل أحصاء يكسب
هو أهم اجتماع عقدته مثير خلال تاريخها الطويل ، وربما أكثر
أهميته بالنسبة للعلاقات الإسرائيلية الأمريكية . في تلك الزيارة
قرر مكسون ومبشاره للامن القومي كسحر ان الوقت قد
حان لحمل الاسرائيليين بفهمون ويطلبون الموقف الأمريكي .

لقد عادت مثير من الولايات المتحدة لتعلم انها محبت في معبر
الموقف الأمريكي ، مع ان ما حدث هو العكس تقريبا . وسرعان
ما تبين الخطأ الممحم الذي انعكس على سير الأحداث .
فخلال شهر يناير سنة ١٩٧٢ أصبح واضحاً ان إسرائيل
قد وقعت في خطأ عميق دعائها هي . لقد اتسمت
مصادره قريبه من جولدا مثير ان رئيسة وزراء إسرائيل قد ابلغت
الرئيس الأمريكي انه ما لم ترمع الولايات المتحدة حظرها الذي
قررنه على ترويد إسرائيل سربد من طائرات الفيتنوم ، على
الحكومة الإسرائيلية ان تقوم بآية خطوة نحو الانحاب الحرني
او الكلي .

ولم يكن هذا ما اطلعه الرئيس مكسون الى رملانه في الحكومة
عن محادثاته مع مثير . لقد اطمعن ان مثير قد وافقت على ان
تبحث اتخاذ اجراءات عسكرية عمله تؤدي الى اعلاء فتح قناه
المويس والتفكير في مشروع روبرت من لحل الوصول الى تسوية
سلبية . وكجزء من هذه التصحمة الاحتمالية . . من الولايات
المتحدة سوف توافق على استئناف امداد امرائيل بالفيتنوم .

ومع ذلك فبمجرد عودة ماثي الى اسرائيل ، لاحظ البيت
الابيض الأمريكي اجتماع هذه الاثيرة من كل المناقشات العلنية
حول الولاية . وعندما اوضح الأمريكيون ذلك للجنرال موشي
دايل أثناء زيارته لأمريكا خلال الشهر التالي ، عاد دايل الى
اسرائيل لكن يعطي على ثلاثة الطيريون ، كلمات محتارة ،
حقيقة المسألة . لقد قل دايل لا تريد من الجمهور هنا - في
اسرائيل - أن يصدق أن كل شيء سوف يتم بنفسه مجرد أن
اسرائيل تجلس على القناة وتحصل على الأسلحة التي تريدها ..
ولأن الأمريكيين بحسبها كما يقال . أن اسرائيل لا تستطيع تحمل
الاستمرار في الحلوس بالسلحها مطوية ، فبازال ضروريا لنا
بالمحاح أن نتقدم نحو شوية سياسية .

أن دايل كان يحاول في الواقع أن يحرر زملاءه الورياء ، بقدر
ما يهبر الجمهور ، عن أمريكا ترى أن الاعتبار الحقيقي ما زال
هو التسوية السلمية ، وليس هو استقرار تدفق السلاح . أن
السلاح سوف يستمر في التدفق .. والفاتنوم سوف تصل .. ولكن
بملهمم التقدم نحو شوية سلمية .

ولكن ماثي تجاهلت هذا الجزء تماما ، ولم تكن هذه هي المرة
الوحيدة التي حولت فيها أن تكون ماهرة بأكثر مما ينبغي . ففي
ديسمبر سنة ١٩٧١ فوجيء المراقبون بوجود اختلاف أساسي بين
التسوية السياسية كما يراها أبا اييل ، وبين التسوية كما يراها
الرؤساء الأمريكيون الأربعة الذين ذهبوا الى اسرائيل كوسطاء ..
أن الرئيس السبعالي « سينجور » أعلن أن ماثي أصره بأن
اسرائيل لا تفكر في ضم أراض عربية .. ومع ذلك فغن وزير
خارجيتها يعلن العكس لنام الأمم المتحدة .. وقال سينجور أن
اسرائيل أبا أنها خدعته ، أو أنها تراجعت كلمتها .

مع ذلك ملحد كل موقف مثير وحكوماتها - ومعهم الرأي العام الاسرائيلي - هو ضرورة الاحتفاظ بالحظ المنتشد في التعامل مع العالم الخارجي . لقد رأت مثير ان اسرائيل لم تكن تتمتع في اى وقت بمعنى يمثل هذا الفحص في موقفها السيلى والصكرى والىلوماسى . انه تحسن يعتقد على تشدد اسرائيل مع العالم الحسارى . انه تشدد وصل بالمساعدات الامريكية الى حجم لم نصل اليه مطلقا .. ووصل بالحيش الاسرائيلي الى نقطة اصبح عندها يبدأ للشرق الاوسط .. ووصل محدود اسرائيل الى اتمى درجات الامن الى كانت محلم بها لىدا اى - هكذا سالت مانت زملاءها - معنى اسرائيل بهذا المركز القوى .. من طريق مقدم مازلات لىصر اى لى آخر .. هموما مع التحول الامريكى الواضح الى حاقب اسرائيل ؟

وهكذا اصبح شملى عام ١٩٧٢ فى اسرائيل هو « لىدا النعيم ؟ » . ان اسرائيل سوف تتمتع فى النعى بكلمة السلام والتسوية السلمية .. نىر ان تورط نفسها فى اى شىء محدد . وادا حدث الاسوا وقضيت امريكا ماعزها جديدة .. فان اسرائيل سوف تصيد تملأ على الزعماء العرب و رغم مثل تلك المماره .. بى معنى اسرائيل فى المهله من اى شجار جديد مع امريكا .

ولقد بدا ان الاحداث كلها تسند هذا المطلق الاسرائيلي . لقد تم احصاء القمه بين ميكسون وبريخنيف فى موسكو بىر اى صفة روسية امريكى من الشرق الاوسط ، واعيد انتخب ميكسون .. وسار كل شىء على ما يرام ومقا للاسرائيلىة السابقة .

ولكن بعض الرياح كفت قد هب على الموقف الامريكى . وكل موشى دايلر اول من لاحظ ذلك حيسا رار واشنطن فى اواخر

سنة ١٩٧٢ . وبمدها حولاً مائتاً في فبراير ١٩٧٣ . ان الأمريكيين يريدون من اسرائيل ان تفهم ان القوتين الأعظم - روسيا والولايات المتحدة - تريدان شرقاً اوسطاً بحراً حروباً او أزمة ، وهذا مصحح على تحقيق ذلك . . . وسواء يكون من الأفضل كثيراً لاسرائيل ان تعيد « مصيل » سبيلها لكي تكون جزءاً من هذه العملية . سنذكر مما بحلول الوقت فهذا .

وهنا أصبح المفترض على هذا الوقت الحديدي موشى دايان . انه لا يوجد مكره حل أمريكي سوفيس بالنسبة للشرق الأوسط . وهكذا أصبح المخرج الاسرائيلي لذلك هو احساس مثل هذه السوية بتدبير . بحراً الإشارة الى العلاقات مع أمريكا . ولتحقيق ذلك . . لابد من البحث عن اقامة نوع من الموازن التي تجعل تدخل القوى الأعظم غير ضروري . وكانت هناك مشكلتان لابد من المطالب عليهما اذا أرادت اسرائيل ان تعمل في سوية واقعية بحراً املاء من القوى الأعظم .

المشكلة الأولى هي التمييز المراد من أمريكا وروسيا على الاضواء بخلاف الشرق الأوسط . . . وهو الأمر الذي يتم بفعلاً من الصراع العربي الاسرائيلي

المشكلة الثانية اقناع أجهزة المخابرات الاسرائيلية - ومعها الأمريكية - بأنه لا توجد حكومة عربية واحدة يستطيع تمرد او تريد أي نوع من التسوية السلمية مع اسرائيل - حربية او شاملة - وفقاً لشروط ملائمة لاسرائيل .

وفيما يتعلق بالمشكلة الأولى قلنا ما اريد انؤكد مرة بعد مرة في هذا الكتاب هو ان السورول أصبح هو القوة الثالثة الهامة جداً في الشرق الأوسط . القوة الثالثة التي قام القوميون العرب

والصهيويون اما مأساة نهمها .. لو بقتليل من شأنها . وكما
 هي الحال مع أساليب النزاع العربي الإسرائيلي ، ومع أسلوب
 النزاع بين شركات البترول والدول المستعمره .. على المصير
 الاساسي الذي يهم الآن لم يعد هو مظالم الماضي .. ولكن
 الاهمية الحالية ، والمواد الحالية لمصير البترول . ان معادلة
 البترول الحديدية يمكن وضعها بهذا الشكل ان الدول العربية
 (وابران) تمتلك البترول .. لما العرب يمتلك الاموال التي
 يحتاج اليها الدول العربية (وابران) .. والدنيا كلها - خصوصا
 لوريا واليابان وفرنجة مترايدة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي
 - يجب ان تنحى الى الشرق الاوسط للحصول على امدادات البترول
 خلال الحقبة القادمة .

بناء على ذلك على عامل البترول - وليس الصهيونية
 او القومية العربية - هو الذي غير شخصية الشرق الاوسط
 بشكل اساسي .. وحل اسرائيل والدول العربية لا نعومي
 بالنسبة لأمريكا وروسيا (وايضا بالنسبة لأوروبا واليابان) في
 سنة ١٩٧٣ . ان هذا لم يكن صحيحا في سنة ١٩٢٣ او في
 سنة ١٩٦٧ . ان الامريكيين أصبحوا متبهمين لهذا التحول في القبة
 الاستراتيجية للشرق الاوسط . وبشكل ما .. على ريادة هولدا
 ماثر رئيسة وزراء اسرائيل ، وحلف اسماعيل بنموت الرئيس
 السادات الى واشنطن في فبراير سنة ١٩٧٣ . كلتا بوما من
 اضية البع للنسبة القديمة ، التي يبدو فيها الصراع العربي
 الاسرائيلي وكأنه المصير الرئيسي في نزاع القوى العظمى في
 الشرق الاوسط . ان الاختلاف حلق المسكر العربي ، وعدم
 التذك من هدف وثية القريبطيين والفرنسيين والامريكيين ..
 أصبح واضحا في الحقبة التي تلت حرب السويس سنة ١٩٥٦ ،
 ووضع الاسس لازمة اسرائيل في ١٩٦٦ وليس في سنة ١٩٦٧ .

حيثما بدأت الرياح تهبه بقوة ضد اسرائيل . . وضد الاحتفاظ بالمواد الحربية في المنطقة . ان التحالف العربي الصهيوني قد حقق مكاسب ضخمة . . وبدأ علمه المموج في سيبا الشرق الأوسط . ثم منجها الى ان يسمع أكثر قوة في أمريكا والبحر الأبيض . ان العرب - من خلال حلف الأطلسي أو أكثر مباشره بواسطة الولايات المتحدة في البحر الأبيض وبواسطة البريطانيين في الخليج العربي - بدأ إما غير قادر على . أو غير راض في التدخل . ان شركات البترول كانت حانقه وسبل الى التراجع . وقتها بدأ وجود اسرائيل بالسمة لكثيرين ، باعتباره ليس أكثر من رحلة عسرة في التاريخ العربي للشرق الأوسط . سبل ما كانت المملكة الصليبية . وربما أكثره أقل كثيرا .

أما الموقف الإسرائيلي من الداخل . . فقد يمر بدوره قوة وضعت . . وبماضل ربيع من الاثنين . . خلال الأرة التي سبقت حرب الأيام الستة . ان « عصر حولدا مانير » . . وجدور مجرها في الحصول على اتفاق سلام مع حزامها . . أو انسحاب أكبر داخل المجتمع الإسرائيلي . كانت أمورا يمر سنوات ما بعد ١٩٦٧ . ان قيما جديدة قد تم ادخالها الى الصهيونية ما بعد حرب يونيو . . وهي تم تؤكد على النزاع المادي وعلاقته بيهود العالم ان هذا الوضع حقق تضامنا جديدا بين يهود العالم . ولكن مع خطر يصاحبه - لم بعد انقراضا - لاحتواء توميه يهود العالم الى الانسحاب في تعصيف وطني . ان شئ الاعتماد المعاصر لاسرائيل على الولايات المتحدة واضح . . ولكن مؤانده أيضا واضحة في ضوء العلاقات الخاصة التي أصبحت تربط اسرائيل بالولايات المتحدة . ان اسرائيل لم بعد مجرد « ربو » لدى أمريكا . . ولكنها أصبحت شريك لها . ان تحول الدول الأعظم من سياسة التعاضد العدائي الى سبلية التعامل الاسرائيلي ، خصوصا

بعد اجتماع القمة بين روسيا وأمريكا - أصبح عمرا حديدا .
ان هذا الوضع الحديدي قد أصاب القوى العظمى بالتثقل فيها يتعلق
بقدرتها على العمل المنفرد في الشرق الأوسط ، وأرغمها على
إعادة النظر في أسس علاقاتها مع حلفائها بالمطله .

ففي موقف عالمي أصبحت روسيا مشمولة فيه مظهر قوتين
حديثين ، هما الصين في الشرق ، والصين الأورسي في الغرب ،
بأكثر من إشغالها بالنفوذ المندهور لأمريكا .. مثل مركز الشرق
الأوسط أصبح رئيسيا لكلا الصين ، الاسرائيلية والسوفيتي .

وكنتيجة لذلك .. عانا شاهدا انكسارا في أدوار هؤلاء
الذين كانوا على المسرح عندما وعد بلفور في سنة ١٩١٧ .
وقتها فهم حذرين وأيماء - وكذلك الرعاة التوميون العرب -
ان عليهم أن يظهروا تضامناهم لحساب واحدة أو أخرى من القوى
العظمى . وهموا أيضا أنهم اذا كانوا يريدون تحقيق أهدافهم
القومية - العربية أو الصهيونية - فأنهم يجب أن يتحالفوا مع
من يتوقعون انتصاره من بين الدول العظمى . ان كلا من العرب
والصهيونية قد حصل - بفرحة أو بحزن - على ما أراداه .

أما الوضع بعدها فخمسين سنة ، فقد أصبح عكسا . ان
القوتين الأعظمين ينهلي الآن لهما اذا أرادت أن تحافظا على مودها
ومحالفتهما في الشرق الأوسط .. فان عليهما أن يظهرا لخصم
واحد أو أكثر من الفريقين المتنازعين في الصراع العربي الاسرائيلي
والطرف الناجح اذا أرادت النجاح لأهدافهما . ان الأمريكيين
اختاروا إسرائيل .. والروس اختاروا مصر . ولكن الظروف قد

هذه المرة كانت محتلفه من تلك التي كانت قائمه في سنة ١٩١٧ .
 ان انتصار اسرائيل في سنة ١٩٦٧ كان شاملا بالمعنى العسكري ..
 ولكن لم يكن كذلك بالمعنى السياسي . وكتيحه لذلك .. فان
 القوى العظمى كان عليها ان تقطع اهدافها سواراة اهدافه
 « القوى » المحلله .. من أجل ان تحقق توازنا جديدا في القوة
 والردع سطحي بدرجة متشابهة مع كل من القوى الأعظم ..
 والقوى المحلله . ان عليهما الآن نفسيهما شكلا من اشكال الامر
 الواقع ، بالنسبة للتعاملات التي بين اسرائيل وجيرانها العرب ..
 ثم بين مسعى البترول العرب وقول العالم المستهلك .

وكما في البدايه . كذلك في النهاية . فان مجموعتي القوة كانتا
 مرتبطتين في تفاعل معقد .. لا احد منهما يستطيع ان يتحمل ان
 يهازل الآخر . وكلاهما يجب ان يعلم من شغل المسامح ..
 ان الشيء الوحيد الذي يحل في الحسبي سنة السالفة هو ان
 الشرق الأوسط قد أصبح محل اهتمام عالمي بسبب اعتماد رهاية
 العالم على سلاحه المستور واستقراره و - الأهم من ذلك -
 متروكه . ولهذا السبب فان الصراع العربي الاسرائيلي في سنة
 ١٩٧٣ لم يعد طرفا عابثا - ولكن رئيسيا - في استراتيجية
 وسياست القوى الأعظم . والسبب الرئيسي في هذا كله هو :
 البترول .

وبالنسبة لاسرائيل ، فتتأخر احناءت الى خمس سنوات بعد
 حرب يونيو لكي تصل الى نقطة أساسية هي . ان الرعة الروسية
 الأمريكية المشتركة في التعايش والانتاج والتبادل والاستقرار في
 الشرق الأوسط .. يمكن تحقيقها فقط ما دام كل من اسرائيل
 ومصر تشعرا بأن لهما غير مهدد .

وبتدويم سنة ١٩٧٢ اُسمح معروما للأمريكيين والروس ،
واللهبريين والاسرائيليين ، انه بالنسبة للمرحلة الراهنة .. وربما
للحكمة النقية .. فإن انفصل سيلة ممكة هي المحافظة على
الامر الواقع .. وليس البحث عن منوية سلمية كاملة .

وبكلمات اخرى فان السيلة المطلوبة الآن هي : لا سلام
ولا حرب . أما لمر البحث عن تعاهم وسلام فسوف يستمر كل
الاطراف المعنية في لعبه .. كما استمرت تلعبه طوال الحربيين
منه السابقة .. ومن حيث انه لن يكون هناك سلام .. فهذا امر
مؤكد . اما من حيث انه لن تكون هناك حرب .. فهذا امر أقل
تاكيدا .



ولكن .. هل مثل هذه التسوية ممكة في سنة ١٩٧٢ ، بعد اكثر
من خمس سنوات من الفجر الاسرائيلي ؟ .

ان الاحالة يجب في التطبل الاحمر لن ننتي — ليس من القدس
ولا من واشطرن ولا من موسكو — وانما من القاهرة ودمشق
وطرابلس .. ومن الفلمسطيني .. ان هذا كان هو مقياس مثل
الفلموساية الاسرائيلية في ظل لشكول ومائير . فمع ان اسرائيل
احسنت بالرجاء . ومع ان توتنها العسكرية تصاعنت ، فان هذا
ما زال هو السؤال الرئيسي الذي يواجها في سنة ١٩٧٢ ، كما
كان هو نفسه في سنة ١٩٦٣ . ولكن اسرائيل في هذه المرة
تستطيع ان تفرض هي السلام الذي تريده على جيرانها العرب .

أن المفارقة ليست — مع ذلك — في يد إسرائيل . نعرض ملحق
أن يرسم المستقبل لإسرائيل ، ويحولها الانتكاسات في نهاية
سنة ١٩٧٣ — من مثاله التفاوض مع العرب عن السلام ما زالت
بعيدة . . كما كانت بعيدة أبداً وأبداً منذ خمسين سنة .

أن البديلين الوحيدين القائمين الآن ، وفي الوقت الحاضر هما :
سلام مقرب من القوى الأعظم . . أو سلام نعرضه إسرائيل . أن
القوى الأعظم لم تعد مستطيع ولا تريد أن تحقق الحل الأول .
أنس — لا يبقى — سوى حل واحد يجب أن يشهده الشرق الأوسط :
السلام . . بالشروط التي تريدها إسرائيل .

اليهودى والامريكى
◇ روجر كات

هذا الكتاب ..

وهذا المؤلف ..

● كل الزعيم اليهودي الصهيوني * حليم وايرمان * يقول دائما: « ان اليهودي يحمل في حقيقته ايما ذهب .. كل العوامل التي تثير العداء نحوه .. والتي تحول مشكلته الى مشكلة سياسية واجتماعية » .

وهذا الكتاب الذي ائتمنه اليوم هو اصنق تطبيق لذلك ..

الكتاب مؤلفه يهودي امريكي — اسمه روبرت كل — وعنوانه غير يهودي « الناس الانفعاليون » .. ومع ذلك فان الكتاب هو سودج من اعمال العلاقات العامة التي يقوم بها اليهود الامريكيون داخل المحسح الأمريكي . وحتى في هذه الحدود فان الكتاب يظل مقبولا .. لو انه يتناول فقط النشاط الدس او الاجتماعي او الثقافي لليهود الامريكيين .

ولكن الكتاب يريد تحقيق هدف سياسي لولا — وتلك هي مشكلة اليهود دائما — انهم يتصرفون ككتلية سياسية .. ولمست ذنبه .

ان لهم اهدافهم الخاصة غير المعلنة .. وهم يبحثون عن مراكز السلطة والتأثير داخل المجتمع .. وهم يريدون اعادة ترتيب هتول الامعاء والاعداء امام المجتمع كله لصالحهم . وهذه كلها اهداف سياسية وليست دينية .

لقد انتهت انخضاره الانسانية بمد وقت طويل الى حل مشكلة الصراع الدمى . لم يعد الخلاف بين نين وآخر مديا يخله السيف .. وانما أصبح مجرد خلاف في الرأي .. انت لك وجهه نصر خاصه .. وأنا لي وجهه نظر أخرى .. والخلاف بين وجهتي النظر ليس خلافا بين الصواب والخطأ .. ولكنه خلاف بين اجتهدنا بين بعض كل منهما صوابا وخطأ في وقت واحد .

ولسكن اليهود لا يريدون ذلك — ، أو — على الأقل — هذه هي الصورة التي يعطونها لأنفسهم .. كما ننو من هذا الكتاب . ان المؤلف يهودى امريكى . ويمبش عموا في المجتمع الأمريكى . ومع ذلك منى كل عمل من اصول الكتاب يقوم المؤلف — لو اطلاله — بتوبيخ المجتمع الأمريكى . توبيخه لأنه لا يعطيه مراكز أكبر ، ومفودا أكبر . وغرما أكبر ، هذا مع العلم بأنه لا يوجد محتج آخر اعطى ليهود غرما أكبر مما فعل المجتمع الأمريكى . ان المؤلف يوسع المحتج . ويثم الطبيب المسيحى الأمريكى مثلا بأنه لقل عناية بمرضاة من الطبيب اليهودى الأمريكى . وخبهما نصر بعض الجامعات على أن يكون قبول الطلبة اليهود مقبشسيا مع سببهم في احيائى السكنى .. ففى المؤلف يسرع على الفور الى تعليق التهمة الحاهرة دائما ' العداء للمسيحية . وحيما يشكو السود الأمريكيون من سكان حى هارلم المشهور في نيويورك من استعمال التجار اليهود لهم .. فانهم بذلك يشنون — في رأى المؤلف

طعن - انهم معادون السايه . وحتى حسبما يشكو بعض اليهود
مع النصف في تفسير واحداث اليهودي . . غاتهم يتعاونون ايضا
مع اللد اعداء السايه .

لماذا هذا التناقض ؟ هذا الارهاب ؟

لسبب واحد : ان الصهيونيين حسبما يتكلمون عن اليهودية
فانهم لا يتكلمون عن ديثة . . ولكن عن عقيدة سياسية . انها
ليست نظره حمله الى الله والانس والاشياء . . ولكنها دستور
سياسي يعنى على المؤمنين به كل ما يطق على اعضاء الحزب
السياسي . هنا بالوسط يمتطيم معهم المجتمع الذي يعيشون
فيه . هنا بالضبط يحاول الجميع ان يبيدهم الى حبيبهم الختلي .
لانهم يريدون ان يواعد النعمة معهم ان يملوا ذلك .

انهم يفعلون ذلك ، حتى مع اليهود أنفسهم . ان المنظمات
الصهيونية في امريكا تقوم بحالة ابتزاز مستمر لليهود امريكا من
اهل ان يدمعوا اكثر واكثر واكثر . ابتزازا سراوح اسلبيه بين
الفرغيب والتهديد . . لكي يكون من المستحيل في النهاية ان يهرب
يهودي واحد من التفرع . ثم . . ليس تذهب حصيلة التفرع في
التهلة ؟ الى اسرائيل . .

وعروات اسرائيل . . وحيش اسرائيل . وهل خاه ذكر موثي
ديال في التوراة ؟ نعم ، والا . . غانت لست يهوديا . . ولا امريكا . .
ولا واحدا من هؤلاء « الناس الاتفعلليون » . . الذين يتحدث عنهم
هذا الكتاب ! انها حرب عمليات - على الطريقة اليهودية ضد
المحتج الامريكي ! ●

اليهودى الأمريكى

بالسنة لنا — نحن اليهود الأمريكىين — من أمريكا تشل لنا نهاية المظف ، ليست أمريكا يوما ما .. ليست أمريكا مينا بعد .. ليست — حتى — أمريكا فى القريب العاجل .. ولكنها أمريكا الآن ، وهنا ، وفى هذه اللحظة ، حيث يعيش ملايين اليهود بحرية ، وأسلوب نوى ما كان يحلم به أجدادنا المبرقور . أن هذا شيء طيب ، ولكنه فى نفس الوقت شيء مرعج . أن من السهل علينا أن نأمل أرضا موعودة ، ومن السهل علينا أن نحلم بها .. وأكثر من أن يعيش فيها عملا .

أن الحاحام « أرمولد جاكوب دولف » كل يقول دائما فى اجتماعه الدينى بمبىد « هيلاند بارك » شمال شيكاغو . « اسى حاحام بالنسبة لليهود الساحص . ولكن اليسى هما لديهم رهاب البجاح لقط . أن اليهود الذين منحوا فى الولايات المتحدة هم فى ورطه . أن الجمزات للسمة اليهودية الأولى الى حمزتها هما كانت حالات انحرار . وفى بعض الحالات انتحرت الزوجة عقب انحرار زوجها . هذه تدبغو حالات منظرمة ، مهم ، ولكن اذا قلت لكم أنها أيضا مرعجة .. فربما تفهمون ما المقصده » .

أن النحاح ، بحسوبا طبقا لمقلييس هؤلاء الذين لم يحجوا مطلق ، يؤدى الى نتائج جانبية مضره للمثل والروح . والنحاح هو حقيقته أسلية فى الحياة اليهودية الأمريكية . أن الأسرة اليهودية الأمريكية . اذا كانت هناك أسرة كذلك — تدعكت فى الولايات المتحدة لمدة جيلين تقريبا . أن النحاح يحبط بها ويعيب فى حياتها . النحاح فى التحارة ، النحاح فى تعليم الاطفال ، والنحاح فى تلبه أكثر الاساليب سعوته . أننا — نحن اليهود الأمريكىين — قد أصبحنا الآن أصحاب متاجر ، وحيرى أعمال ، وخبراء ، وكتاب ، ومساتين ، أن قليلين منا عمال ، ولا أحد منا يصل مزارها

مطلقاً — هذا شيء مفترض . ان المجموعة التي تساويها في مستوى النجاح وحجمه لابد ان تكون قد عاشت في امريكا اجيالا كثيرة لطول . ولو حكمنا على اساس الدخل والتعليم ونوع العمل . فان اليهود الأمريكيين قد اصبحوا الآن يشبهون الاساتعة الأمريكيين ، او هم الارستقراطية الأمريكية الحديثة .

ولو اُخذنا في الاعتبار تصرف المسيحيين معها في هذا القرن والقرن السابق ، ففي الامس ببيل الى ان يترك في اليهود على اساس معاداة السامية . ان المسئلة بناتها شغلها رغم كل العلاج الحديث مثل مرض الورم الأسود . ان من الحقيقي انما — نحن يهود هذه الايام — يتم استبعادنا من مجموعة محظية من السود في النواحي الأمريكية بالمدن والقرى ، ومن مدارس ، واعمال ، ووظائف ، ومنديبات ، ومنازل ، و — كحقيقة مؤكدة نوتى هذا كله — من النور بياض هرب رئيسي للترشيح لمصب رئيس الولايات المتحدة . ولكن حتى في هذه المنطقة المحيطة والردلة ، على الدلائل تشير الى نجاح يتحقق . ان مدرسة كوربيل الطبية مثلا لم تعد تترقب ان لديها ، حصصا تحدد عدد المتقبضين من اليهود ومن ثم لم تعد تطبق هذه الحصص .

مع ذلك فلا شيء من هذا يكفي ، فبعد حقيقتين من سقوط النظم النازي لادولف هتلر ، على اى عداء للسامية هو وصيه في جبين أمريكا والديمقراطية والانسانيه ، ووسط نقص النخبة الأمريكية ، وعدم اكتمال النجاح الأمريكي ، على الامس تريحه حقيقة ان عشرات ، ربما مئات ، من الحواجر المضادة لليهود — التي لم يكن يجب ساقطها اصلا — هي الآن .. تسقط .

ان دراسة حديثه لمرآها مجموعة من اليهود .. بهدف فحص النقص القائمة أمام اليهودي الأمريكي لكي يسمح رئيساً لكلية او جامعة لأمريكية . انها ليست غرضاً كبيراً ، فحسب الآن ، هناك

أربعة يهود فقط هم رؤساء الكليات العلمية في أمريكا .. بما في ذلك كليان حاسمتان للأشراف والمويل اليهودي . ويعلق أحد اليهود الأمريكيين على هذه الحقيقة بقوله : « لكن ما دامب المشكلة هي رئاسته الكليات ، فهذا عظيم ، مد عشرين أو حتى ١٥ سنة مضت . لم يكن يستطيع أن يمارس رماهيه التشكي في القبة . لقد كان علينا أن نثق الأبواب لئلا ومهرا . سوسل وبيدد وبماوس .. لكي يحل بعضا من هذه الكليات يحد اليهود .. كمجرد مدرسين » .



ولدت للتقديرات والإحصائيات ، التي تم تصورها تحت توجيه اللجنة اليهودية الأمريكية ، على الشكل اليهود بالولايات المتحدة يبلغ مددهم خمسة ملايين و ٦٦٠ ألفا . أن الرقم غير دقيق . فمن الناحية الديموجرافية ، يعتمد الرقم على التخصيص بدرجة ما . ولكنه على أي حال أحسن رقم يملكه أو سوتج أن يملكه . فلكي يتم تحديد عدد اليهود عن طريق الإحصائيات النبرالية فإن هذا سيكون عملا غير مستوري وعرضه للجدل . وبالرغم من أنما — نحن اليهود — لدينا حب استطلاع بالنسبة لأنفسنا .. بل ونقوم بيهود كثير لدراسة أنفسنا .. فلقنا أن نرحب بتحريات تقوم بها الحكومة . أن حكومات كثيرة جدا عبر قرون طويلة جدا . استندرت صفنا .

أن أمريكا هي ، ابن ، نضم سكانا لا يمثل اليهود أكثر من ثلاثة في المائة منهم .. وهذا أمر غريب . أن الشيء الغريب هو أن ثلاثة في المائة فقط تعطى هذه المساهمة الكبيرة للثقافة الأمريكية والثقافة الأمريكية والحبوة الأمريكية .

ان امحم الحذف الامريكية — وهي النيويورك تايمز — تملكها
 أسرة يهودية بعد أكثر من ثمانين عاما . وبالإضافة الى ذلك على
 اليهود في امريكا بديرون حوالى نصف الدور الكرى لمشر الكتب .
 ان « راننوم هالوس » و « سيبور وشوستر » و « بنو امريكان
 ليمبارى » و « الفريد بوف » و « لنديوم » .. هي مخرد قلة
 من الدور التى تعمل تحت اشراف اليهود . ان ثلاثة من رؤساء
 المحطات الشيربوسية المصحح هم يهود . ويليلم بيلى في « سى -
 بى . أس » و « روبرت باربوت » في « ان . بى . سى » ..
 وليومارد هوليسون في « ا . م . سى » . ومنى الحال أيضا
 بالنسبة للممثل الكوميدي الذى يجمع شجاعته مرء في السبحة
 ويلقى سكتة عن نواحى تصور المحطات الثلاث المصحح .. اندى
 هو أيضا يهودى . ان اليهود الأمريكىين يسيطرون على الكوميديا
 الأمريكية بشكل غالب . وقد خرجت عدة عشرات من الكلمات
 المبرية والليديشية من المسرح الى الاستعمال العام .

ول مجال آخر — التعليم — بعد ان اليهود يملكون ربع العدد
 الاحمالى لطلبة جامعه هارملرد . ومن الناحية المصلية على كل
 اليهود يحصلون على نوع ما من التعليم الجانعى . وكثيرين يحصلون
 على درجات متقدمة .

ول الموسيقى ، بعد ان مرق الأوركسترا الأمريكية الرابع
 المنوقة .. يقودها يهود .

وي الكتب ، سهل احد الباحثين قائمة بالكتب التى تهتم بالمسائل
 اليهودية والتي نشرت بأمريكا ، ان القائمة وصلت الى ٢٥٨ كتبا ،
 نشرت في سنة واحدة .

وحيثما تصدر الكتب ، يوجد الانتاد ، ان التقاد اليهود هنا

— في أمريكا — يزايدون ويتسائلون بنتهي الحرية ، الى الدرجة التي جعلت أحد الكتاب الأمريكيين يقول متعكبا : « ان المؤلفين والروائيين اليهود يحققون الثروات الطائلة بسبب مديح النقاد اليهود » .



مع ذلك على اليهود ما زالوا يحاولون يوما بعد يوم التعرف على أنفسهم . ان اللعبة تبدأ بسؤال بوجهه اليهودي الى نفسه : من أنا ؟ بعدها تبدأ المناقشات .

ان المجلس القومي للنساء اليهوديات لصغر كتيبا يتسائل ليسه أحد الكتاب اليهود : « ما هو معنى ان نكون يهوديا ؟ هل هذا يعني مجموعة من القيم ؟ هل يحى نظرة محددة الى الله والانسان والنبا ؟ أم .. هل هو معنى غلط ان يكون لك أصدقاء يهود ؟

ولكن سيده يهودية في نيويورك تعبر هذه أسئلة بائسة . انها تقول : « أنا لا أعرف ما اذا كان هناك أحلاف حقيقى بينى وبين النساء المسيحية التى تسكن فى الحي المجاور .. ولكنى على اى حال أحس براحة أكبر من صفة اليهود لئالى . ربما يكون هذا هو ما أحييه من كوى يهودية » .

ويرد صديق السيدة اليهودى هو ايضا : « لا ، لا .. لابد ان تكون المسألة أكبر من ذلك » .

تبالسة لقضية الشخصية اليهودية في أمريكا ، يقول الدكتور « جون سلاوسون » النقيب السلق لرئيس اللجنة اليهودية الأمريكية ان التقليد اليهودى لا يحاطب اليهود فقط ، وليسكه يخطب كل المجتمع . ان اليهود حاولوا دائما وكثيرا عدم تسليط

الضوء على السمات اليهودية ، وهو احساس يرجع الى
العلة .

وفي نفس الوقت نجد ان المجلس الأمريكى للدانة اليهودية
— المعادى للمسيحية — بورع شعبلا مطوما لمناقشته بين ثلاثة
اساتذة من «ها ادى» تقدمه اليهودية لأمريكا (المعاصرة) . ان الدكتور
« جاكوب بيتوشوسكى » الاسناد بالكلية العبرية يؤكد انه اذا
كان اليهود الأمريكيون يريدون مفهومها أوضح لانفسهم ، فلي عليهم
اولا ان يتزعوا الإشراف على «المطبخ» اليهودى من ايدى المسيحيين .
انه يرى ايضا ان « . . . المسيحيين يسيئون استخدام المدارس . . .
وقد استطاعوا ان يجمعوا الشباب اليهودى يؤمن بان المسيحيين
هو اذى يملك المفتاح الحقيقى لتكوير اليهودية » .

ولكن ، يرد على ذلك يهودى من ديترويت ، فيتسول غاضبا :
« ان المسيحية هي أعظم شئ على الإطلاق بالنسبة لليهود
الأمريكيين . فحينما كتبت اسرائيل كل تلك الحمارك . . فان العالم
كله وحد الى الأبد ان اليهود يستطيعون ان يحاربوا » .

وبالإضافة الى ذلك غائما نجد ان مجموعات من علماء الاحصاء
والنفس قد مشروا احقا تدرس اليهود ككائنات ، كرجال أعمال ،
كشماميين ، كمواعظين ، كمواعظ ، ككائنات ، وسكرين . ان
كثيرين من المؤلفين يبحثون عن مفتاح موحد للشخصية
اليهودية . (ان من الممكن ، بعد دراسة تقاريرهم ، ان يستخلص
ان اليهود . . مقارنتهم مع غير اليهود . . هم على اليمتر قليلا
من الوسط ، ولكنهم يتحركون الى اليمين ، انهم لا يعملون لدى
المر ، ولكنهم يتجهون بنسبة متزايدة الى العمل فى المؤسسات
الكبيرة . انهم يرتكبون جرائم وقتل تسميها . . ويساهمون

بقدر أكثر في الأعمال الحرة . انهم يكرسون خروا كبيرا ، ان
لم يكن الوقت الرئيسي ، من وقتهم . . لأطفالهم . انهم لا يشربون
الخمور بالمعدل المرتفع الذي يقطعه المسيحيون بالرغم من انهم
يتجهون الى ان يصنعوا كذلك .

وبعد هذا كله ، من الممكن أيضا ان نستخلص من هذه
الدراسات ان علماء النفس اليهود تسلط عليهم فكرة دراسة
اليهود . ان اللعبة تستمر والسؤال يتم طرحه دائما : ما هو
معنى ان تكون يهوديا ؟

ان العالم فيه ١٢ مليون اجله محبطة - ١٢ مليون يهودي
محظوظون بالحياة في الثلث الأخير من القرن العشرين للعصر
المسيحي .

وباعتبارنا يهودا ؟ هل أمامنا عدة أسئلة لا بد ان نراجعها

مثلا : هل « ساسي ديمبر » الطرب الرنحي ، يهودي معلا ؟
ما الذي سيحدث لو انه حاول شراء منزل في حي يكون كل سكانه
من اليهود النقي ؟ هل « البرايث تيلبور » يهودية ؟ كيف يمكن
تعريف أطفالها ؟ هل تصدق أسرة « مايك مود » ان له زوجة
يهودية ؟ ان والد « كارل ماركس » تحول الى اليهودية سنة
١٨٢٤ ، حينما كان ماركس ما يزال في الملائكة من عمره . هل
كان كارل ماركس ، الرجل ، يهوديا ؟ و « هين » . . الشاعر
الذي احتار التنصير باعتباره « ماسجورا الى الفتاة » . . هل
كان يهوديا ؟ هل كلي « تروتسكي » . . الملاحد . . يهوديا ؟
وباري حولد ووتر ؟ و . . المسيح ؟

ان الانترنسل في المنطق يصيف صعودات جديدة بالنسبة
للعريف التثمينية اليهودية . وفي النهاية يصل الى السؤال
الرئيسي مرة اخرى : من هو الضغط اليهودي ؟

ان اليهود ليسوا حسدا . ليست لهم ملامح حسانية مشتركة ،
ولا لغة مشتركة . انهم ربما يتحدثون الانجليزية اكثر من لغة
اخرى . ان اليهود سمر وبعض ، طوال وقتنا ، يتكلمون الانجليزية
او البديشية او الفرنسية او الصربية ، او ربما اللغات الاخرى .
انهم يعملون لله ثلثي مرات في اليوم ، وفي نفس الوقت يذاومون
بانهمال عن الاحقاد . ربما كل هذا هو ما جعل شخصا ما يصيح
مزعجا : « اليهود ! لا يوجد شيء اسمه اليهود » !

ولكن معظم اليهود ، او معظم الزعماء اليهود ، يقولون ان مسألة
الوصول الى تعريف ذي معنى هي مسألة هامة ومحيطة في
الولايات المتحدة اليوم مع ذلك ففي التعريف يندر تمنحيا حدود
الزمن والمكان بل ان متسككه الوصول الى مثل هذا التعريف
اصبحت قضية سياسية جديدة في اسرائيل نفسها .

ان اسرائيل هي هيكل او ملجأ . ان هذا المفهوم خرج بالنسبة
للجمهور الاسرائيلي الحالي يمثل ما كل الاستقلال حرجا وحاسا
للولايات المتحدة في بدايتها .

وفي ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٠ تبنى الكنيست - وهو البرلمان
الاسرائيلي - هذا المفهوم رسميا . . عندما اصغر ما يسمى
بـ « قانون العودة » . ففي ظل ذلك القانون . . يصحح من حق
كل يهودي بميش في الدنيا ان يحصل قورا على الجنسية الاسرائيلية .
وبهذا الشكل غلب « قانون العودة » بجعل من اسرائيل وطنا
قوميا يهوديا .

ان « الكتيبت » .. باعتباره جهازا مسلحيا وليس فلسفيا ..
 اصدار عدم تعريف كلمة « يهودى » . ومنحه لذلك ملئ « قانون
 العودة » يقدم بالحدود ارضا موعودة لمجموعة هي في حد ذاتها
 ممر حديد ولا تعريق . ولان القانون السيره يحل بحوره حالات
 صحبه . ماى هذا هو ما بدأ يحدث مملا . مثلا : هل المرأة المسيحية
 بالولادة . سحق الجنسية الاسرائيلية عندما يتزوج يهوديا ؟ هل
 يستحقها اطفال الزواج المختلط ؟ هل يحصل عليها اليهود المرتدون
 الى اليهوديه ؟ ان « الكتيبت » لم يعرف .. أو اصدار لى يظل
 صامتا .

وبعد صدور القانون بصبح سنوات . أى في 18 يوليو سنة
 1957 . على « دافيد بن حوريون » .. الذى كان حينئذ رئيسا
 لوزراء اسرائيل .. اقترح ان يقضى على هذا التشوش بتقديم
 تعريف مناسبك عمر عنه هو بأنه يمثل « عقيدته الخاصة » .

فصحا كان « بن حوريون » بحاطب منظمة صهيونية عالية ..
 قال عن نفسه انه « يهودى لولا .. واسرائيلى بمد ذلك » . ثم
 قال بن حوريون . « ان اليهودى هو عضو في الشعب اليهودى .
 ان هناك وحدة قومية بين يهود العالم ، تقوم على أساس المعر
 المشترك والتراث المشترك والامتى المشتركة مجلسيه للمستقبل » .

هنا بدأت آراء بن حوريون تتعرض للجدل . فعلى سبيل المثال ..
 هل نعى كنيسته لى المدير اليهودى الشيوعى لمسع في « ليسجراد »
 وسماز النورمة اليهودى الراسملى في « كينغلد » يعملان
 نحو هدف مشترك و — يشكل ما — يهودى ؟

ان بن حوريون لم يرد ، ولكنه استمر في كرميه في رئاسة
 الوزارة بشر العوامف والموص في تفسيره . انه قال . « ان

الذى ضمن لقاء الشعب اليهودى هو الرؤيا المسحبة لاساء من اسرائيل . رؤيا الخلاص للشعب اليهودى للانسانيه ان دولة اسرائيل هي اداء من اجل الوصول الى هذه الرؤيا المسحبه . . ان الشعب اليهودى في كل أنحاء العالم هو طلبه دولة اسرائيل واكثر حلفائها اخلاصا . .

ان كل اليهود — هكذا كل من حوريون يؤك — لابد ان يقيموا بالولاء لاسرائيل . ان عليهم ان يقدموا هذا الولاء ، بصرف النظر عن اين يعيشون او ماذا يفعلون او كيف يتعدون . وبهذا من اليهود خارج حدود اسرائيل ، في لمتجراند وكلملاند وكل مكان آخر سوف يقومون مشوشين دائما بالنسبة لشعبهم . ان النشوي هو حاله دائمه ولكنها موحدة لهم . طبقا لآراء بن حوريون ، فانهم يعيشون في عالمي — يهودى وغير يهودى — وليست لهم جدور حقيقه في اى منهما . ان من حوريون يقول في هذه النقطه ' انه في اسرائيل غلط . . يكون اليهود احرارا كرجال . . ويكبهود . '

ان هذه الآراء مثلت في ارضاء احد ، حتى قتلها بسفه . . خلال حبسه عشر شهرا . . اعترف من حوريون انه برغم كل ملطته ، وكل ايمانه لاسرائيل ، فقه هو نفسه لم يستطع تعريف اليهودى .

وفي ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٨ ، كتب بن حوريون خطبا الى « حكماء اسرائيل » . ان مجموعه بهذا الاسم لا توجد رسميا . ولكن بن حوريون احضر المباحث اليهود في أنحاء العالم وطلب منهم ان يصلوا الى تعريف آخر لليهودى

ان هذا الطلب استجاب اليه {٣} حاجليا وباحتا وكاتبا يهوديا ،

من بينهم ١٢ أمريكا . في أحلامهم صمرت في محلد من ٤٢٠ صفحة
باسم : الهويه اليهودية . . ومن هذا المحلد نخرج بان حكماء
اسرائيل لم يعقوا على كيمية تعريف اليهودي .

وطبقا لما يقوله « الهالاشاه » . . الذي هو جهاز القانون
الديني لليهودي في اسرائيل . . قبل اليهودية لا تتحقق الا عن طريق
الأم - وليس عن طريق الأب - من وجهه النظر اليهودية - طبقا
لهذا المفهوم - من الطفل الناتج عن رواج محتلط ينحد دائما حيانه
الأم . وكما بشر بعض علماء النفس . على هذا التأكيد اليهودي
الحالي على نور الأم يشير الى مجمع أموي . ويصيف
« الهالاشاه » كذلك ان الطفل الناتج من الهر او الاعتصاب
أو ابعد يشتم دائما مركز كامل كيهودي . . ما دامت الأم في كل
حالة كانت يهودية .

وبالاصافه الى ذلك ، على « الهالاشاه » يتم خلا بالنسبة
ان يحولوا الى اليهودية . فلكي نكون المرء يهوديه . يجب عليها
ان تضع لطفوس حاصة تتضمن معطيسا يسمى « بيبلاه » ان هذا
المعطيس يجب ان يكون كاملا . . والمرء يجب ان يكون عاريه حتى
من الحواشي . أما الذكر ، فلا بد له ايضا من المعطيس . . وفوق
ذلك يجب تطهيره .

وطبقا لما يصر عليه « الهالاشاه » . . بان الولادة كيهودي
تجعل الانسان يهوديا دائما . ان اليهودي لا يستطيع ان يتوقف
عن كونه يهوديا باحتياله ، فالاختيار الشخصي لا صلة له باليهودية .
ان اليهودي الذي يحول الى الكيميه الرومانيه الكاثوليكية يرتكب
خطيئه . لكن نفس الشيء أيضا منسبه لليهودي الذي يهمل
في أداء الصلاة . ان كلا التصرفين لا يلحق يهودية الفرد . ان
هذا يجعله يهوديا سينا في نظر الآخرين . ولكن يهوديته لا تتأثر

وكب صاح خاخام مؤخرأى وحه يهودى ملحد : « أن تكون يهوديا ..
مهذا شيء يلتحق بك ، سواء أردت أو لم ترد . انك لا تستطيع
أن تتوقف من كونك يهوديا . صرف النظر عن النمطة التي تذهب
اليها . ان الله مقل يستطيع أن يمزج عك .. وهو لن يعمل
ذلك » !

وفي النهاية من المحكمة الطيب في اسرائيل لم تصدر مريفا
للبيهودى . وربما كل السبب هو انها عجزت من ذلك . ويتول
المدير التنفيذي للمؤسر اليهودى الأمريكى : « نحن موافق على
عضوية أى شخص يقول انه يهودى ولا يمارس ايه نهانه أخرى .
ولكننا لا نقول مطلقا ب اليهودى بسكن مريمه » .

. . . .

وأذا انتقلنا الآن الى الحسب السطبي في حيننا — نحن اليهود
الأمريكيين — غانما سوف نجد انه توجد الآن ٢١٢ منظمة يهودية
تعمل في الولايات المتحدة . وفي هذا العدد . لا توجد وحه نظر
يهودية أمريكية واحدة بالنسبة لحرب فيتنام ، لو بالنسبة لستوكلي
كارمينكل ، أو علاقت الحس قل ارواج مثلا . ومع انه لا يوجد
موقف يهودى أمريكى واحد بالنسبة لأى شيء .. الا ان الاستثناء
الوحيد لذلك هو محاربة العداء للسلابية .

واليهود الأمريكيون في احدثهم بالنسبة لهذا الموقف . الا انهم
هم انفسهم يعيشون حياة مختلفة ومتنوعة . ان الاستعدادات جادة
بالنسبة لهذه النقطة . فمن الاستعدادات والاحصائيات المتاحة
نعلم ان نسبة كبيرة من اليهود يعملون في الوظائف المحترمة
والفحمة والقيمة ، وان اليهود في أمريكا يكون مقودا أكثر
بما يكسبه الأمريكي النموذجى . بعد ذلك نجد ان تبين الحياه

اليهودية في أمريكا يدور الأساليب العلمية الحديثة في البحث
وانتمى . وكثير من المنظمات "مبينة الكبيرة والصحة تفتت
أوقانا عصمة في قبول التسرع والاحتمالات بين أعضائها . عندما بقرا
الآن الميثاق الصحفة "التي تعثرها المنظمات اليهودية في الولايات
المحددة . . . سياسيا نحن نراة المصلحة المشتركة والإحساس المشترك
بالانتماء اليهودي في أنحاء الولايات المتحدة ومع كل جيل يهودي
أمريكي جديد . . . فإن الحياة اليهودية تسمى مصالحي مشتركة
والترامت جديدة . . . أيا كانت هذه الانتماءات .

إن معظم المحبوعات اليهودية والمنظمات اليهودية الكبرى في
الولايات المتحدة نصف نفسها بأنها « منظمات دفاعية » . . . نهما
موجودة للدفاع عن اليهود ضد معاداة السامية .

والمنظمة الأولى في هذا الصدد هي « الساي بيرث » . . . التي
يعود تاريخها إلى سنة ١٨٤٣ . أنها منظمة تصنف نفسها بأنها
« اجتماعية وإنسانية » . وفي نفس الوقت تشرف على عصبة
تعمل لمحاربة كل من يسوء لليهود ، والتي يستهدف بدورها
« استئصال الأعداء لليهود » .

والمنظمة الثانية هي « اللجنة اليهودية الأمريكية » . . . التي
تأسست في سنة ١٩٠٦ . . . بهدف « المعى إلى مع انتهاك
الحقوق الدينية والمدنية لليهود في أي مكان في العالم . وهذه
اللجنة أقامها أمملا اليهود الأمريكيين الاثرياء - الفاضلون من أصل
المساوي - وما زالوا حتى الآن يسيطرون على سياساتها .

والمنظمة الثالثة هي « المؤتمر اليهودي الأمريكي » . . . الذي
ظهر أصلا في العشرينات من هذا القرن . . . كمجموعة مشتقة عن
«اللغة اليهودية الأمريكية» . وحسب تعريف «المؤتمر» لنفسه . .

فانه « .. يسمى الى استئصال كل النشاط المصري والتعصب
 القسري ، والخناع من انفصال الكنيسة عن الدولة ، وسمية اساء
 الخلائق للشعب اليهودي .. ومساعدة اسرائيل في النمو بسلام
 وحرية » . و « المؤتمر » اقل ثراء من « الفلحة اليهودية الامريكية »
 وهو يعكس حماس ومشاط المتهربين من لوربا الشرقية الذين تمعوا
 يهود المانيا في القدوم الى امريكا . ان محبته مصدر كل اسبوعين
 .. وهي نشر المقالات ذات الاهتمام اليهودي .

هناك بعد ذلك « لجنة العمل اليهودي » التي تسمى الى : مقاتله
 العدو للصباية ومساعدة منظمات العمل اليهودية وغير اليهودية
 غيبا وراء الثماني « ثم هناك » المجلس الأمريكي لسنانه
 اليهودية « .. وهو يسمى الى « .. تسمية المبادئ العالمية
 لليهود محررة من القومية » .. وانسراجه التواضع هو محاربة
 المسيحية .

وبالنسبة لهذه المنظمات ، وكثير غيرها ، فان « الساي برث »
 هي اكبرها . حيث تقول ان عدد اعضائها يصل الى اربع مائة
 ألف يهودي .

ويقول الروايس اليهودي « بول خاكوب » ان اليهودي الأمريكي
 عندما يتعرض لاي اساءة .. فان ارفع منظمته يهودية على
 الأقل تهب للشكوى بملء فيه . وهو يضرب مثلا ساحرا على ذلك
 بل انه اذا حدث مرة وحل يهودي امريكي الى دوره مياه فوجد
 عبرة بانيه ضد اليهود مكتومه على الحائط على ما يحدث مورا
 ما يلي : تسرع منظمته « الساي برث » الى ارسال ممثل عنها
 يتنقل الى مكان دوره المياه لكي ملحد السميت من هناك . وينتظ
 لها عدة صورا .. ثم تقوم المنظمة بفحص هذه السميت من واقع
 اللعاب التي تحتفظ بها لسميت مليونيين من الأمريكيين الذين اعربوا

معداتهم للسامية . وعلى الفور نشر النظامه الصليبي في صحيفتها
.. لكي تبين ان العداء للسامية ينتشر ويقرايد .. وان على كل
يهودي ان يضم لمصوية المنظمة .

في نفس الوقت يقوم مسئول من « اللجنة اليهودية الامريكية »
بدراسة ثورة المبدى بصفة ، وسرعلى ما تقرر اللجنة اعطاء سمحة
لجامعة كولومبيا لدراسة العداء للسامية كما تعبر عنه كتابات
الحائط عبر التاريخ . كما تقوم اللجنة باصدار كتيب تحت ميه ان
مشروب المارينسى (الذى يحبه الأمريكيون) هو احراج قدم به أصلا
رجل يهودى . وفي المهبه حذر اللغه اعضاء ان شحصيه طلبة
كبيرة سوف تتحدث في الاجتماع السنوى القادم عن العلاقة بين
شرب المارينسى وبين محاداة الساميه . مما تشمه طلبة سوف يعقباها
بمناقشة علمية .

في نفس الوقت يصل الى مكى الحادث مسئول من « المؤتمر
اليهودى الأمريكى » .. حبللا في اعتباره لاكتلت تملن . « برقوا
الحائط » . اما في مكتب المؤتمر على سنة من الحليمين يكونون قد
بدأوا في التحضير لدعوى يرغمونها امام المحكمة الامريكية العليا ،
بهدف المطالبة بمنع بيع الخمر الى اى شخص نصره منه ملاحظة
تحليل معنى العداء للسامية .

وبما يجرى كل هذا ، تكون « لجنة العمل اليهودية » قد ردت
لسلسله من المحاضرات الأسبوعية لأعضاء اتحاد عمال البرات ،
وتكون قد أعدت مشروع قرار تعرضه في الاجتماع السنوى التالى ،
المشروع يامر أعضاء اتحاد البرات مالا يتحولوا في دورات المياه
المعلية للسامية .

في النهاية يعبر « المجلس الأمريكي لليهودية » سائلا . ان ممثله
يجمع بالنصححين لتلاوة عليهم ، سيما يخطط به انقل من العرب
أرسلتهما جميعه اصقء الشرق الأوسط . ان المتحدث باسم
المجلس ينكر ان نكو الصلابة قد كتبت صلا لأنه « لا يوجد يهود ..
ولكن يوجد فقط أمريكيون من أصل يهودي » . وحينئذ .. يرسل
المجلس ينكر ان نكو الصلابة قد كتبت اصلا لأنه « لا يوجد يهود ..
ولكن يوجد فقط أمريكيون من أصل يهودي » . وحينئذ .. يرسل
المجلس نداء الى الرئيس الأمريكي ووزير الخارجية وحكام الولايات
العسقي ، لكي يديبوا مسجودات اسرائيل والمسيحيين الى تهدف
الى لصق اسرائيل باليهود الأمريكيي .



ولكن « بالرغم من وجود هذا المجلس .. فان معظم اليهود
الأمريكيين معجبون بالاسرائيل سائلا . وبالرغم من ان جماعة الصهيونية
لها تاريخ قوي ، خصوصا بين اليهود القدامى من أصل الماني .
من كل اليهود الأمريكيي .. ما عدا اسمه صغيرة جدا .. يحدون
انفسهم مساندن لاسرائيل ضد أعدائها سواء كانت على خطأ
أم على صواب ، ان هذا الشعور موجود بشكل طاع لدى اغلبه
اليهود الأمريكيي ، وهو شعور موق اي حذل لو حاشته . ان الكل
يرى اسرائيل باعتبارها تقوم بأعمال مدعشة .. ولهذا فان الـ
٦٠٠ مليون يهودي أمريكي قد قدموا أكثر من ألف مليون دولار
تبرعت لاسرائيل منذ تاسيسها . وحتى بعد ان منحهم جهرا مديا من
هذا القدر بسبب الصعوبات القوية التي يتم ممارستها في الحصول
على الأموال .. فان الرقم يظل قابلا للتصديق . وبالمقارنة الى
ذلك ، فان الماتيا العربية دعمت لاسرائيل معوضت لا تريد من
٨٦٠ مليون دولار .. بالرغم من ان ملايين أكثر قد تم جمعها لاقرب
ضحايا القاتري من اليهود .. والذين أصبح معظمهم اسرائيليين .
وبمريد من المقارنة ، فان الهفت والتمرعات التي قدمتها الجاليات

الأخرى في أمريكا هي شيء منته للعلمية . وحسب ما مارعت إسرائيل
أرميا من الدول العربية سنة ١٩٦٧ ، من استجانه اليهود
الأمريكيين .. بالمال والإسهام والذموع .. قد نهشت كثيرين من
بينهم اليهود الأمريكيون أنفسهم . مع بدء تحرك دبابات أجنرال
« رايب » .. اكتشف ملايين اليهود الأمريكيين مخاة انهم ..
صهيونيون .



أن هناك فروقا سلوكية مختلفة تميز اليهود عن الآخرين . أن
المحلل النفسي « كارل ميجر » لاحظ أن الأيرلندي يندف بالطوب
والإيطالي يندف بالسكاكين .. ولكن اليهود مضيا يشاجرون غاتهم
بتدفون بالكلمات . أن اليهود في أمريكا لا يلعبون الملاكمة ،
ولا يهيمون رجال البوليس . وعلى امتداد قرون طويلة .. كان
العبث الجسماني قد أصبح مرادفا للكرثة اليهودية . وإلى أن
شعبت حرب الاستقلال الإسرائيلية .. فقد كل على اليهود أن
يعيشوا بغير أن يعربوا الفرحه الطاعية التي تحقق من كسب
معركة .

أن تقاليدنا قد حولتنا بعيدا عن العبث الجسماني . بينما أصبح
التعليم اهتماما رئيسيا لنا . أن اليهود — أكثر من أى مجموعة
أخرى — قد انتحبوا حصون النظم التعليمي الأمريكي الذي كان
رد فعله — خصوصا على مستوى الجامعات — هو إقامة حصون
أعلى لمنعهم وفي البداية ، كل أرماع عدد اليهود في الكليات بشكل
لافت بسبب الى وجود تعطش يهودي المعرمة . ولكنه الآن يرجع
الى أساليب أكثر تحميدا . أن اليهود يأتون من خلفية تؤكد أهمية
التعليم ، وهم أيضا يعيشون في المجتمع الأمريكي .. حيث على كل
إنسان يريد أن يكون ناجحا .. أن يتعلم أكثر وأكثر .

ومن ناحية أخرى ظل الشلطي الحري يهينا — حتى اليهود
الأمريكيين — بتشكيل متنوع ومختلفة . أن من الصحيح أن بعض
اليهود هم تحار حتى هارلم . . . وصحيح أن هؤلاء النحار اليهود
يبيعون السلع الرخيصة للمواطن الأمريكي الأسود بأسعار مبالغ
فيها وسعة أرباح ضخمة . وصحيح أيضا أن اليهود — باعتبارهم
أصحاب معظم محلات بيع الحبوب — يقومون بشرها في هذا الحى
الفقر مما يجعلهم يندون كمنتمين للقراء .

كل هذا صحيح . ولكن يرد على ذلك « بيلسون جلوك » رئيس
الاتحاد العبرى الجامعي ، بقوله : « مقابل كل يهودى يملك شقة
في هى ريجى ويسخرج كل ممس من حبوب ١٢ مردا يسكنون
الحجر » . . . فأننى أصعب وجود مئة يهودى يعتقدون أن هذا هى
دمى . أن هذا شيء موجود . هذا شيء قدر ، هذا شيء لا يمكن
عفائه . أمى حجول منه . ولكنى لست هجولا إلى درجة القول
بأنه شيء يلصق باليهود في أمريكا . أننى لا أعتقد ذلك . أن ما هو
ملصق بهم حقا هو رسمهم في الصراع من أجل حقوق الإنسانية .

أن اليهودى — أو أغلبية كبرى مما كيهود أمريكيين — يتماهى
مع المواطن الأمريكى الأسود . . . مع الرضى المستطرد . أن اليهودى
يزى هردا من نفسه في هذا الرضى الضحية . ولكن ، حيسا
يستدير الرضى الحقيقى لمصح شحما محتما ، حيسا تكون
استخدمته غير يهودية ، فإن اليهودى الذى تعاطف معه من قبل
يصاب بحيرة بل . أنه يشعر بالخوف عليه والعطف معه .

أن الصوبة الرئيسية في السور المتراكم بين اليهود والـسود
في الولايات المتحدة قضاً محدد أكبر على العناب اليهودى . .
حيث يطلى على اليهود شعور أقوى . . هو الخوف من العنف . .

مناخسة اليهود ، لا يدعو الترحى المشاعب كطرف يستحق التعاطف معه . أنه يدعو مقط كخالف للقانون ، ومشاعب ، وعرييد ، وفي النهاية يدعو كتهديد . ان اليهود لا يشعرون بمد ثهم آمنون في امريكا من التهديدات . كما قد يتصور البعض ..

غيرغم الايملى الكمل بتوماس جيفرسون والدستور ، وبرغم الدراسات العديده التى بين امحلال العداء للسلبية ، وبرغم التزايد السريع للمحاح اليهودى .. على البقاء بظل هو الاحساس الشديد والرائد ليهود امريكا . ان التصميم اليهودى على النقاء كيهود هو واحد من النظورات المريدة ها . انه تصميم يسيطر بغير حدال على مناطق محبة من التجربة اليهوديه في امريكا . التى هى البلد العربى الوحيد تقريبا .. الذى لم يشهد مطلقا مدحة ضد اليهود .

ان النقاء يرمح اليهود الأمريكيين حيسا بروج اساوهم من مسيحيات . هل يفقد احفادهم برانهم ؟

والبقاء يرمح طبيب الاسنان اليهودى الذى بفشل ابنه في دراسة الطب ، ومن ثم غانه بصبح في ابنه قتلا . « انك مجرما هلنا الى هارة اليهود ! » .

والبقاء يهر كاتبا يهوفا ، حيسا بروج لفترة قصيرة من امرأة تتبع الكنيسة الانحليكية ، فيسطر الى استنها المولودة حديثا لانها سومت تكون يهودية مفرحة اقل .

وعلى المستوى العلم .. قلنا تحد اتنا — كيهود امريكيين — تهرب اشياء أخرى أكثر من ذلك . انك لا تحد اليهود الأمريكيين ابدا في الأعمال اليدوية أو الرحيصة . انهم منترون من جميع القامة أو كفس المصانع أو تنظيف دورات المياه . انهم يسمون نحو شيء أعلى ، ويمالون بمشقة أكبر ، ويريدون أكثر ، ويستريحون اقل ..

من الأمريكي العادى أو المتوسط . لن اليهود انتظروا طويلا من اجل هذه الفرصة الامريكية . انهم يريدون ان يبحجوا . انهم يريدون ذلك بسرعة ، ويباس . انهم يطلبون السلطة والمركز والنفوذ والاستقلال والاحترام . وفى المصحح الامريكى .. على الطريق السبوحى امام اليهودى لكى يحقق هذه الاهداف الحية معا .. هو ان يعمل فى الطب .

ان عشرة فى المائة تقريبا من الـ ٧٥هـ ٢٧٧ طبيا فى الولايات المتحدة . هم يهود وبالرغم من ان هذه النسبة تبلغ ثلاثة اعشار النسبة المتوقعة لليهود الاخرين فى احوالى عدد السكان .. على الرغم من هذا ذاته لا يقول شيئا كثيرا . انه لا يصف الاثما من اليهود الاخرين المساكين نحو الطب . والذين مثلوا فى ان يكونوا اعضاء . انه لا يشير ايضا الى معاداة السامية التى كانت موجودة تاريخيا فى المدارس الطبية الامريكية . انه لا يكشف عن طبيعة المساومة اليهودية لحوال يهداى قرر رميها مقدما انهم يريدون فيه اقل عدد ممكن من اليهود .

لقد كشف عدد مختلف من المحريات والحوادث بعد الحرب العالمية الثانية .. عن وجود مظلم الضمير ، الذى كنت نطقه العديد من كليات الطب فى امريكا . ان احد المبادئ المشتركة التى كانت الكليات تحفظ به .. هو قبول يهود معدل يتساوى مع تسعينهم الى تعداد السكان .. اى مجرد ثلاثة فى المائة . وبالمستخدم هذا المؤشر من المسؤولين فى كليات الطب كانوا قادرين على تعامل النسبة الاعلى لليهود المتقدمين .. وهو شيء ما زال قائما .

والعلومك المتاحة حاليا تدل على استحلال نظام الضمير هذا .. احيانا طواعية .. و احيانا — كما حدث فى ولاية نيويورك — تحت سبيل قانون خاص لمحاكمة التمييز العنصرى . لقد تحسن

الموقف فلسفه لليهود الذين يرمعون إلى مسموحوا أطباء .. ولكن في داخل الدائرة الطبية نفسها .. على اليهودي ما زال يحدد مكانه محصورا حتى الآن .

أن بعض المستشفيات الأمريكية سكر على اليهود امتيازات الأطباء . بعضها الآخر يعطى لليهود الأطباء حقوقهم معبر سلطاتهم . وفيما عدا الحال بالمستشفيات اليهودية . على الأئمة قائمة بقوة على أن اليهود يعرضون علنا إلى حرب قوية .. بهذب منهم من الوصول إلى المناصب الرئيسية بالمستشفيات .

وبينا نجد أن الطبيب اليهودي بهتم بمرضاه ويرعاهم .. فإن زملاءه المسيحيين يفضلون الاهتمام بالتقضايا الكبرى الخاصة بالسياسة الطبية في الولايات المتحدة .. ابتداء من محاربة انصار الإحراءات الاشتراكية في الطب .. إلى ما هو أكثر وما هو أقل . أن الطبيب اليهودي يعمل في ميدان مرغوب فيه — وهو الطبابة ولكنه يشعر — في داخله — أنه غير مرغوب فيه هو شعبا .



أما لو انتقلنا إلى مهمة أخرى ، وهي الحماية .. فإن الحال هنا مختلف . فطبقا لأحصائية موثوق بها .. فإن حوالي ١٧٪ من عدد المحامين في الولايات المتحدة .. هم يهود . أن الرقم يبلغ ستة أمثال نسبة اليهود في عدد السكلى الإجمالى تقريبا ، وهو من ثم لم يشكل ظاهرة خاصة ومتميزة .. وفي الصفحات الصفراء من دليل تليمونيت « مقهاتس » .. على عدد اليهود الذين تعنوا حلز الشهرة يبدو مؤثرا بوضوح . أن ما لا يقل عن ثلثين محاميا .. يوحد اسم « كوهين » في قائمتهم .. اسداء من « آرون » إلى « وليم » . ولينا في دليل تليفونيك نيويورك لسنة ١٩٦٧ .. نجد ١٩ محاميا آخرين يحملون اسم « كوهين » .

ليس في هذه الظاهرة سر أو غموض، ان اليهود يحاربون القانون بسهولة ممنوعين في ذلك بالتقاليد اليهودية .. وفي محاولة من جانبهم لاستئناء انفسهم من المنع الأمريكى الذى لم يكن دائما ولا ناجحا في مهمة الحماية .. بمثل استقراره وبجساده في المنع الاخرى . ان الاطباء المسيحيين كفوا قلوبهم في وقت ما على منع اليهود من المدارس الطبية . والبيوت الهندسية المسيحية رفضت تعيين اليهود بشكل لانت كما لو كان انتمالنا جماعيا .. بحيث انه كان مألوما في العشرينات والثلاثينات ان محند مهندسا كهربائيا يهوديا يبيع الحردوات .. ولكن ، في الاوقات الطبية والصحة ، لم تكن هناك غفرة عجز فيها اليهود الأمريكيون عن الالتحاق بدارس وكليات القانون . لقد تعرضوا للمنع من بعضها ، ولكن ليس من جميعها . اكثر من ذلك ، فان المحامين اليهود المتنازعين كانوا قادرين دائما على التمتع بمستوى معيشته مرتفع . ان عددا محدودا من مكاتب المحاماة ما زال يقوم بتطبيق حظر واقعى على تعيين اليهود . ولكن ، حتى هذا العدد المحدود يتناقص بسرعة .



وبالرغم مما يشاع من العكس ، على اليهود هم اشد ملابسون مثل معظم الأمريكيين .. ان الدراسات الحديثة تبين انهم اقل تدينا من البروتستانت واقل تورطا من الكاثوليك . ان اليهود يحضرون الاجتماعات الدينية بمعدل اقل من كلتا المجموعتين ، وهره كبير منهم يعبر حتى عن عدم ايمانه بقله . ان حظر النقاء اليهودى يركز على هذه الدنيا وليس على العالم الآخر .

ومع ان المثليين هم الاكثر ظهورا بين اليهود الأمريكيين فان

الاعليه الكبرى من اليهود لا يمكن تصنيفهم منطقيين . ان اكثر من نصف ارباب الاسر اليهوديه في امريكا يقصون حيلاتهم في «التجارة» . بل انه من الممكن ان تجد مثقفين يهودا يحملون ايضا بالتجارة . ولكن ، بصفه علمه ومتميزه ، فان رجل الاعمال اليهودي ليس مثقفا ولا هو طالب علم . انه يؤمن بتعليم ويحترم المثقفين ويقدم لهم اعدائه واولاده . ولكن هذا الاحترام خارجي . ان رجل الاعمال اليهودي الامريكي يكرس نفسه تماما — مثل رجله المسيحي — للاهليات التجارية .

و في قصة كتبها الروائي الراحل « اموارد لويس والانت » اسماها « الرهباني » فان بطل القصة اليهودي يبعد من الاراضى بالربا مهمة في حي « هارلم » . انه يعرض لسؤال عن السر في ان اليهود ياتون الى مهمة التجارة بهذه السهولة . لماذا يكون اليهود دائما فاجرا بالسليقة ؟

ويرد بطل القصة قائلا : « انك شدا بالآلاف من السنين خلفك ليس لك فيها شيء سوى اسطورة ضخمة . ليست لك ارض تدرع الطعام فيها ولا ارض تصطاد منها .. ولا وقت لديك تقصيه في مدخل واحد بحيث تصبح لك جحرا تريا ، ويصبح لديك حبش او تراث وطني . ان لديك مقطعا قسريا في راسك .. وتلك الاسطورة الغامبه لكي تدعك وتتمسك بالي عليك شيئا غريدا ومميزا . حتى في غفرك . ولكن هذا العقل الضمير هو المفاجئ الحقيقي .. فبهذا العقل أنت تحصل على قطعة صغيرة من الملاهي . لها من الصوف او الحرير او القطن . لا يهم . انك تأخذ هذه القطعة وتقطعها الى اثنين .. ثم تبنيها مما يجر أعلى مما قطعته في القطعة الواحدة . جسدك بهذه الطريقة والنقود فلك تشتري قطعة ملابس اكر وربما تستطيع ان تقطعها في هذه المرة الى ثلاثة اجزاء .. ثم تبنيها بسعر أعلى .

عند هذه النقطة ليس عليك أبدا أن تسفلم لأعراء شراء قطعة أصلية من الحر ، أو شيء كمالي مثل لعبة للأطفال . أن عليك أن تخرج مورا وتشتري قطعة ملابس كبر ، أو طعنتين كبر . وتكرر العملية وهكذا . فلكه تستمر وتستمر . . إلى الدرجة التي لا يصبح لديك عندها أي أقراء مان تحفر في الأرض وتزرع الطعام . أنك تكرر هذه العملية مرة ومرة ومرة ما يقرب من عشرين قرنا . وحينئذ . . ها أنت . لقد أصبحت تاجرا يهوديا بالمصليقة .

أن اليهود الأمريكيين يبيعون الفضالات ويصنعون مرشحات القوة الكهربائية أنهم يصممون ثياب الفلاحين ، ويستوردون الحر ويوزعون كرات الجولف . أنهم يفسمون الأراضي الجاهزة للبيع ويسون السائق . أنهم ينتجون الزجاج المنقوش ويوزعون الاضواء المساهرة للمسرحيات الكوميديية . أنهم يطمون البتوك ويبيعون بوالص التأمين ويقرضون القفود ويملكون كل أنواع المتاجر على وجه الأرض . وفي أمريكا حيث النخلة هي الملكة . . وهي البطل النهائي ليس شامرا ولا محظريا . . ولكن البطل هو رجل لطيف سعيد بدأ كل شيء بلا شيء . . ثم عن طريق وسائل غير محدودة أصبح يملك مليون دولار . . على المنتج التي حققها رجال الأعمال اليهود تصبح لها اعتبارها . ونتيجة لذلك . . غرسا يكون في أمريكا الآن مليارات يهود أكثر من الفقراء

ولكن النجاح اليهودي في مجال التجارة له ما يثير السخرية أيضا . أما نحن — اليهود الأمريكيين — لا نشترك مع الأمريكيين منصة عالية في عبادة النجاح النهائي في التجارة . أن مهارات اليهود في البيع والشراء تحقق لهم قليلا من المنفعة . أن عددا من أكثر رجال الأعمال اليهود ثراء لا يرى التجارة أكثر من مجرد منصة يبدأ منها

أطفالهم تقسمهم في المهن والفنون المختلفة . ان اليهود قد اتبنوا
مقدراتهم التجارية عبر آلاف السنين في ظل ظروف جائرة . وليس من
المناجرة انهم حققوا نجاحا كبيرا كرجال أعمال في ظل الحرية
الأمريكية . ولكن العداء للسلبية جعل وسائل اليهود الاحتكارية
والرأسمالية تستدير ضدهم - بل وتصرق منهم أيضا الشعوب
بالفخر ، وتقدير النفس .

والنقطة الثانية المثيرة للسخرية هي ان النجاح اليهودي التجاري
في الولايات المتحدة قد تحقق ضد رغبة ومقاومة رجال الصناعة
الأمريكية أنفسهم . ان نحدد البلططين اليهود في شيكاغو يقول :
يهود في المصانع الضخمة . اننى سمعت بحراسة الوضع في
الشركات الكبرى ، واعرف . انهم لن يصبحوا ساء بالعمل .

ان الموقف ليس كذلك ولا ثابنا كما يبدو من كلمات يهودي
شيكاغو .. ولكنه أيضا ليس خاطئا تماما . فبقدر ما سمع
به المعلومات المتاحة .. لا يوجد في المستويات الإدارية العليا
لشركات « بل تليفون » و « ستاندرد لويل » و « شركة صلب
الولايات المتحدة » و « شركة تليفون موبويل » .. وغيرها .
ولا يوجد حتى الآن يهودي قريب من القمة في الشركات المائة
الكبرى الأخرى بالولايات المتحدة .

لا يوجد حتى الآن أيضا يهودي واحد مطلقا في منصب مدير
علم أو نائب رئيس .. لأي واحدة من شركات صناعة السيارات .
ومن وجهة نظر التقليد اليهودية ، فإن مثل هذا الغياب المستمر
 لليهود يصبح شينا ملحوظا . ان هذا من العوامل يساهم
 في وجود مثل هذا الغياب حليا .. ولكن ليس هناك شك في ان
السبب الذي خلق هذا الوضع أصلا هو العداء للسلبية .

ان « تلجبه اليهودية الامريكية » تصرح علنا انما لما تمارسه هذه الشركات بشكل غير عتيق . ان المتحدث باسم اللجنة يقول « ان الطريقة التي تسير بها الامور حقيقة . ففي المصانع المتقدمة الحميمة — حيث لم يوجد يهود مطلقا طوال الثلاثين سنة السابقة — مثل هناك الآن عددا قليلا من اليهود . ان ظروفهم صعبة للغاية . انهم محصورون في المستويات الاننى من الوظائف . انهم لا يشركون ابدا في صنع السياسة العامة (للشركة) انك تستطيع ان تسمى هذا محصا .. ولكننا لسنا سعداء به تماما .. ثم .. هناك النوع الآخر من المصانع التي تعتمد على الابتكار .. وحيث تكون الامكار الجديدة والمنتجات المتطورة مهمة . في هذه المصانع تجد ان الوضع هو كثر عدالة بشكل ما ، ان اليهود هنا لديهم برمه احسن كثيرا . ان السبب في ذلك هو انهم يحتاجون الى عقولهم هنا . هل هذا شيء جديد ؟ بالطبع لا . بل انه في بعض الاحيان بعد موعا من الازدواج في الشركات . فبينا يوجد يهود كثيرون في قسم المحوث والسبب والتطوير .. فثلك لا تجد يهود ابدا في القسم المبيعات .. او في الإدارة .

ومن جانب الشركات ، فثنا نسمع تفسيرات واعدارا مختلفة ، ولكننا لا نسمع انكارا .. وقد حدث في الابله اسلمية للحرب العالمية الاولى ان قال مسئول رسمي في شركة شيفونيت بيومورك « ان السبب في عدم وجود عمليات تليفونات يهوديات (بالشركة) .. هو ان العمل يتطلب مد اليد الى كل اجراء جهاز السويتش .. ولكن الفتيات اليهوديات ادرعن قصيرة . اما الآن ، فيقول مسئول كبير في التليفونات : (نحن نصر على ان نمنع مسئولونا الكبار العمل من القاع الى اعلى) . والحقيقة ان اليهود لا يريدون ان يكونوا عمال تليفونات » .

ان الكلمات تختف ، ولكن العظمية لم تختف .

والواقع ان المبررين المسيحيين في الشركات الكبرى يعيشون طبقا لمفهوم في الحياة لا يسمح بوجود يهود . ان معظم المديرين يعيشون في محسنت كلها مسيحيون ويلعبون الجولف في نواد كلها مسيحيون . وفيما عدا العلاقات العشوائية في المطاعم او في الطائرات فانهم يودحون في اطار لا يتفهم يهودا . وبعد ذلك فانهم يقولون لسحبهم في غموس : « الى الحميم بهم .. ان اليهود سوف يفسدون الانبياء » . واحيانا تكون المظنة اقوى من ذلك ، فكما يقول نائب رئيس المبيعات في احدى شركات التبرول معد ان شرب كاسا في شرفة نادي الخولف : « شينار لا يريد هذا في شركتنا » المجرمون واليهود .

ومع مرور السنين . اصبحت المشكلة اكثر تعقيدا . ان شركة « فورد » للسيارات مقتت ثقة الجالية اليهودية الامريكية في العشرينيات من هذا انقرس هيمما اشرف مؤسسها « هنري فورد الاول » على النوريع الامريكي المصم لبروتوكولات حكماء صهيون وهي شيء روري روسيا القيصريه مدعية انها بذلك تكشف مؤامرة يهودية للسيطرة على العالم .

ومنذ موت هذا الرجل المحور ، فان شركته اهتمت بتمحيب وصالها ، ان مجلس اداره المصالح العالميه لشركه « فورد » لا يضم حتى الان يهودا واحدا .. ولكن الشركه قابض بتحصدي مقاطعة عربية شاملة .. عندما اقامت مشروع تصمم في اسرائيل ومؤجرا قابض الشركه ، كجرء من محتها المستمر عن المواهب ، بلرسل عند من كشافي المواهب الى كل من جامعتي « يشيفا » و « برانديس » اليهوديتين .. بهدف البحث عن الشياطين اليهودي الموهوب لتضمينهم في جهازها التنفيذي . ان عملية الاستكشاف هذه فشلت ، ولم يحصل الكشافون على احد

ومعقة عليه ، ملئ بحاج اليهود كرجال أعمال ، وهو مصباح
ضخم ، سوف يستمر في النمو . وهذا الموقف اليهودي المتكافئ
في وسط رجال الأعمال الأمريكيين سوف يستمر . . حتى لو كان
زعماء الصناعة الأمريكية راغبين حقا في تغيير عدائهم للسامية
، وهو الشيء الذي لا دليل عليه حتى الآن .

ومن ناحية اليهود الأمريكيين ، فإن رد مثل معظم رجال الأعمال
منهم في مواجهة العداء للسامية ، هو إعطاء الهدايا والمصح .
وليس من المضحك أن يقول أنه حبيبا بشعر رجل أعمال يهودي بأنه
مهدد . . فإنه لا يبدد يده إلى سمثة ، ولا يذهب إلى ناد . .
ولكنه يبدد يده إلى دفتر شيك . أن التهديدات ضد اليهود هي
شيء متوغل في رمما . والنشاط اليهودي الإنساني هو الآن
مؤسسه بصل ماتحها النمو الاجبالي إلى ٧٢٥ مليون دولار .

إن الكثافة التي تم بها رد فعل معظم اليهود الأمريكيين لأهرب
الشرق الأوسط في سنة ١٩٦٧ ، لدهشت أناسا كثيرين بما في ذلك
كثيرون من اليهود أنفسهم . جمع بدء لشبك إسرائيل ضد قوات
مصر وسوريا والأردن . . عاد إلى يهود أمريكا رعب قديم . . .
لقد آمن يهود أمريكا بأن مملكة جديدة للأمرياء هي على وشك
أن تقع . أنهم عرعروا لإسرائيل فوراً - ١٧٥ مليون دولار تم
جمعها . في مدة فيلبيه . . هي سنة أسابيع فقط .

وفي تفسير هذه السرعة في رد الفعل . . توجد تقاليد ومفاهيم
للحياة اليهودية تمتد خلفا في الزمن وتتحدى حدود الولايات المتحدة .

مطوال كرون عديدة ، احتاج يهود أوروبا إلى أن يكون لهم
نظامهم الخاص في جمع الصفقات والتبرعات . لا حكومة ولا طبقة ،

ولا أمر في أوروبا المسيحية . كان يمكن الاعتماد عليه في الدفاع عن اليهود . ماذا أصيب اليهودي بكبر السن وإذا كان على الميأس والأراذل اليهوديات أن يمتنعن بأي حمليه على الإطلاق .. ما من اليهود أنفسهم يحب أن يقدموها ما دأب المريض اليهودي يحتاج إلى علاج . ملابد أن يصبح الطبيب اليهودي والمستشفى اليهودي ، شئني سروريسى . أنها التمرعات رائدة الضرورة . وقبل أن تصل الموجات الأولى من المهجرين اليهود إلى أمريكا .. كل اليهود الأوربيين قد أقبلوا حتمات حياجه وطيدة لأنفسهم .

وفي الوقت الحاضر ، توجد في الولايات المتحدة أكثر من ٦٤ مستشفى خاضعة للرعاية المالية اليهودية . وهي تضم عشرين ألف سرير .. وفي كل مدينة كبيرة بالولايات المتحدة .. لابد أن تجد مراكز تجمع للعالية اليهودية .

وبمرور الوقت أصبح النشاط اليهودي لجميع التمرعات ضحيا للعالية . وفي سنة ١٩٤٨ — سنة قيام دولة إسرائيل — بلغت مساهمة اليهود في هذا النشاط مائتي مليون و ٧٢١ ألف دولار ، معظمها كان من نصيبهم . وخلال السنوات الخمس السابقة لحرب الشرق الأوسط في سنة ١٩٦٧ .. ما من الحملات اليهودية لجميع الأموال والتمرعات كتبت مائتات فائدة على حجم ١٢٥ مليون دولار سمويا .

وبالرغم من أن هذا الرقم معناه أن مساهمة اليهودي الأمريكي هي في المتوسط عشرين دولارا — بما في ذلك الأطفال ، فإن الدليل قوي على أن أقل من نصف اليهود الناجين في أمريكا لا يساهمون بأي شيء على الإطلاق . أن معظم الأموال تننى سماع كبيرة ، وفي بعض حالات رحل الأعمال اليهود على التبرع إذا وصل إلى مائة دولار .. لا يكون مرضيا .

ان المنظمات اليهودية لجمع الأموال في الولايات المتحدة تنوع
حظوظا لوصح من تلك المنظمات الأخرى لنشاط الحالية اليهودية
في أمريكا . ففي معظم المدن الأمريكية .. يتم جمع التبرعات
بواسطة الاتحادات ، أن اليهودي الفرد يساهم مرة واحدة لصندوق
رئيسي وعن طريق هذا الصندوق يتم تقسيم المبلغ الإجمالي إلى
خمسة . أن أعضاء من كل دولار تذهب إلى تمويل توطين اليهود
المراكش في إسرائيل ، جزءا آخر يذهب إلى المستعمر اليهودي
الحظي ، جزءا ثالثا إلى المنظمة اليهودية الثقافية ، جزءا رابعا إلى
المدارس اليهودية الدينية . وفي النهاية مائة سنين في المئة تقريبا
يذهب إلى ما وراء البحار . أي إسرائيل .

أما في مدينة نيويورك التي تعتبر أكبر مصدر لجمع التبرعات
فإن « النداء اليهودي الموحد » يجمع إيراده أساسا لما وراء
البحار بينما الاتحاد الاسرائيلي اليهودي يجمع إيراده أساسا
لأغراض محلية . أن الاثنين يجمعان أموالهما منفصلين . أما في
المدن الأخرى فيتم التبرع بشكل موحد عن طريق الاتحادات .

أن هذه الاتحادات تعمل تحت إشراف خبراء يهود مختبرين
وهي تقوم بجمع التبرعات مرة واحدة سنويا في أكثر من ثمانمائة
مدينة أمريكية . أن المجموعات المحلية تنضم إلى مجلس قومي
للإتحاد الصهيوني اليهودي والنشاط الاختصاصي ، ولكنها تتنوع
باستقلال في طائفتها الحظي وتبارس نشاطها طبقا لخطوط يتم
وضعها على أساس قومي .

والنجاح الذي يتحقق في كل مدينة مختلف تماما للجهود الذي
يتم بذله في جميع الأموال .. لطبيعة الحالية اليهودية في كل مدينة .
أن « كينغز » مثلا .. هي مدينة ذات أحياء قديمة كبيرة يسكنها
السود .. ومع ذلك فإنها تمثل منطقة حيده « لجميع الأموال

اليهودية . ان الحائفة اليهودية في « كليفلاند » وانرادها مسكون
الضواحي ومعظمهم يصل متوسط ثبرغ الفرد منها الى ٧٥ دولارا .
مدينته « فيترويت » هي ايضا « منطقته جيدة » .. بينما
« لوس انجلوس » ليست كذلك

ان لوس انجلوس تضم حوالي نصف مليون يهودى .. ومع
ذلك لا يساهمون باكثر مما يساهم به يهود « كليفلاند » .. الذين
لا يريدون عن مائة الف . ان المخصصين يشيرون الى الطبيعة
المنتشرة والمتشقة لوس انجلوس .. وإلى احسانها الشهولي
بالرؤال .. كتفصير جرنى . ولكن ، مع التسليم بهذه الاشياء
من المخصصين مثلوا يمعرون عن حريتهم من هذا التناقض .

وهنا يقول احد اليهود المخصصين في هذا النشاط ' « اننا
نصمه عامه لا نستطيع ان سميك نذكر معنى من الصلاية بالنسبة
لنطلبت البرماج الناحع لجمع التبرعات » . اننا نعرف مثلا ان
المهالية يجب ان تضم املا اثرياء نحن لا نستطيع ان نجح
كثيرا في جمع الاموال من الفقراء . ثم ، نحن محقق نتائج افضل
بين الحالات اسى فليسب جيدا كما هو الحال في « كليفلاند »
.. حيث استقرت كل اسره واصبح التفرع تقليدا قائما . في مثل
هذه الاماكن هناك نجد الناس يستمعون بوعى يهودى قوى ووعى
جماعى قوى ايضا . احرا ، كما نستطيع ان نمعن ، يجب ان
يكون الجهاز لكما ما يمكن » .

وي مدينة كثيرة نموذجية ، هي شيكاغو . بعد ان المنظمين لهذا
النشاط يرسلون لجانا للتصية بعمل كالدوريات .. خلال كل شارع
في الحياه اليهودية . ان موضوع جمع الاموال يتم تعيينها بالنسبة
لكل ناد يهودى في شيكاغو . في نفس الوقت تختص لجان اخرى
برحال الاعمال . لجان اخرى بشكلها « المداة لليهودى المتحد

في شيكاغو « تتخصص في مهمة الخلسة والكحول والمخدرات
الأخرى .. وفي المجموعة الأخرى هناك ١٦ لجنة تعمل على كل
دولار ممكن من مجموع رجال الأعمال .

ويقول أحد المسؤولين عن هذا العمل « أن الهدف الشامل لنا
هو أن نحصل من المسجل على أي شخص إلا نترع . أننا نحاطب
في كل شخص ما نراه مناسبا . الخوف .. أو العزور .. أو
التعطيل مثلا . أننا نريد نتائج . ولهذا نلجأ للعزور هو في العادة
أحسن الدوافع » .

ول هذا الصدد هناك نكتة شتى يتم استحداثها في معظم
المدن الأمريكية الكبرى هو طبع ومشر ما يسمى بـ «كتاب الحب» ..
الذي يتم توزيعه على نطاق واسع بين أفراد العالمة اليهودية .
أن الكتاب يضم في البدايه صفحات ثقيلة من الكلمات والمصور
المناسبة .. وبطءا يصبح ثقيل من الأسماء . أن كل شخص
ساهم على الأقل بتدبر معنى من المثلث ، ربما خمسة دولارات ،
يتم طبع اسمه بلون خاص . وسميهم الحائمة . على أي شخص
يرفض المبرع يصبح معروفا .

أن أحد أعضاء لجان جمع التبرعات يقول : أن « كتاب الحياة »
هو واحد من أكثر الوسائل فعالية لكسر الجمود . ليس هذا فقط ،
بل أنه يحصل كل شخص معطى شئنا قلنا يجعله يملأ أكثر ..
وبالنسبة لأوساط رجال الأعمال . فإن كل شخص يريد من الجميع
أن يتصوروا أنه أكثر ملاحا . أن المنبرع هو شكل من أشكال التناحر
أيضا .

أن أناسا قليلين يمررون كل وسيلة بينهم المسؤولين عن جمع
الأموال اليهودية . في مقابل ذلك على أعضاء هذه الوسائل
يشيرون إلى الهدف . أنهم يتخفون عن « مستثنى جبل مبيد »

في نيويورك . عن « مستشرق مجتهد زير » في شيكاغو . . انهم
يختمون عن اليساري الذين وجدوا مأوى ، عن الارامل الذين
وجدوا عملا . انهم . . يتحدثون عن اسرائيل .

ان النقطة هنا ليست هي ان النشيط اليهودي يسجل نقطة
مرتفعة منط ، ولكن النقطة هي ان اليهود ، والمجتهد رجال الاعمال
اليهود ، هم غريزون بين مجموعات المهلهرين الحديثين . وايا كانت
الاسباب . . فانهم يتولون تشرير لورهم بانفسهم .



ومن الناحية الأخرى نجد ان عددا كبيرا من انصار اليمين في
امريكا يدعون ان لديهم معرفة اكثر باليهودي كرجل اعمال .

انهم يسألون . كيف يمكن ان يكون ملوك رجل الاعمال اليهودي
أخلاقياً ، بينما هو لا يعرف المسيح ؟ ان اليهودي هو اني بطبيعته
والمسيحي الطيب لا يمكن ان يكون كذلك ان اليهودي الذي لديه
مسيح يعرفه ، يفنقر الى التسور الاخلاقي .

ول نفس الوقت الى احد النظريين المشهورين كتب يقول .
« دعونا نطرح الى اليهودي الحقيقي في زماننا هذا .

— ما هو ليس اليهودي في حالنا ؟

— الضرورة المادية .

— ما الذي معده اليهودي في هذا العالم ؟

— الرضا .

— من هو الهه ؟

— النقود .

إن مؤلف هذه الكلمات لم يكن هنر الكاثوليكي المسيحي . ولكنه كان هيريج كارل ماركس مؤسس الشيوعية ، الذي ولد أصلاً كيهودي . غنى مقال له بعنوان « المسألة اليهودية » كتب ماركس قائلًا : « إن اليهودي حرر نفسه — ليس فقط من حصوله لنفسه على السلطة المالية ولكن بمصلح حقيقته إن اليهود قد أصبحت سلطة عالمية . والروح اليهودية العميقة قد أصبحت هي الروح العالمية للدول المسيحية » .

والرغم من أن هذه الاقتطاعات يمكن اعتبارها بمثابة تعليقات ماركس العقلية . فإن أهميتها توجد في مكان آخر . إنها شجنت حتماً مشائصاً بين ماركس واليهي أنطرب . وحتى في الولايات المتحدة ، التي يصعب أن تكون أرضاً خصبة لليسار ، فإن اليهود أقاموا شعباً راديكالية ، وأدبلوا بأحاديت راديكالية ، وشكلوا اتحادات راديكالية ورشحوا أنفسهم كراديكاليين . . تحت شعار ماركس المعادي للعبادة . إن مثل هذه النشاطات كانت تزعج الرجل اليميني الأمريكي . وبمجرد أن ينتهي من هجومه على رجل الأعمال اليهودي . . فإنه يستدير إلى الراديكالي اليهودي .

وفي أمريكا لا يوجد يسار يهودي متعش . ولكن يكون متأكد ، فإن هناك يساريين يهوداً ، ولكن لا يوجد يسار يهودي . إن هناك عاملين على الأقل ساعدوا في ذلك بالأسف إلى عامل ثالث — المداء المسامح بين السود . ويقول أحد الرواح وهو يشتغل كرجل أعمال ناحح في حي هارلم : « إن اليهودي يكون مدعماً بالحياة داخل أكتوبة في أمريكا . أنه يحاول أن يصبح حراً من الأغلبية البيضاء . إن اليهودي يهرب أن المسيحية غير ناححة ولكنه لا يمكن أن يقول ذلك بصوت عالٍ . أنه محير للرجل الأسود بل عليه أن يصلي — إن اليهودي يعرف أن هذا لن يحرر من حال الرجل الأسود مطلقاً — هل يعتقد أن اليهودي الذي يقول ذلك . . هو

نفسه يملئ ؟ انه يملئ كالبحر . ان اليهودي ينتى الى حى
 يمكنه السود . ويبيع المسألة — ٢٦٦ دولارا . ان نفس المسألة
 تباع بـ ١٦٦ دولارا في الحى اليهودي . ولكن اليهودي ينتى الى
 الرجل الاسود ويقول له : اجمع عشرة دولارات منقط وأخبرنى
 بوظيفتك . . . وحد المسألة . والآن ، يوقع الرجل الاسود على
 ورقة ، بينما اليهودي الذى يملك المحل يحدد هذه الورقة ويبيعها
 الى شركة ائمنس . . . هى منورها يهوديه . ويحدد ايمعرا الدائن
 الاسود عن تسديد بعض الأقساط ، على محاسب يهودى يحدد ثورا
 على امر قتلوى مستخدمته ، ومعه هياكلى محضر . وان اليهود ياهدون
 المسألة . . . لكن يبيعوها من حديد ، بينما المواطن الحضر الاسود ،
 الذى ربما لا يملك فى حبه اكثر من دولارين — يفر من سطح
 اسرته ويحكمه رعبه فى الحرى ، ويسيطر عليه شعور سيء انه
 لا يجد ما يفعل سوى ان يجرى الى محل شعور ، ويصع الدولارين
 الآخرين فى حبه . . . فى الحبر . ان الرجل الذى يبيع له الحبر هو
 فى النهاية يهودى آخر .

وبالرغم من ان فى هذا الحدث عناصر من الحقيقة . . . فانه
 موه . ان من الصحيح ان بعض الكياليات ساع فى احياء السود
 باسماء اعلى ولكن من الصحيح ايضا وجود معدل اعلى من
 الجرائم ، واجراءات أقل ضد الحريق . واحتمال اكبر للشعب .
 وهذا كله يرجع تكاليف لقاء المحل الحارى . ان من الصحيح ان
 الرجل الاسود قد حصل على كل خدمات ممكنة — بطريقة محطمة
 من رجال الأعمال الأمريكيين وليس اليهود . . . وفى النهاية على
 من الصحيح ان بعض اليهود يستغلون بعض السود . . . ولكن
 من الصعب مع ذلك ان يجعل الصورة نأخذ لونا اكثر مساواة
 من ذلك .

أن العداة للسامية يجب أن يكون هو أول الاضطار التي يواجهها اليهود . وهو كذلك مفعلا منذ قدومهم لأمريكا . أن أكثر من مليون ونصف مليون يهودي من أوروبا الشرقية وصلوا إلى الولايات المتحدة في السرد بين سنى ١٨٨١ و ١٩١٠ . أنهم خرجوا من روسيا حينما سيطر عليها العداة السامية . وبقتها كل إحدى البحطط الروسية التي وصفت لحل « المشكلة اليهودية » تقضى مائحاد ثلاث خطوات . . حيث بمقتضاها لابد من تهجير ثلث اليهود . . وسحب الثلث الآخر إلى المسيحية ، ثم قتل الثلث الآخر .

أن الموقف في روسيا القيصرية وقتها نفع مئاث الإلوف من اليهود صاحبه اليسار . وطبقا لأقوال الحاجام برنارد بلوم فإن « الاشتراكية كانت بالسبة لليهود الإمبراطورية الروسية . . بمثل ما كانت حركة الإصلاح الديني لليهودي . أن تلكا الإيديولوجيتين مكثا اليهود من أن يهربا من المصور الوسطى » .

وبالسبة لأمريكا . . ماواقع أنه برغم أن العداة للسامية هو شيء حماد للسياسات المقررر ونفسطة حكومه الولايات المتحدة . . إلا أن العداة للسامية لا يمكن أن يسمى بأنه ظاهرة غير أمريكية .

أن العداة للسامية كل واحدنا من الصائرات الأولى القافية من أوروبا . . والتي وصلت إلى الدنيا الحثيدة سابقة على معظم المعامرين اليهود . ومن المؤكد أن لليهود لم يبدؤوا الاستقرار في ما سسمى بعد تلك « الولايات المتحدة » . . حتى منتصف القرن السابع عشر . . ولو استغنيا لليهود والرفيق . . فإن من المقرر أن أربعة ملايين فقط كانوا يعيشون في المسممرات التي كانت قائمه وقت نشوب لنثور الأمريكية .

ولقد كان « هيرم سالومون » — الذي محتمل أن يكون قد وصل

الى أمريكا في سنة ١٧٧٢ — هو أول مهاجر يهودى من بولندا ..
 انه تولى العمل مع الحكومة الثورية باعتباره « مستشارا في مكتب
 المالية » . مع ذلك من تهرمة «سالمون» الأمريككيه لم تكن سعيدة
 تماما . انه في النهاية لم يستطع ان يجمع لنفسه رأسمال كاميا ،
 وبعد وفاته رمى الكونغرس الكثير من مره طلبات أسرته بتقرير
 معاش لها .. ومن المؤكد ان السبب في ذلك كل هو العداء
 للسامية .

وحتى سنة ١٨٢٠ لم يكن هناك أكثر من ١٥ ألف يهودى في
 الولايات المتحدة ، بسيا كل عدد السكان بقرب من ١٧ مليونا .
 ان معظمهم كانوا يهودا شرقيي .. فهم كانوا يهودا قاسمي من
 أصل لبيلتي وبرتمالي — ولكن مع سنة ١٨٤٠ ومع خروج هجرة
 واسعة النطاق من الدويلات الألمانية ، فقد بدلت أول موجة هجرية
 يهودية كبيرة تصل الى أمريكا .

ان العداء للسامية كما يواجهه معظم اليهود الأمريككيين اليوم
 لم يكن موجودا في تلك السنوات ، ولا في سنوات الحرب الأهلية .
 ان أخلاق الدواي في وجهه اليهود .. وأغلاق المناطق الأخرى من
 الحياة الاجتماعية ، ووجود الحواجز المرتفعة في التجارة والتعليم
 ... كانت أشياء مألوفة معهورة للمستقل الأمريكى .

ان مؤسس ، أو على الأقل التأسيس الحامى — للعداء الأمريكى
 الحالي للسامية هو « هنرى هيلتون » .. رجل الأعمال الذى
 عين فيما بعد مديرا عاما لمصنع « حرقاد يوبيور » في نيويورك .
 وفي سنة ١٨٧٧ أصدر هيلتون تعليمات بمحرم السياح لليهود بدخول
 هذا المصنع مستغلا — اثر اكتشافه ان أحد الزبائن يهودى . لقد
 كانت تلك هي محطة البداية في حملة من الضغوط المعادية للسامية

في أمريكا . انها حملة لم تتوقف لمدة سبعين سنة بعدها .. الى
ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وخلال تلك المدة المملوكة على الحرب الثانية ، اشترى لا هنري
غورد « حريدة » في ١١ يناير سنة ١٩١٩ . وخلال سنة واحدة بدأت
تلك الجريدة - التي كانت رائدة تماما - اقوى حملة من المنداء
للسامية في تاريخ الولايات المتحدة . ففي شهر مايو سنة ١٩٢٠ ،
نشرت الحريدة المقال الاول من سلسلة مقالات وصلت الى ٩١ مقالا ،
وكلها بعنوان « اليهودي الدولي : مشكلة العالم » . ان محور ملورد
بالمقالات كان ما يسمى « بروتوكولات حكباء مسبيين » .. وهي
المقالة التي روجها روسيا القيصيرية مدعية انها مصدر على تفاصيل
اجتماع سرى لـ « رعباء اليهودية العالمية » .

وحالا الى ٩١ اسبوعا التي نشرت فيها الجريدة هجماتها على
السامية ، ارسع توزيعها الى سيمائة الف نسخة .. و في النهاية ،
اي في سنة ١٩٢٧ ، تنصل غورد من المقالات في بيبي علم . انه
كتب يقول : « اسي متفكر بعمق من ان هذه المصحفة كانت هي
الوسيلة .. من اجل معاقبة الفراع القاتم على ان اليهود يشتركون
في مؤامرة للسيطرة على رأس المال وصناعات العالم ... افني اظن
ان من واصل كرحل شريف ان اقوم بتقويم واستفزع الاحطاء التي
ارنكب في حق اليهود كلعوة ورفقاء » .

وفي نفس السنة اتفقت شركة غورد ١٥٦ الف دولار كاعلانات في
الصحف اليهودية . وفي نفس السنة ايضا ، ترجمت مقالات الصحيفة
واعيد طبعها بالالمانية . وقتلها بعض سنوات لاحظ مراسل لهريدة
اليوميرك سبهر (اليهوديه) .. بينما هو يحرى حديث مع الزعيم
الناري ، انولف هتير « .. لاحظ صورة لمورد معاقه على أحد
جدران المكتب » .

ويجب أن يلاحظ هنا أنه خلال قمره ازدهار هنتر ، مل وطوال
 فترة حكمه ، ملي الولايات المتحدة لم تعلق ولا مرة عن حلالها معه
 بالنسبة لقضية العداء للسامية . أن الولايات المتحدة لم تقم حتى
 بقطع العلاقات الدبلوماسية ... ثم حتى سحبتم القنصل انجلى .
 أن الرئيس « فرانكلين روزفلت » نفسه كان ساميا وأحرى .



والآن ، بعد أن احترقت الملعقة في برلين ووارسو وفسا ... فقد
 أصبحت من اليهود الأمريكيين فحاة ... أهم حلية في العالم .

إن اليهود الروس ساميتون . ويهود إسرائيل يمارعون من أجل
 البقاء . ويهدأ من علينا نحن - يهود أمريكا - تقع مسؤولية
 نهائية من أجل البقاء . فلماذا لم نجعل نحن في البقاء كيهود ...
 فمن الآن ؟

العالم العربي أمام القارئ الغربي

◊ ترويض الفكر والخيال

● لس هذا الكتاب في السلسلة ..

هذا الكتاب في الرحلات . عنوانه : « يوميات حول العالم » . مؤلفاته هما مضيض حويثان أميركيتان اسمهما « ترودى ماكى » و « راشيل جونز » . موضوعه هو معلومات هاتين المصيفتين في أكثر من خمس عشرة مدينة ولدا حول العالم . توريعة : « مدى الثلاثة ملايين نسخة » . كل منوره : الولايات المتحدة الأمريكية .

هذه هي البيانات المبدئية عن الكتاب .

بعد ذلك مقراء . نقرا عن لندن وباريس وبارلين وموت كارلو وكوبينج وموسكو .. ومضى البلاد لنى بتناولها الكتاب في لمصولة . وطوال صفحات الكتاب ، لا تحظر على نال القارىء الأهسى سوى ملاحظة واحدة . قه كتاب حبيب وسيل ومقول . في حدود هذا الإطار الشخصى من توريعة .

مع ذلك لى الكتاب يؤدى في ثلثها صفحاته مهمة هائية — هى في صميم السلسلة .

ان أحد فصول الكتاب عنوانه : « لنا لابهتنى ماذا نقول الأعية » . أخرج من خيلى « . بعدها يبدأ الكتاب في سرد معامرة يفترض أن إحدى المضيفات الحويات الأمريكيات قلبت بها أضراريا في مكان ما من العالم العربى — مكان يقع في الصحراء ما بين سوريا والملكة العربية السعودية . وتطالها الرئيسيون أربعة رعيم قبيلة عربى ، وأنه .. ثم المصيفة الحديبة الأمريكية : وطيلر جريطانى اسمه « سترلنج » .

وكما تناولت الأعلام العربية كثيرا المعامرات المزعومة للرجل الأبيض في أدغال إفريقيا .. على هذا المصطلح يقدم لنا معامره الطيار البريطاني ومضيفته الأمريكية في الصحراء العربية . اننا امام عرب حميين وبربريين ومتوحشين من ناحية . في صراع ضد معامرين عربيين متحضرين وشجعان وطولزانات من ناحية أخرى . نحن امام نمأة غريبة حييلة وعدواء .. ثناء لها سواء الحظ ان تقع ضحية احتطاف قامت به قبيلة عربية . بحيث لم يعد هناك مفر سوى ان يقوم رجل ليس قادم من العرب بالتقاع هذه الفتاة المسكينة من مرائي هؤلاء الفوحشين العرب . انه يقوم بهيمته هذه وحده . بعد ان يتطلى للجميع من مساعدته . في مواجهة قبيله يأكلها . وحده . معبر شريك معه سوى مسدس . وسنوبة .

هذا هو الموثب الاساسي في القصة كلها .

ان رعيم القبيلة العربي له لبس ، أحدها حائل وهيى مثله . والاخر تلقى قسطا من التعليم ، ولكنه سلبى للعيبه .. ومهروم دانيها ، ولا يحلم بعمر سيلة مورد مكيفة الهواء . وى البداية يقدم لنا هذا الكتاب رعيم القبيلة باعتباره لبا لا يعرف حتى معنى كلمة « احتطاف » باللغة العربية . ومعدنا بتقابل مفاجا به وقد أصبح — بقدره قادر — يتحدث بالانجليزية الى المصيفة الأمريكية .. مكررا لها بشكل متعبد معبر « انه لشيء مكتوب » .. احياء من انكتاب بانه مكتوب في القرآن طبعاً .

ان القصة كلها تتضح غمها « القرعة » من اول دقيقة .. وكفى أن تقرأ الأسماء التي ادعاهها المؤلف لأبطاله العرب . أسماء مثل « ابن سبنوش » لو « ياشيد » لو « شلوم » . هل حدث مطلقا ان سمي عربي مسلم ليفه باسم « شلوم » ؟

اننى اتصور الآن قارئاً عربياً مصحك بله شديده .. استحقاقاً
لذلك الصور الكاركتيرية ولكننى تصور أيضاً قارئاً أمريكياً ضحك
هو الآخر من قراءة الكتاب كله .. ولكن على أساس ان ما غراه فى
الكتاب كئلى واقعه محددة .. منكر مما هو صورة كاريكاتيرية ، ان
القارئ الأمريكى مطوملته السطحية تماماً عن العالم العربى ،
وبهتليلته الخفيفة فى القراءة ، ويولعه الشئيد بقصص المعبرات
والبطولة العرنية ، وسيلانه التاريخى منه انتزع قارة بكلها من
أيدى اليهود احمر .. قد اشترى من هذا الكتاب اكثر من ثلاثة
ملايين نسخة .

ثلاثة ملايين نسخة ، وثلاثة ملايين قارئ أمريكى على الأمل ..
هزجوا بعد هذا الفصل باطناع رئيسى واحد ' ان العرب هم اليهود
الحمر العدد فى منطق الشرق الأوسط . انهم همجيون مقررون
لا يملح للتعايل معهم سوى المسدس . ان « هؤلاء العرب بيكن
ان يكونوا متوحشين تماماً حينما يسلط الأمر بأمرأة عربية جبيلة »
على حد تعبير هذا الكتاب . ان شيئاً لم يردعهم عن احتطاف هذه
الفتاة ومحاولة اعصابها بالقوة .. سوى رجل نبض قائم من
العرب .. حاملاً فى يديه مسحساً وسفينة .

الى هنا والكتاب لم يقل شيئاً على الإطلاق عن العرب
واسرائيل .. لا شيء .. لا شيء .. لا شيء .

ولكن القارئ الأمريكى — نفسى القارئ الذى قرا هذا الكتاب —
منما يتصفح جريدته فى اليوم التالي .. ويقرأ فيها خبراً من خيام
اسرائيل بعاره ضد القذائين الفلسطينيين مثلاً ، لو صد هذه الدولة
العربية أو تلك .. فانه مكرس مهذا مقعد لتقتل هذا الحمر فى اطار
نهمه السابق لصورة العرب فى الشرق الأوسط همجيون ،

بربريون ، منأخرون ، مستحقون التأييد من وقت وآخر . يعنى
يهود حمر ..

وتلك هى المهمة السبلية الى يحققها هذا الكتاب .

ان احدا لم يلتفت هنا الى العالم العربى لهذا الكتاب عندما صدر
في مخبئه نيويورك .. ولا الكتب الأخرى المماثلة . وربما لأننا هنا
لانتفع بما فيه الكفاية النشاط الصهيونى داخل دور النشر الأمريكيه .
دور نشر مثل « راندوم هاوس » و « ميبون أند شويسر »
و « بلانطوم كامباني » التى أصدرت من هذا الكتاب خمس طبعات
متتالية .

لم يلتفت أحد هنا لمثل هذا الكتاب ، ربما لأننا نكتفى فقط
بالإنتباه الى الحركات الإعلامية الصهيونية .. الحادة والصارخة
والمباشرة . ولكن الإعلام الناجح - في الجراء الأكثر منه - ليس
حادا ولا صارخا ولا مباشرا . الإعلام الذى يريد ان يؤثر بعمق ،
ويعمل على أساس تخطيط طويل الأجل .. يرنب نفسه من أجل
تحقيق هدف أساسي هو ' تثويته حمسه سياسيا وثقافيا
وحضاريا .

.. وهذا هو بالضبط ما يمارسه الإعلام الاسرائيلى والصهيونى
ضدنا في أوروبا وأمريكا . انها الحرب الأخرى التى نمارسها
اسرائيل ضينا ، بعيدا عن مجازي القتال المسلح .. وعن الإعلام
المبتصر الذى رابهاه حتى الآن . انها حرب أخرى بحرى بين صفحات
الكتب المعيدة المتوالية . مثل هذا الكتاب الذى احتزنه كبثال
ومودج ، اننى فضلت ان أترك الكتاب كله .. لكني أقدم منه
للقرائة العربى هذا الفصل الخامس .. بالتقصيل وكما ورد في
الكتاب تماما .

.. وليس هذا كلنا في السيفه .. ! ●

نخرجي من خيبتى ..

صناعة الطيران المدنى هى ، مثل كل الصناعات الأخرى ، قد شكلها الحاصل من الحرية والإشاعة . هذه الحرافات .. بمجرد أن تبدأ ، تنمو فى الشكل والمضمون .. إلى أن يصعب فى النهاية استعراج الوقائع الحقيقية منها .

أن أحدى هذه الأساطير فى عمل المصنعات يدور حول « جين ميغلون » . أنها عملت فى شركتنا للطيران مثل عملنا نحن مصحات قليلة . فى الحقيقة .. أنها عملت فى خمس شركات مختلفة للطيران . وكما تبدأ هذه القصة .. متى « جين » انضمت للمرة السادسة إلى عمل فى شركة أخرى للطيران . وفى هذه المرة كانت الشركة هى مجرد شركة طيران عربية صغيرة تعمل فى الأماكن السائبة والمناطق النائية من العالم العربى .

أن جين كانت غفلة طويلا ، مشغولة بالمزج والحقاقه .. وقد أصبحت قصه تجربتها التى لا تنسى ، والتى وقعت لها أثناء عملها فى الشركة العربية ، قصة تروى فى أنحاء العالم كله . أن من الواضح هنا أن الموتب الألبسى فى القصة قد حدث فعلا . ولقد حاولنا أن نلم بها شيل المساهمين المحظقة التى تم بها رواية الثعوبية .. لكن بسم القصة فى هذا الكتاب .



نظر « ياشد بلستوش » إلى أعلى من فوق الجبل الذى يمتلكه .. بعد أن سمع فوق رأسه طقرا من طراز « د. د. س — ٦ » .

أنه همهم لنفسه قليلا : هذا طير كبير .

أحانه « شالوم بلستوش » : لا ليها الحبى .. هذه طائرة !
أن الأحمين العربيين راقبا الطائرة وهى تحتفى فى الضباب الأسفر الذى أثرتة عصفه رمليه هبت فجأة .

في داخل الطائرة ، خال الطيار ومساعدته في صراع من أجل الاحتفاظ بتوازن الطائرة . أن للطائرة « د . س — ٦ » قديمه ، ودأت رحيد كبير في ساعات الطيران . . ومن ثم قاتها دأت تبيل حدة نحو اليسار . . برغم مجهودات طاقم الطائرة . لقد كانت هذه الطائرة واحده من اربع طائرات مماثله تملكها الشركة العربيه الجويه المصريه . . وكانت الطائرة في رحلتها العاديه بين دمشق بسوريا والرياض بالمعريه السعوديه .

ان الطيار — وهو بريطاني اكسفته الشمس نوحا من السميره اقرب الى اللون الاغريقي — كلل بجاهد ماضى ما يستطيع للسيطره على المحرك . . بينما مساعدته — وهو عربي سم ندرينه في انجلترا — قدر من مقدمه . . راكبا على ارض كابيه القيادة . . مجها بوجهه نحو الشرق .

ان الكابتن « سترونج » . . بينما يكافح من اجل اداره الطائرة نحو اليمين . . شتم بمساعدته صائحا : ايها المبي . . انهض واجلس على كرسيك وساعدنى في السيطرة على هذه الطائرة الملعونه .

وهكذا نهض مساعد الطيار ملقا الى مقدمه . . بينما هو جا يراى مستمرا في التفتة بصلواته .

في مؤخره الطائرة اجس الركاب — الذين كلل مدهم سبعة . . وكلهم من العرب — بالمشكله . . ولمسكوا في قوه بمساعد مقدمهم . . لها المصيبة الوحيده بالطائرة . . مقد مريحت في خطوتها ، بينما هى تفتح باب كابيه القيادة .

ان الكابتن « سترونج » صرح فيها تقلا : اننا نفقد السيطرة

على الطائرة .. احمرى كل الركاب بأن يستعدوا لهبوط اضطرارى

اجابت المضيفة قائلا « مم ، يا سيدى .. ثم اعلقت حلقها باب الكابينة ، وعادت الى مكمل للركب . هذه المضيفة كانت هي « حى مفلتون » . انها لعبت لطيرة .. ولحظت نفسها محرام مقعدها . وبعد ان اخذت ربط الحرام ، صاحت الى الركاب ' اربطوا احرمة المقاعد .. واحطعوا مظرائكم .. وضعوا سنده على ارجلكم .. وثامسكوا . انا سوف مصطدم بالارض » .

لقد انطلقت من الركاب نلوهات مختلفة برصعة .. ولكن « حى » تجاهلتها . وببسا هي نراقب الصحراء التى تسرع لمقابلتهم .. بها هببت قاتلة لنفسها . كل يجب ان ترك هذا العمل .. واقبل وظيفة ملحة .

ان الكاش « سترنج » اطل محركات الطائرة مع اقترابه من ارض الصحراء .. لمدة بدت لا نهائية ، ثم ترك الطائرة يستقر فوق رمال الصحراء .. ولكن ليس معمق يسمح بانصاة مقدمة الطائرة . واحيرا ، توقفت الطائرة بالمدرج قبل مسافة قصيرة من تل رملى ضخم .

قال الكاش « سترنج » لمساعده . ما ريك فى هذا الهبوط الاضطرارى ؟

ولكن مساعد الطيار كل مهترا .. بحث انه لم يرد . ان كل ما تحله هو انه جفس هناك ، وظل بهم صلوات بحر الشرق . كانت تستلزم منه ان يعبر رأسه مبدأ نهليا .

ان « سترنج » هر كتيه فى حركة ارماء .. وبك حرام مقعده .. وذهب الى كنيبه الركاب .. فوجدهم تلقين للعالية .

لها « حين يبدلون » فكنت ما تزال جالسه في مقعدها ..
بتعبير مثير غوق وحدها الضمير . انها سألت الكاشي « سترلنج »
كيف استطعت أن تتغذى هذا القل الرملي ؟

رد هو عليها . حسنا يا عزيزتي .. لم يكن ألبس من اختيار
في هذا الشأن ..

فكنت « حين » حرام مقعدها ، ونهضت واقفة ، وفتحت باب
الطائرة ، ونظرت في الصحراء الواسعة الممتدة أمام عينيها
بلا نهاية . ان الحرارة انضمت الى الداخل من باب الطائرة في
لحظة واحدة . ان درجة الحرارة لا يمكن ان تكون لقل من مائة
ومشرون فهرنهايت .

ان « حين » أغلقت الباب .. وهيمت للكاشي بأن يعيد
تحميل جهاز تبريد الهواء داخل الطائرة .

لقد رد عليها « سترلنج » : « لا أستطيع أن أعمل هذا . انسى
لا أريد أن أستهلك البطاريات .. انك تعلمين ان البطاريات
قديمة مثل هذه الطائرة المرمية ..

قال أحد الركاب العرب للكاشي : كم من الوقت سوف نظل
هنا .. يا كاشي ؟

رد « سترلنج » : « لا أستطيع أن أحدد لك .. ايها الشاب
المجوز . انسى حاولت الاتصال عن طريق الراديو بالقرب محطة
منح للبريد .. واحببتهم بأننا سوف نهبط اضطراريا .. اتنى
لفرض أنهم سوف يرتبون مسألة إرسال واحدة من طائراتهم
خلال وقت قصير .. أو — على الأقل — دعنا نأمل ذلك .

ان الطفرة سرعاً ما ارتفعت حرارتها .. وسرعان ما أصبحت مقصورة الركاب لا تطلق . لقد متحت « جين » باب الطائرة وسط دهشة الجميع .. وسرعان ما تجمعوا كلهم في ظل الطائرة من الخارج ، وانتظروا في صمت .. وعيونهم تتحول فوق رجال الصحراء من بعيد .. بحثاً عن علامة انتقال .

لقد بدا الليل يحل .. بينما عيون الجميع متركزة على السماء .. ولو حدث أن نظروا عبر الصحراء .. في الحجاب الآخر من الطائرة .. فلنهم كانوا سيرون قافلة من البدو بقودها « بنشيد » و « شالوم » .

كانت القافلة تضم احد عشر عرباً .. وفسحة من الجمال . ان « بنشيد » صاح بدهشة عندما رأى الطفرة : انظر .. هذا هو الطير الكبير قد هبط على الأرض . صاح فيه « شالوم » قائلاً ، لقد لمبرك ان هذا ليس بطائر كبير .. هذه طفرة . وهي تعجل اناساً ..

ان « شالوم » .. بعد انتهت دراسته التي استغرقت سنتين في بيروت .. كان من المستحيل الحياة معه . انه كلي يقاها بتعليقه الحديد في كل منسبة .. بما كان يثر عليه مخط رفاته من البدو . ولكن « شالوم » لم يكن يكثر بشاعرهم . انه يريد فقط أن يترك حياة البدو ويحصل على وظيفة في مكتب مكيف الهواء بالمدينة .. ولكن تقليد قبله كانت تبلى عليه أن يعود ويشترك معرسة التي حصل عليها في الجامعة مع أمعاء قبيلته .

انه في هذه اللحظة كان يصيح في الحبل الذي يتطلبه ، متجها لنفسه : انتى قضيت سنتين في دراسة العقل الإلكتروني .. وبعد ذلك يكون قدرى هو الحياة مع لئال هؤلاء الناس الذين يعتقدون ان الطفرات هي طيور كبيرة !

بعدها ذكر « شالوم » الحمل بقدمه ، ففكرا في المسيرة ذات
الهواء المكثف لمركبة « غورد » .. التي اعتقد أن يركبها .. حينما
كان في ميروت .

إن القافلة وصلت إلى الصباح الآخر من الطفرة قبل أن يلاحظها
أحد . لقد كان الكلبين « سترنيج » هو أول من لاحظ هؤلاء
العرب وجسالمهم ، أنه صاح قاتلاً : أنظر .. هؤلاء الرابرة
المتوحشون قد وصلوا .. غلبهم كل منكم .. أنسا آدابهم
مثلكم .. تعالوا إلينا هنا .. داخل هذا الطير الكبير ..

لقد قال « سترنيج » هذه الكلمات ، بشيراً بيده نحو الطفرة
.. بينما « باشيد » ينظر إلى « شالوم » بتهكم .
قال « شالوم » . أننى انحدث بالانجليزية ..

رد « سترنيج » : حسا .. حسا .. هذا نال طيب . أنا
الكلبين « كلاريس سترنيج » طيار . أنى صديقك . بل أنى —
حتى — جعلت معكم طياراً في الجرائد .. ضد لولئك الفرنسيين
الفسدين ..

تقدم « شالوم » من الكلبين « سترنيج » مبتسماً .. ثم سأل .
ماذا غطت بك السماء ؟

رد الكلبين : ماذا غطت بي السماء ؟ أين غطيت هذا التمسح
الأمريكي ؟

رد « شالوم » : في ميروت . في الحليحة . أنى درست على
يد مدرس أمريكي ..

إن « سترنيج » و « شالوم » تبادلوا حديثاً ودياً ومنتعشاً .
لقد أعطى « سترنيج » هبة جارية لشالوم .. بينما حبس « شالوم »

العربى بيده على ظهر الكلفن ملتحا . وهكذا مر الحديث بين الاثنين .. بينما الجميع ينظرون للبهيمة . الجميع ، ما عدا « يثيد باستوش » .. الذى جمع العرب الآخرين حوله ودخل فى حديث ودى فى درجة مسألة . ان محور اهتمامهم كان « جين مبدلون » .. التى كانت جالسة بجوار مساعد الطيار .

وبينما الجميع تتركز عيونهم على « سترلنج » و « شالوم » .. نال احدا لم يلاحظ ان « يثيد » يتودد للتو الآخرين معها نحو « جين » . انهم انتقموا عليها .. بلا اذكار .. وامسكوا بها .. وجروا نحو الجبال .

لقد صاح فيهم « سترلنج » : اسعوا .. اتركوا هذه اللقاة وشأنها ..

اما « شالوم » .. فقد تبتم بتصبح كلمت باللغة العربية . ولكن كلا الاثنين لم يسمع فى ايشاف العرب . انهم طرحوا « جين » ارضا ، وشكلوا دائرة من حولها . لقد رفع كل رجل منهم سائيا طويلا مقوسا فى يده ، ثم وقف صليا .. متصهم حاد برنسم على وجوههم .

ان « سترلنج » نال « شالوم » : ما هذا الذى يحرى ؟

ان « شالوم » لم يرد . وبدلا من ذلك ، غاته سيار متجهما نحو « يثيد » . انه سألته نفس السؤال باللغة العربية . ولكن « يثيد » اجاب بانه سوف ياهد « جين » لكن يسلمها الى ايهم زعيم القبيلة : « ابن ناستوش » . بعدها قال « يثيد » لشالوم : ان هذه سوف تكون الجائزة الكبرى لايها .. انى سوف اصبح بعدها الابن الاثر لانيه . لما انت الذى كنت حتى الآن مغفلا عنده بسبب تطييك .. غفك ان تصبح كذلك بعد الآن ..

ان « شالوم » نجاهل مع اخيه .. ولكن ملا حدودى . في الواقع .. نلى « يفتيد » انار منكيه ، بوجها بسلها نحو احيه المتعلم .. وامره نكن ينطى للجبل ليله . كما « جين » .. لمكانت ما تزال مسطحة على الرمال .. سطرة حاتمة ترسم على وجهها الجبل الشاحب . لقد قلم اثنان من البقر بشدها من قدميها .. ورموها فوق احد الحبل .. ثم بدأ الجميع يحتفون في ظلام الليل .

— ايها اللصوص المتوحشون .. تعالوا هنا ..

هكذا صاح فيهم الكلبى « سترلنج » .. ولكن رياح الصحراء العاصبة اعادت اليه صدى كلامه .

احيرا ، قال « سترلنج » متبثا . حسنا ، ما الذى سيدخل هؤلاء المتوحشون بها ؟

رد عليه احد الركاب العرب : ان الامر سوف يختلف . علو ان زعيم القبيلة ابتهج بها .. ففهما سوف تصبح واحدة من حريمه وتظل تحمله جنبا طوال البقية الباقية من عمرها . اما اذا لم ينتهج بها .. ففهما سوف يحكم عليها بالموت ..

قال سترلنج : انتى اعتقد انه سوف يقتلها .. الا تعتقد انت ذلك ؟

رد عليه المسافر : من الصعب التنبؤ بمطبة زعيم قبيلة .. ايها الكلبى سترلنج . انه شيء مكتوب .. ان رياح الصحراء تثير الرغبت الحسية في محاربي الصحراء . ان الخبيثة الحيلة انشاجية سوف يتم استدعاؤها كثيرا لتحقيق المتعة . ان السؤال هو ما اذا كانت هي قادرة على اعطاء كثير من المتعة . هل هي كذلك .. يا كلبتى سترلنج ؟

رد الكايش : في الحقيقة أنا لا أعرف . أنتى لم أمكر فيها بهذا الشكل من قبل مطلقا .. إذا كنت تعلم ما أعنيه . انسى لطفها قليلا .. وسحبا معا مرة .. ولكن ، لماذا أنا بحق السماء اتكلم بهذا الشكل ؟

قال المسافر ، ان عقل الرجل يتباطأ حلف لسانه .. ليها الكائن . هذا شيء مكتوب .

— نعم . حسنا . ان من الأفضل ان نضع عقولنا الآن معا .. فى سبيل القيام بقتل « جين » المسكينة من ايدى هؤلاء البرابرة القذرين ..

ان المسافر العريس ابدى عدم سروره من لهجة الكايش ، وانصرف عنه الى رفاته الآخرين من المسافرين .

أيا فتاة الفتى ، فقد استمرت تقطع رحلتها أثناء الليل . ان « جين » .. فى مكتبها فوق العمل .. تصورت أحيرا ان جسيما سوف يشطر الى اثنين . لها « شالوم » فقد عبثه أخوه كسجين .

أحيرا قال « شالوم » : حينما أخبر لى بهذا .. فنته سوى يقطع لسلك .

ولكن أحياه أدار مصره بعيدا عنه .. ولم يرد .

أيا « جين » فكانت تصيح : « الفتنة .. ! » . ولكن صيحتها كانت بحكم المادة ، بكثير مما كانت بحكم الإقتراع . أيا كانت تستميت كل ربع ميل .. مما كان يجعل اليسو من حولها يضحكون ..

ومع بداية شروق الشمس .. كتبت قائلا البند قد وصلته
الى مثل رملي كبير .. وهبطت الى معسكر القبيلة . وحسبما
اذا رت بصرها الى المعسكر .. غابت رات ليلها دائرة من الحيلام
.. تتصدرها حيلة واحدة كبيرة في اتمى النهاية . ان الميران
موقدة في وسط الدائرة ، والحرب تقيمون قرب الميران .

ان « ياشيد » اعطى لشارة موصولهم .. عنهم الحرب حول
الميران وعروا مريحين بهم . بعدها لمك « ياشيد » بحبل
الجميل الذي تمططه « جين » .. وقادها بامتزاز في حولة
لفنثية عبر المعسكر . ان الآخرين كانوا يركضون في الخلف ..
مترنرين بكلمات تكرر حول الفتاة الشاحبة .. وهول انقصر
« ياشيد » الواضح .

ولقد ظل الجو سافرا .. الى ان انفتحت الحيلة الكبرى ..
وحرج بها « ابن سستوش » .. الرحيم الكبير للقبيلة .

انه صاح بصيح كلمات ، بالمرمية ، سميت المصبيح على النور
.. بها عنهم « ياشيد » . بعدها صفق « ابن سستوش » بيديه
.. لمشرق المصبيح .. فاركبن « ياشيد » و « شالوم » و « هين »
في الدائرة .

فقر « شالوم » من فوق جملة ، قتلا لانيه . ان احى ارتكب
عملا فاحشا يا لبي ..

احتج « ياشيد » قتلا : لا ، يا لبي .. انسى اثيت لك بعثرام
جميلة من الصحراء . لقد هبط من السماء طفر كبير ، واتى بها
اليا . انى تحصرتها لك ليها الاب الجليل ورعيم تبيلنا المناوصع .

أميت « حى » بالعرب . لن زعيم القبيلة كل انسفا بشع
 المظر ، ان وره يبلع ثلاثمة رطل . وجهه متجمد وسقم ..
 ينبت في وسطه شارب ضخم . ولكن الذى كل اكثر بشاعة
 هو مظهره .. الذى كل يتع لسل العقب الأيسر من وجهه
 .. طريقه تصل الى حدود نكه . وكنت هك مككن تكلى
 من حرامه ، عندها ثلاثة ، في أشكال مقومة ولبد محلاة .

لقد سال زعيم القبيلة انه « باتيد » : طار كبير الى بغابة
 صاحبة ؟

قال « سالوم » انه لم يكن طيرا يا ابى .. انها طائرة ، من
 طراز « د . د . سي - ٦ » .. يقودها طيار بريطانى اسمه
 سترلتج ..

رد الأب : « م . ان « باتيد » محروم من سعة التلميم
 الذى حصلت عليه انت يا ولدى . لن الطيور لا تبنى مساكن
 صاحبات الى الصحراء ..

لقد خرجت كلمات الأب مشاعر « باتيد » . ببها أحس
 « سالوم » بتقوته في هذه اللحظة .. مما جعله يمتدح الحديث
 الى أبوه ..

قال « سالوم » : يا ابى .. لن « باتيد » ارتكب ميلا
 سيئا . لقد قام باحتطاف هذه الطائرة . ان الصحراء سرعان
 ما ستحتشد برجال يبحثون عنها ، فهم سوف يأثون ويحاربوننا
 يا ابى ..

تسأل الأب : يا معنى هذه الكلمة يا ولدى ؟

— مصاها شيء سيئ يا ابى .. مصاها جنية كبرى .

قال الأب : نعم . أنت لخطاة يا ولدي « يا شيد » ، انسى
مكررت لك رعاتى كثيرا ، ولكك لا تجمع الى .. اتنى لشعر من
هناك كثيرا من .. من .

قال « شالوم » : مجنونة .. يا ابى .. انها سى مجنونة
الاحبيل ..

استمر الأب قائلا : بحرف النظر عما سى . اتنى يا «يا شيد»
عانت بسببك كثيرا .. ومع ذلك نلايد لى أكون نهورا ببيلوك
المحارية . اما انت يا « شالوم » .. على التنظيم أفتك الكثير . لقد
أفتك شجاعة وجراة لسلامنا .

ان « ابن ماستوش » تحصن « حى » فوق الجبل بعينه . ان
« الجوبفورم » الذى ترتبه كلى مراحما الى اعلى .. كاشفا
من جزء من صدرها . ان رعيم القبيلة مسح لعينه السوداءوين
بان تنجولا عبر جسدها . بعد ذلك نظر الى « شالوم » .. ثم
نظر الى « يا شيد » . ثم أمد النظر الى « حى » .

أخيرا أصدر رعيم القبيلة لوليه .. قائلا : انحلوا الفداء
الشاحية الى الحية .. اتنى سوف انت فى هذه المسألة فيما بعد
.. عقب العشاء .

وبينما بدأ « يا شيد » شد « حى » الى أسفل الجبل .. كانت
هى تركل بتدبيرها وتصرح بصوتها ، ولكه حملها على كتفيه الى
داخل خيمة لنيه رعيم القبيلة . وحسب مسح « يا شيد » ليدنيه
بالتجول عبر ساقها .. لكن « حى » فى قمة . ان المحارب العربى
الشماب استقطها على الأرض . وكان على وشك ان يلكها .. عندما
أمر « ليو » بان يترك الحية .. ففادها على النور .

لقد قال الأب لابنه شalom : حد الفتاة الشاحبة الى حريم بيتي
الأحرىات . واحبرهن بأن يحطنها مستعدة للمشاء .

ان « حين » صرحت بصوت أعلى من دى مثل : ان اسبح لاهد
بان ياكلنى ..

وبينما صحك الأب ، فان « شalom » لحدما بفراعيه .. وقادها
عبر ستارة داخلية ، وبمجرد ان أصبحت فى الحائط الآخر ، هزها
بعضى هامسا لها اتنى صديقتك .. وسوى لتقوم بحيلتك ..
قالت « حين » ' لا تشغل بك حيلتى . فقط ، أخرجنى من
هنا .

رد شalom : صبرا .

سأفنه « حين » الى اين تلمدنى ؟

.. الى حريم أبى . ان زوجته هناك سوف يعطيك تستجيبين
وتتجلبين من أجل المشاء . ان أبى يتناول عشاءه بمفرده
محك . تلك هى عادته مع حضرات الحريم الحنيدات .

.. انسى لى أكون حريما لاي انسان اسبح هذا .. أنا لست
فقيصة .. ولكنى أيضا لست حريما . الى جانبك ، غائى أعتمد
لن رحلكم العمور هذا .. هو خنزير وحرثيت .

.. اسكنى لينها المضيئة . لن كل ما عليك هو المسكوت ..
والنقمة فى .

ان « شalom » أخذ « حين » الى حجرة فى النخبة .. كان فيها
دستة من الفتيات العربيات .. متبللات فوق وسائد حريرية . انهن
قفرن الى أعلى سجد دحول « شalom » .. ثم التفتن حوله . لقد

كان واضحا « لجين » ان كل واحدة من هؤلاء الفتيات تسمى ان يكون « شالوم » محبوبها . انها راكبت ذلك بعصية . بينما هن يجلس ثوبه ، ويداعبن وجهه ، ويمررن بأصابعهن في خصلات شعره . ولكن « شالوم » وضع حدا لكل هذا ، وأمرهن بأن يعطن « جين » مستعدة لمشاء خالص هذا الماء . ان رد الفعل كان صريحا وعنيفا . لقد اعتقدت الفتيات ان «جين» هي اختيار «شالوم» .. وسرعان ما اسود لونهن واكتلات هيومن بالكرامية نحو « جين » . لقد بدأت « جين » تسأل « شالوم » عما اذا كان من الضروري ان يفسر لهن ما يعرئ .. ولكنه عاثر الحجرة سرعة .. تتركها « جين » وسط غيتات الحريم .

ان الفتيات استجبن لها بترديد اصوات القطط .. وبشدها بغطاظة الى حوض حلم كير من المصباح ، يقع الى جوار احد جدران الحديقة لقد دعيت لتقتلن من الفتيات لاحضار المياه .. بينما بدأت اثنان اخريان مظهر ملاسها بطريقة تشجية .

ان «جين» صاحت بهما : «انكي تهرقن ملابسى» . ولكن واحدة منهما لا تسمعها . وخلال لحظات كانت المتان قد حررا «جين» من الملابس .. واحسب « جين » انها لمحت تشمر نجاة بالبرد الشديد .. رغم أن درجة حرارة الحبية تلغ المائة ، انها نظرت حولها تبحث عن شيء - اى شيء - لئلى تعطى به جسدها .. ولكن ، لم يكن هناك شيء . فن كل ما استطاعت ان تعلمه ، هو انها وقعت هناك .. بفراعيها يشموكتين فوق مسخرها البارز .. واحدى تحذوها ايام الأخرى .. شاعره ملتصق . بينما الفتيات يسرن حولها ويتلصحن جسمها العارى .

انها حاولت ان تستنجد من اصواتهن ما اذا كانت هي محبل استحصافهن أم لا .. وفي النهاية خضعت انها ليست موضع

الاسحسانين ، لقد وحررتها احدى الفتيات في سجنها .. بينما لطبتها فتاة اخرى في مؤخرها .. في نفس الوقت الذي شددت فيه فتاة ثالثة ذراعها الى اسفل ووحرت صدرها بنفسها . ان كل هذا شحذ « جين » بالحق والعيظ .. مما جعلها تندفع خارجة من الحوض .. وهي تلوح بقبضتها نحو اقرب الفتيات . انهن تنادعن عنها بسرعة .. محبتيات بالولائد ضد هذه الانثى الشاحصة الشريرة .

بعد قليل توقفت « جين » عن تهدبها ، ونظرت حولها ، ثم سارت الى حوض الاسحمام الذي اصبح الان مليئا بالمياه الساخنة انها قالت : « الى المحجم يكن خبيثا » .. ثم استقرت داخل الحوض مستريحة مع فناء المياه . لقد تقدمت بها احدى بنيات الحرم وقدمت لها الصابون . ان « جين » اشميت .. ولشارت الى كتبها بها معناه انها يريد من الفتاة ان تغسل لها ظهرها .. ثم اغلقت عينيها .

لقد بدأت الفتيات الحريقت بمسك ظهر « جين » بالصابون .. وببطء . ان احداهن لم تلاحظ المسكين التي اضربت حدار الحيمة بسرعة بجوار الحمام . لقد مزقت الكمي حدار الحيمة ببطء .. صامتة فيه غفلة بطول ثلاث بوصسات . وسرعان ما حملت من الفتحة حين سوداء .. هي عين « ياثير » .. الذي كان يصعد عينيها بمنظر « جين » في الحمام .. مما جعل قلبه يسرع في دقاته . انه تنفس بعمق ، وبشكل كلي يسوعا لجين ، لقد فنتحت هي مسنها .. ونظرت حولها .. ورأت ما يحدث ، مما جعلها تبعد يدها في الحوض من اسفل وتملأها بالمياه .. ثم تقدمت بالمياه في الفتحة مرة واحدة . ان وجه « ياثير » نل بالمياه .. مما جعله ييمصق ، ويثتم بضع لعلات ، بينما هو يجري بعيدا .

وعندما وقعت « جين » في حوص الأسحلام ، حانت إليها إحدى الفتيات بقطعة قماش كبيرة .. لمتها « جين » حولها ، وأسمت : ثم ذهبت مع الفتاة إلى ركن آخر في الحجر .. حيث تنتظرها متاعن أحريلى لتتسبط ثمرها . أن « جين » تمصت من نفسها عندما جلست فوق الوسائد الخربرية ، وسبحت للفتيات العربيات باللامط حولها . في الواقع .. أن « جين » كانت قد بدأت تستمتع بهذه المرحلة من الأمر .. ولكنها كانت تعلم أن هناك المزيد سوف يأتى ..



وصلت طائرة خط الأنابيب التبتية من طراز « كيهسا ١٥٠ » إلى الموقع الذي هبطت فيه الـ « ٦ » اضطرابيا في حوالي الساعة الثامنة صباحا . أن الطائرة قامت بطلعات عديدة فوق المنطقة ، واستطاعت الإمدادات ، ثم قام طيارها بأخبار الكنتن « سترلنج » بالرائيو بلى طائرة أخرى سوف تصل سريعا، وبمعدا قفلت الطائرة ملادة إلى المكمل الذي لت حه . وفي الساعة التاسعة .. وصلت الطائرة النقية .. وكانت طائرة حديثة ولكن من حجم أكبر ، ومجهزة للهبوط على رمال الصحراء .

لقد استمع طيارها - وهو طيار شاب - إلى الكنتن « سترلنج » بروى قصة احتطاف « جين » .

وفي النهاية قل له « سترلنج » . أنت تعرف يا ريمقى أن هؤلاء العرب يمكن أن يكونوا متوحشين تلبا ، حبيبا يطلق الأمر بإمرأة غريبة جميلة . أثنى اعتقد أن علينا أن نذل أقصى سرعة في سبيل انقاذ الفتاة المسكينة ، قبل أن يفعل بها هذا الرعيم المتوحش شيئا .. فقط عليك أن تتبعنى ..

حك طيار شركه البترول انه باصابعه ، ثم قال ' لا شرعج من هذا الرجل ' اس مستوثى .. انه عاجر حسيا . ولكن الكلمة خرجت من فيه وهى تشبه فى مطلقها كلمة « رجل مهم جدا » بالانجليزية .. بما اسلف سترلينج بالحيرة والارتباك .

قال سترلينج . حسا ، طبعاً هو رجل مهم جدا .. لماى رعيم قبيلة مهم جدا ..

— انا لم اقل انه مهم جدا .. انا قلت انه عاجر حسيا ..
— لاشك انك تمزح ..

— طبعاً لا . انه رجل مجور سيئ .. ركله اخوته بعيدا من القصر . انهم اعطوه اموالاً ورجالا يبحرون لينقلوها ، ثم ارسلوه بعيدا الى الصحراء . انه لم يفعل شيئا لمضيفك .. الا اذا اصبح مجبوا بها وحثبا لهما .. غيبتلها . لقد فعل ذلك من قبل . انت لا تستطيع ان تلومه . انيس كذلك ؟ بعد كل شيء ، ضع يمسك فى مكانه . كلهم يحطون بك .. واثبت لا تستطيع ان تفعل شيئا . مع ذلك ، يا ريمى ، متى سوف اكون مصفدا لان اقل اى انسان ..

تلوى سترلينج من الالم ، بينما هو يتأمل مصر « جين » . انه شعر بالاسف لانه لم يكن فى علاقته معها اكثر قربا . لو انه كان يعرف انها بارعة فى الحب .. فانه كفى سوشمر بانها اكثر لهما .

احرا وجه « سترلينج » مؤالاه الى طيار شركه البترول : كم من الوقت تفتاحه لى نلتى لنا فى طاعتك بيدد من الرجال ؟
— لماذا ؟

— لانقاد « حين » طبعاً ..

— لا اعرف . ان اقرب رجل هنا هم رجل خط الانابيب . انتنى لا اعتقد انهم سيهتمون بالتحول فى مطاردة من اجل قنات .. ثم انهم

جميعا عرب ما رفقى . انهم ينظمون ان يكونوا حرمه حقراء ..
حيثما تقوم بشكركم مزاجهم .

— أنا لا اشك في هذا ، ولكن لابد من عمل شيء للمسكينة
« حين » . أليس أملاك حقا طريقه لاحضار رجالك هنا ؟
— لا ..

— حسنا .. هذا بترك الموضوع كله في يدي . دعني أرى .
افرض انك طرقت بين الى هناك .. الى معسكرهم .. وانت وأنا
نندفع لانتادها ..

— لا ، الشكرك . أنا لم يبق لي في هذا العمل اللعين أكثر من
سنة .. وأنا لست مستمدا لمضيبيهما .

— هذا شعور سافل . حسنا . ماذا عن فكرة ان تطير بي ،
مع مساعدى ، الى هناك .. ثم تطلقنا في معسكرهم ؟

— نعم . استطيع ان اعمل هذا . ولكن ، ماذا عن هؤلاء الركاب ؟
— هل نستطيع ان نرسل طائرة أخرى الى هنا ؟
— نعم . متى نود ان تصبح هناك ؟

— الآن ، وفورا .. يا رفيقى . ان كل حقيقة مفقدها يمكن ان
تسمى كارثة مائتة ! « حين » المسكينة .

ان طيار شركة المتروك اتصل بمساعدته عن طريق الراديو ..
لكي يحدد ان الطائرة الكبير « الأخرى قد أصيبت ماعطل غبية . لهذا
قرر الكنيس « سبرنج » ان المسافرين يجب اخلاؤهم في هذه الطائرة
الموجودة فعلا .. قبل ان يحاول هو انقاذ « حين » . ان الأمر

تطلب قيام الطائرة برحلتين لاحتلاء الركاب . وعندما عاد الطيار أحيرا
لكى واحد « سترلينج » .. كاتب الساعة قد أصبحت الراحلة عمرا .
لقد اكتشف « سترلينج » ان مساعده الطيار قد تراجع بشدة عن
مساعده في محاولة الانتفاذ . مدعيا بلى المسألة بالمسئله له تركيز
فى ان اشتراكه فى حرب ضد قوى قوميه سوف يصيبه بعتاب شديد
من الله .

قال « سترلينج » مطلقا : انك جبان .. وقدر ..

لقد ترك الكابن باقى الركاب يسمعون فى الرحلة الثانية . يمس
مساعده الطيار يمسح بوضوح كلمات مرعبة يقولها لنفسه وهو ينظر
من نافذة الطائرة . ان « سترلينج » انظر ملوده ، الى ان عاد طيار
شركة البترول أحيرا بالطائرة حاوية .

قال طيار شركة البترول للكابن « سترلينج » : تذكر الآن ..
اننى سوف استهلك محيدا عن المسكر بمسألة كفية . تذكر ذلك .

حسنا يارغبى .. اننى ارى أفكارك بوصوح ..

لقد استغرق الأمر أكثر من ساعة قبل أن يصلا الى المسكر
البدوى . ان الطيار تعرف على المكثى أولا .. ثم دار بالطائرة هبطا
فى شكل دائره .. واستقر أحيرا على أرض الصحراء .. محتجبا
بطائرته خلف تل رملى مرتفع يفصله مسافة كالمية عن المسكر .

لقد أشعل « سترلينج » سيجارة .. وجلس فى هدوء . ان وجهه
أصبح الآن يتعصب عرقا .

قال « سترلينج » للطيار شركة البترول . ان الجو هنا شحبد الحرارة
يارغبى .. ليس كذلك ؟ هذه الصحراء اللانحة يمكن أن ترق
الإنسان عرقا حتى الموت ..

هر طيار شركة البترول رأسه .

قال سترلنج : هذه السبحارة السليحة لا تساعد في أى شيء ..

— حسا ، حد واحد من سحترى . انها مشعة بالمفتول .

— هذا شيء طريف منك .

تداول « سترلنج » السبحارة بين طيار شركة البترول .. وفي نفس الوقت مد يده وشده بمصباح الاشتغال من اللوح المعدني أمامه .

صاح فيه طيار شركة البترول ' ماذا تفعل بحق الحميم ؟

— انسى فقط انفسى لتبقى طريقا للمودة في هذه الطائرة هروجا من هذه الصحراء التي تشبه الحميم .

بهذه الكلمات .. اخرج « سترلنج » مسدسا من حزامه ، ووجهه نحو طيار شركة البترول ، ثم قال له . الآن سوف اذهب انا لابرع شيئا من محرك الطائرة .. لاجد ان اضمن انك لن تحاول تشميل الطائرة بممر المصباح . بعد ذلك سوف اذهب الى المحسكر وانتد « جين » . انسى سوف اعود معهما يا رفيقى العزيز .. وانت سوف تطير بنا في امل بطايرك . هل هذا واضح .

— انا لا املك أى اختيار .

— هذا تفكير طيب . وبالنسبة ، هل معك بندقيته ؟

— نعم . حلف المتمد .

ان طيار شركة البترول ادرك انه لم يكن يجب ان يقول ذلك .. ولكن « سترلنج » مد يده حلف المتمد واخذ البندقية .

أخيرا قال « سترلنج » للطير : هل تستطيع ان اتفك بك
تشارك معي في هذه المهمة ؟ في هذه الحالة سوف أسكنك من
استخدام دراع ثنية .. وسدقية ..

— مستحيل . أنا لن أذهب بالقرب من مصكر المتوحشين هذا ..

— حسنا . ان على لي أحمل كلا السلاحين ، سلاح واحد في
كل يد .. وسوف انصرف لأحمس ما أستطيع . أسي سوف أعود
في وقت ما بعد الظلام . أعتقد أنك ستكون هنا .

— نعم . سوف أكون هنا . ان عليك فقط ان تتأكد من وجود
مسلحه كافيه بينك وبين تلك الحيلام

— يحك الحق .

لقد فتح « سترلنج » مطاء محرك الطائرة .. وبرز منه شيئا
ما .. وضعه في جيب جاكته الداكنة اللون .. ثم سار في اتجاه التل
الرملي الضخم . بعد حوالي خمسين ياردة استدار مائحا في اتجاه
طيار شركة القزول قائلا : هل أنت مسلح أنك لن تشارك معي ؟

— نعم .. بالتأكيد ..

— انتهى الا نقول هذا . ان هذه المهمة تحللي أرثجف .

بعدها انجه « سترلنج » الى قمة التل الرملي . ثم انبطح الى
أسفل ، واتجه بظفره الى مصكر العدو . كان الليل قد بدا يحل ..
والنيران قد اشتعلت في مكنتها المعتاد وبسط دائرة الحيلام . ان
« سترلنج » نظر خلفه ورأى طيار شركة القزول حالما على قمة
الطائرة .. مما حطه يهيمس نفسه معلقا على موقف طيار شركة
البرول : لم يعد هناك شرف في هذه الدنيا .

لقد انتظر « سترايچ » الى ان أصبح الظلام كاملا . انه استطاع ان يحمي ان الحية الكبر » ربما تكون هي حية رئيس القبيلة .. ولابد انها المكل الذي توجد فيه « حين » ليرة . لقد نظر في ساعته فوجدته تشير الى الثانية والربع مساء . ومن ثم غانه قرر ان يظل في مكانه حتى الفسحة .

وبينا الكابش « كلارنس سترايچ » يرقد على الرمال فوق النمل .. كانت « حين ميجنون » قد سم اصطحابها الى البهو الرئيسي لحية رعيم القبيلة . ان مقيم الحريم جعلها يرتدي انحر الثياب الحريرية .. وغطين النصف الأسفل من وجهها بحجاب يساهب الى أسفل .. ووضع الحواتم الذهبية والمصية في شال من اصابعها .. بالاضافة الى هلال كبير يحلى قممها اليمى . وبعد ان اغرقن « حين » في المطور .. مدت هي في القبله لشبه مليرات الحريم .

قال لها « اس ماسوش » من مرشده الذي يتكون من مائتي وسادة . اهلا بك اينها النباه الفسحة القانية من السماء .

ان « حين » وجدت اهلها انتمى من الاغريقين ، ضحى الجسم ، يحملان مروحة من سمك المعيل ، ويسمى بمها الهواء الرطب على الملحم .. بينما تقوم فناء عربية بتدليك قديمه . لقد مسسقى هو بيديه . فانهضت الفاة من الصرعه . بعدها لير رعيم القبيلة « حين » بالجلوس .. واضعا لها بعض الوسائد الى حاته . ان « حين » تقدمت ، ورتعت الوسائد ميديها .. ثم جلست عليها .

عاد « اس ماسوش » يصفق بيديه من جديد .. مهرجت انسان من لغيات الحريم من خلال سماره .. وبدنا ترتصلي على ايقاع موسيقى شدمت من مكان ما خلف سترة اخرى . ان الفتاتين تقولان في رقصهما بالانوار والاكشاف ليلام رعيم القبيلة والكسيرة ..

وأنتبهما فوق رأسيهما و « سلحت » محاسنه سميرة تنق في
ليديهما على ايقاع الموسيقى المتناهرة .

لقد كس هذا كله شيئا ممتعا ملائمة لـ « جين » . انها زارت
مرة كباريه « رارا » الليلي في « بوسطون » .. ولكن أصالة راتصني
الحريم تنوق كثيرا راتصات النطن في الكباريه الليلي . انها —
حتى — وحدث نفسها تصق بيديها للموسيقى . ولقد بدا السرور
على رعيم القبيلة .. كاتمكس لسرور « حين » .. وبدأ يهلق
هو الآخر .

وعندما انتهى الرقص ، أير « اس ناستوش » بتقديم العشاء ..
وبدأت « جين » تراتب هذه الصيلة بأعضلم .. سببا السيد يحضرون
الاطباق اللينة بالطعام . ان « جين » نظرت الى ما بدا أنه الطبق
الاول . وهو أقرب الى الشمورية .. ولكنها رأت في الطبق عينين
تصلقان فيها . عيني مستديرين وبضلوتين ضلبي .. بما جعلها
تبههم مسئلة : ما هذا ؟

رد عليها رعيم القبيلة : انها شمورية العشاء . لا نكلى عين العشاء
الا بعد أن تستمتعي بالحساء ..

لقد أصيبت « جين » بالفضيل .. وفجئت بالتدح مييدا ، ثالثة
في احتجاج . انا لا استطيع أن أكل حين لحد .

قل « اس ناستوش » هذا غريب جدا . أنه شيء مكتوبه أن
حين العشاء تأتي المالحى الداخلى أن يكلل اللعين . مع ذلك لا يهم ..
غريبا تفضلين الحصى .

— أنسى أريد مخرد هامبرجر ..

— ما هذا الهامبرجر ؟

— لا عليك . انه شيء مكتوب في المهرج ينعجب أكثر من عدة المصيبة ! .

لقد تم احضار المزيد من الطعام .. وتفوقت « حنين » معظم الأصناف ، ولكنها لم تأكل كثيرا . وحبسا انتهى الحشاء ، خرج كل شخص من الحجرة . تاركين « جيني » و « ابن باستوش » يطردهما . ان الرعيم نجسا عدة مرات .. لمسحا الدهن في لحيته بظهر يده . ومركزا عيبه السوداوين على « جيني » .

اخيرا قال لها : لقد حل الوقت الآن — باعتبارك أحدث روحاني — لكي تؤدي واجباتك لابن باستوش . اطلعي ملابسك ، من مضلك .

قالت « جيني » : انسى اريد اني اتحدث اليك في هذا الموضوع . انسى احب الاكل معك ، ولتد كل مرض الرقص عطيا .. ولكنني في الواقع لا احس بان مرابي الآن هو مراجح حب . هل تفهم ؟

اجاب الرئيس بالزجاجة . وعندما صفق بيديه .. ظهرت فتاتان من الحريم ، وجاءت الي قدامي « جيني » . ان « ابن باستوش » هبهم بأمر ما .. غددت الفتاتان غورا في خلع ملابس « حنين » .. وعندما عارضت هي . صفق الرئيس بيديه مرة أخرى .. فحمل الرجلان الأمريكيات الي الظهور .. ولمسكا بفرامي « جيني » .. بينما الفتاتان تقومان بخلع ملابسهما . ان « ابن باستوش » هبهم في صوت حفيف معاء عربي قديم .. سميا هذه العملية تحسري امليه بسرمة .

بدأ الكابتن « سرنج » التفتيم نحو الممر في الساعة الخامسة . ان انتظاره فوق قمة القل الرملة أدى الى أصفاته بيسا يغرب من حيمسائه لدعة برغوث . ان لهفه كانت لا تحتمل ..

ومع ذلك فضل أن يتباطأ . وبعد لدغ حديدة قذرة .. هبهم ثلثا لنفسه « هؤلاء الأوغاد ! » .

أنه استدار حول مقعده الحبيبة الكبرى .. وتوقف فمعلق قليلا لكن متأكد من أنه لا أحد في المنطقة .. ثم بدأ يرخف في حرص نحو مؤخرة الحبيبة . وعندما وصل إليها .. أخرج سكينا صغيرا من حيبه .. وبدأ يشق ثفا صغيرا في الحبيبة . أنه حلق في الداخل من خلال الثقب .. ولكنه لم ير سوى شحمي عربيين يظلمان الإطباق .

استدار « سرنج » راحلا إلى جانب آخر من الحبيبة . وأصابته الدهشة من وجود ثقب جاهز في جدار الحبيبة . وعندما حلق من خلال هذا الثقب رأى ميات العريم يستحمس . أن « سرنج » لم يحدث له مطلقا في أي رحلة من رحلاته أن رأى مثل هذا العدد من النساء العاريات في مكان واحد . أنه ظل يحلق . بينما اثنين من الميات دخلتا إلى حوض الاستحمام 'أمه مبائره' .. وبدأت كل منهما في غسل الأخرى بالصابون . ولكنه « حينئذ تذكر «جين» .. «المسكنة» حين .. متحرك بعيدا إلى جانب آخر من الخيمة .

وبينما حلق « سرنج » للمرة الأخيرة .. التفت عينا مشد رجل آخر رأس في الظلام .. مبعين نامتي على الحبيبة . أنه تقدم من هذا الرجل متبلا بيمه وبين نفسه عن السر في وجود هذا المتشرد . لقد جاء « سرنج » من خلف الرجل ووجه صرجه عيفة بمؤخرة المحس على رقبته الرجل . لقد تكوم الرجل على الفور منحيا إلى اليمين .. ثم سقط مهلرا على الرمال بلا صوت .. وعندما نظر « سرنج » إلى أسفل .. معرف على وجهه كواحد من الأخوين النحويين الذين احتظنا « جين » . لقد كان هذا للرجل هو « ياشيد » .

خلال لحظات عاد « سترانج » بحلق من الثقب داخل خيمة
« ابن ناستوش » . وهناك لمح « جين » عارية . يشدها اتقى
من العمالة السود . ان « ابن ناستوش » طع بلايته مستعرضا
نفسه لها .

لقد شدد « سترانج » من قبضته على المحس والسدقة في
يديه . . بينما الرئيس صلق يديه . . غفرك المحاريل الأتريقبيل
فراعى « جين » . . واحتكيا من محال رؤيه « سترانج » .

مظر الرئيس الى لفل . . وقد بدأ عليه الاترعاج عندما نظر
الى امطل بطمه المصمم ولكن تفرسه انتهى بالتدريج الى
ابلية ، ثم ضحكه . انه صلق يديه مثل طفل . . وبدأ يرتص
داخل الحية مثل ميل في حصة باليه .

انه توقف من الرنص أمام جين ، صاحا : « اننى رجل مرة أخرى
.. انك انت وجسمك الجليل القاصد القادم من السماء قد جعلتما
منى رجلا مرة أخرى ، اننى لقرر من الآن والى الأبد انك سومتكوبين
دائما الروجة رقم واحد ل « ابن ناستوش » اننى لقرر الآن ان على
جميع أفراد قبيلتى ان يركعوا ليلك . اننى لقرر ان ثروتى ايضا
هى ثروتك التى تشركين معى فيها . اننى لقرر هذه الأشياء . .
وهى التى ستصبح أمرا ملثما من الآن فصاعدا .

ثم تقدم الرئيس من « جين » . . باسطة ذراعيه في علامة حب .
ان « سترانج » مرق الحية حتى الأرض ، وقتر منها الى الداخل
صاحا : « ايها المتوحش الماسق غير المتحضر .

صاغت جين : كلارنس . . !

رد عليها سترانج : جين !

لقد اهرج جسم « اس بانثوش » من الغضب والميظ .. وصاح
قورا على حراسه .

قال « سترلج » : تعالى يا حين .. احفظى ملاسك وتعالى
مضى ..

لقد احتطت حين ثوبها الحريري الذى كتبت ترنديه في وقت
مبكر من هذه الليلة ..

وامسكت بيد « سترلج » .. وذهبت معه عبر المكنى الذى دخل
معه . وبينما الاثنان يفرحان .. كل « يثيد » قد نهض من الارض
ان « سترلج » لكه في اذنه .. مما حمله يسطح على الارض فوق
الرسال .

قال « سترلج » بسرعة : تعالى يا حين .. ليست لدينا لحظة
نضيغها .
انها سائتة : الا استطيع ان ارندي ملاسك اولا ؟

— لا ، بالطبع لا . ولكن .. نعم ، معك الحق ارندي ملاسك .

خلال لحظات كانت « حين » قد ارتدت ملاسها .. واسرع
الاثنان الى الحري هارين .. بينما يطاردهما مشرون من الدو .

ان « سترلج » و « حين » اتجها الى القل الرملى .. راثنين
احيانا .. وعاصفين في الرمل احيانا .. وعندما نظرا خلفهما ..
شاهدوا الدو قادمين بسرعة نحو القل .. بسيوف طويلة جعلها
ضوء القمر لامحة في أيديهم .

ان « سترلج » استحثها قتلا : اسرعى يا « حين » .. ثم بدا
الاثنان بهيطل الجانب الآخر من القل الرملى . انهما وهذا طيلر

شركة السرول تتبا على حجاج الطائرة .. ولكن « سترنج » اتجه الى محرك الطائرة .. معيدا اليه التجرة المروع منه .. وصالحا في رعيته : استيقظ ليها الحى !

توسلت « حى » الى « سترنج » لى يسرع .. مما جعله يتمر الى جانبها داخل الطائرة ، مسلحا مفتيح الطائرة الى الطيار . ان الحياة بدأت تنبى في صوت الطائرة .. وبدلت الطائرة تتحرك فوق الرمال .. مستعممة سرعتها .. بافئته في التحليق الى اعلى وسط السيوف حولها .. بينما ابقوا يصيحون ويشتمون ويلعنون .

ان « سترنج » اشعل سيحارة ثائلا . مهبة صممة . اليس كذلك؟

ردت « حى » : نعم .. طبعاً .

— انسى منك ذلك لم نأخذى وجود هؤلاء المتوحشين في اعتبارك عندما وقعت عند الميل كخبيفة .
— لا طبعاً .. يا كلارنس .

— حين ؟

— نعم ؟

— هل هو انتبهك باى شكل ؟

— الرئيس ؟

— نعم .

— لا . في الواقع ، انا اصر بعوع من الاسم بالنسبة له .

— لا نأخذنى هذه الطريقة .. انه متوحش وبربرى .

— امرت .. اعرف .. ولكنى بمرورة لانى مساعدته بشكلها .

— هل ستستعيرين في العمل كمضيعة ، يا حين ؟

— لا ، لا اعتقد ذلك . إن لدى عرضا بعمل آخر في نيويورك ..
واعتقد أنني سوف أحصل عليه بمجرد عودتي . وربما أتابل
أنساقا لزوجي .

— جين ؟

— نعم ؟

— هل ساعدتيني في اختيارك ؟

— كلا ؟

— كزوج .

— لا أستطيع يا كلارنس . أنني لا أستطيع مطلقا تحمل فكرة
أنك تطير هنا في المهرج .. مع وجود كل هذه الأخطار ..

— أنني لن أطير بعد الآن يا حين . في الواقع ، إن لدى أها بعمل
في لندن . وهو يلج على صندوق طويل لكني أعمل معه . بهذا
اعتقد أننا سوف نصحح بها ..

— أنني أعتشق المحاولة يا كلارنس ..

— عظيم .. عظيم ..

بعدما سعة .. ثابتة فاقلة من العدو مهتمة بمسك « ابن
فاستوش » .. وقبحت الضمير .. بها في ذلك الرعيم وروحته .

إن القصة تم نقلها عبر المهرج .. بحيث أنه عندما تم
المنور على حشاش القتل .. تبين أن « ابن فاستوش » مثر على
حشاشه بمقتضا بري « مرق مهلول متصح لمضيعة حوة .
ولقد مثل أبه « شالوم » .. الذي كلى الوحيد بين أفراد

القبيلة الذي جاء من الموت بسبب اختطافه مع شركة « آي. بي. »
أم « بي سيوت » . لكي يفسر المسألة .

انه رد قاتلاً . « انه شيء مكتوم .. ملقد حدث مرة أن جاء من
السماء طير كبير مضي اللهب .. وترك في الصحراء سيدة جميلة
شاحبه . انها كانت تتردى رى السماء .. ولدت لابي خدمه جميلة
.. بالضح هذه كلها تسطور « صحراوية .. وكنا نعرف أن مثل
هذه الأشياء لا تحدث . ولكن لابي كان عاشقا للأساطير . في الواقع
.. انه كان عاشقا بكل معنى . حقوا .. لو مسحتهم .. فلا بد أن
أمود الى عيلى » .

من يونيو إلى أكتوبر
ماذا جرى.. ولماذا جرى..؟
◊ بقلم: محمود عوض

كثفت هي الحرب الأولى .. !

ان التاريخ يقول لنا ان حرب أكتوبر كثفت هي الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل . ولكن اعادة قراءة التاريخ تقول لنا انها الحرب الأولى .. او - على الأقل - هي المرة الأولى التي محل فيها الحرب بمقابلة المحاربين ، وسياسة المحاربين ، وجدية المحاربين . ان كل ما حدث بعد ذلك كل من نتيجة مرعبه لذلك الصفة الرئيسية التي حكمت تصرفنا كلها قبل واثاء حرب أكتوبر .
صفه : الجبهة .

انها الحرب التي حدثت شهر الفصل بين امريكا والاتحاد السوفيتي .. بالدخول الى مواجهة مباشرة ، عقب أعلنت امريكا حملة الدواوي في كل قواعدها العسكرية حول العالم .

وهي الحرب التي جعلت أوروبا تنشق عن امريكا .. وجعلت وزير الخارجية الأمريكي يقول علنا ان ملوك الطغاة الأوروبيين « .. يثير الإكسثران » .

وهي الحرب التي جعلت امريكا مهددة شتاء طويل مظلم .. وأوروبا ترتعش من البرد .. واليفلن نصلي بالتهاب رنوي .

وهي الحرب التي جعلت امريكا تنير ظهرها لحياة اسرائيل .. دولة مدلحري .. في مقابل منظم كثفت الساعة .

وهي الحرب التي غيرت نظريات عسكرية مستقرة .. وألغت أهميه لسلحة عسكرية ثلثة .. وهزت عقائد عسكرية راسخة .

وهي الحرب التي أرعبت إسرائيل على أن تزيق ماء وجهها ..
وستعنت أمريكا طامعة استعانت عسكرياً سريعة تصل مباشرة
إلى ميدان القتال ..

وهي الحرب التي جعلت وزير خارجية إسرائيل يسمى في الأمم
المتحدة أصمّة إسرائيل .. « حنا مريم » .. وزير الدفاع
الإسرائيلي يبحث في الكيمياء عن « أحطاء فاححة في التقدير »
.. ورئيس الوزراء الإسرائيلي يتحدث عن وجود « حنا مريم »
.. ورئيس إسرائيل يعطي في الراديو .. « أن إسرائيل كانت تعيش
في بين سس ١٩٦٧ و ١٩٧٢ في نشوة لم تكن الظروف ضررها ..
بل كانت تعيش في عالم خيالي لا صلة له بالواقع » .

وهي الحرب التي كللت إسرائيل ثلاثة آلاف مليون دولار ..
وقتلوا في اليوم الثالث للقتال ضعف ضحايا أمريكا في حرب
فيتنام .. وبلغت في الحرب كلها ثلاثة أضعاف ضحايا أمريكا في
الحرب العالمية الأولى .

وهي الحرب التي أرعبت العالم على إعادة طرح الأسئلة
التي كان قد حدد لها أبحاث ثمانية مئة وقت طويل محي .. أجابات
بدت كالاتوال الماثورة من قرط التسليم بها وانعدام الحذل حولها .

من تلك الاتوال الماثورة مثلاً : أن العرب هم أناس غير
مخربين . أن القواهم يجب ألا تؤخذ بحسبة .. وعقولهم
تحشوها أمجاد الماضي .. وأحلامهم يحتقونها في أسات الشعر ..
وقيادانهم مصابة بجنون العظمة .. وكما أنهم تحطها بحرية حرب
الأيام الستة .

ومن تلك الاموال الماثورة فيما تطوره السورمات الإسرائيلية .
ضابط المحاربات الذي يستطيع أن يشم بقلبه فيه حطة عربية

بعد وضعها بدقائق .. والطيار الذي لم يخسر أبدا معركة مع
الحرب .. وحيدى المشاة الذي يستطيع أن يستولى على مدينة
عربية كاملة ، بمجرد أن يلقى إمرأته .

ومن تلك الأقوال المأثورة أيضا : أن الجيش الإسرائيلي لا يقهر .
إنها أسطورة استقرت وتدعمت إلى الفرحة التي حملت محطات
التليفزيون الأوربية نديع قبل حرب أكتوبر بأسابيع قليلة تصريحات
للجيران المتحامد « أريك شارون » الملقب بالسق بلحية الحوية
في سبناه يقول فيه : « أن جيش إسرائيل هو قوة عسكرية عظيمة ..
أن كل الجيوش الأوربية هي أضخم كثيرا لو توربت بجيشا .
أما يستطيع أن نستولى على المنطقة من الخرطوم إلى بغداد في
أسبوع واحد » .

بعدها بأسابيع قليلة ، بعد حرب أكتوبر ، كان رئيس أركان
حرب الجيش الإسرائيلي يعلن أن المفاجأة الكبرى في هذه الحرب
كانت هي الجندى المصرى .

وفيما بين هاتين الأسطورتين — الأسطورة التي نشأت كذبا
.. والحقيقة التي أصبحت أسطورة — يكس المنحاح الرئيسى للمهم
حرب أكتوبر كلها .



على الجانب الإسرائيلى ، كل مرور الجيش كقوة مهينة مهيمنة
.. هو الأسس الروحى الذى حقق للمجتمع الإسرائيلى تماسكه ،
واعطاءه قوته الأساسية .. طوال ربع القرن الأخير . أن السو
الخراسى في تور هذا للجيش وتحويله إلى أسطورة حول العالم ..
لم يكن ممكنا إلا بعد حرب الأيام الستة المشهورة . بعدها فقط

أصبح هناك نسلي تنطلق معه الأسطورة .. وقاعدة تنمو منها الحكومات بعد الحكومات .. لكي تداع وتنتشر حول العظم .

مع ذلك ، على التنتظة المثيرة هنا .. هي تأثير هذا الجيش داخل المجتمع الإسرائيلي نفسه .

قبل حرب أكتوبر بنسبة لشهر فقط — عرضت في إسرائيل مسرحية استعراضية بعنوان : « المسيح .. كذا براه اصطفاؤه » . لم يكن في المسرحية مسيح .. ولا اصطفاؤه للمسيح .. باسم المسيح لم يرد الا في العنوان .. مع ذلك مثل الرقيب الحكومي الإسرائيلي لوقف عرض المسرحية بعد أسبوع واحد فقط ، وقرر فرض الحظر الدائم على عرضها .

وعلى الفور عارض مؤلف المسرحية — الكاتب المسرحي الإسرائيلي « عاموس كيهل » — في هذا القرار . انه أعلن ان « .. المسك الحقيقي لهذه المسرحية الاستعراضية هو شرح الحياة في إسرائيل الحديثة ، وخصوصا النعمة العسكرية الشاملة والمسيطرة في المجتمع الإسرائيلي .. وهذا هو السبب الحقيقي الذي تم من أجله مع عرض المسرحية .. لقد أصبح الجيش الإسرائيلي نبلا عن المنزل اليهودي — ولم يعد اليهود يقسمون بملئهم .. ولكن بجيشهم وجودهم » .

وتعلا .. كانت لسطورة الجيش الذي لا يقهر .. قد بدأت تنحول الى حقيقة ثابته داخل المجتمع الإسرائيلي .. بحيث أصبح الجيش الإسرائيلي نموذجاً للانضباط والحلم والكفاءة الحارقة . وهكذا نجد ان احد مشاهد تلك المسرحية يفسر هذا المفهوم ، حيث تقول ربة بيت في المسرحية : « انتى لاحظت لمن ان خلعتى لا تنظف المتدة جيدا .. لهذا استدعيت الجيش . لقد أصبح

الجيش هو الذي يحفظ في مولى بالنظام والكفاءة . انه شيء
يسمح حقا لي نرى كيف يقوم الجيش بحفظ كل شيء . وعندما
تبين أن روجي هو أيضا غير كفء .. فأتى استدعيت الجيش
.... الآن أصبحت المعاهد هي الأخرى أكثر كفاءة .. والبحر
الميت أكثر كفاءة .. وحتى الصحافة أصبحت أكثر كفاءة . ولكن
ما يرمى الآن أكثر من أي شيء حقا .. هو أن الجيش قد أصبح
هو الله في النهاية . الآن أصبح الله أكثر كفاءة !

ان ما قلته ربة البيت في تلك المسرحية الاسرائيلية ، لم يكن
سوى تعبير من الشعور السائد في المجتمع الإسرائيلي مع
الجيش ، والإيمان المطلق بكفائه . وعندما منعت تلك المسرحية ،
فلقد كان السبب هو أن المؤلف قد صاغ تلك المشاعر في قالب
حاد ومثير للمسرحية من الجيش نفسه .. وهذا هو الأمر الذي
لم يجد المؤلف اهدا يسبح له .

ان مؤلف المسرحية عارض قرار المنع أمام أعلى سلطة قضائية
في اسرائيل .. وحضر علما . وفي ذلك الوقت لم يكن القرار
مناهك لأحد من يراقيون سير الأحداث في اسرائيل من الداخل .
لأن اسرائيل أصبحت ترى نفسها باعتبارها « إمبارطة » الحديثة
في الشرق الأوسط .. والجيش فيها أصبح موقى التقدير أو السعرة
.. والإيمان بالجيش أصبح موقى الشك أو المراجعة . وعادة
النفوذ العسكري أصبحت أهم من الدين في اسرائيل ، و .. في
بعض الأحيان .. هي الدين نفسه .

ربما من أجل هذا ابتكر « دافيد اليغازي » رئيس أركان حرب
الجيش الإسرائيلي تقديدا جديدا بدأ يطبقه في سلاح المدرعات
والجيش الإسرائيلي قبل حرب أكتوبر بفترة وجيزة : أن على كل
ضابط سلطات إسرائيلي أن يبدأ عمله بالذهاب إلى صحراء النقب ،

والمصمود الى القلعة القديمة في أعلى الجبل الذي حرت فيه آخر حرب بين اليهود والرومان منذ ١٩٠٠ سنة . وهناك ، في حفل يجرى ليلا على ضوء المشاعل ، يتلو الضابط الجديد قصفا بالاحلاس للدولة اليهودية والجيش اليهودي . الذي لا يقهر .

مرة أخرى ، ربما كان هذا الشعور بساعة الجيش المطلقة ، والتفوق الاسرائيلي المطلق ، هو الذي دفع « دانييل اليمائير » نفسه الى ان يهجر للصحفيين في مساء اليوم الأول لحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ويعلن لهم — متأكد رجل اعتاد على الانتصارات الصربية — ثقلاً : « انها الرفاق .. لقد بدلنا الآن في مهمة تدبير الجيش المصري » !

وعندما مرت اليلة الأولى ، والثانية ، والثالثة .. دون ان يتم مهمة « تدبير الجيش المصري » .. بدأ رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلي يتلقى تقارير مختلفة عما توقع . تقارير من طائرانه التي وأجعت الفشل بعد الفشل ، في كل محاولة منها للاتقارب من رموس العصور المصرية على شاة السويس . انها تدبير مختلفة . وحقاتي مختلفة .. وحرب مختلفة .

لقد شرح « دانييل اليمائير » نفسه ما حدث بعد ذلك بقوله : « ان لكل حرب مغلقتها . وهناك أشياء لابد ان سعلها ولن تسعح معلوماتنا منها . ان اكبر هذه الملاحظات هو ان الصود المصريين — وكذلك السوريين — قد اظهروا تفهما من الكفاءة والتضحية بالنفس وتوانم الدافع .. يفوق بكثير ما اظهروه في الحروب السابقة » . هذا ما قاله رئيس الأركان الاسرائيلي بعد ان انتهت الحرب . ولكن في تلك الأيام المكرة في الحرب كانت هناك ثقة اسرائيلية مطلقة في أن الهجوم كله سوف تتم تصنيته خلال ساعات . ومعجاة .. انتهى الحديث في اسرائيل عن حرب قصيرة .. وبهيلة

سريعه .. وانتصار حاسم لقد خرج الجنرال « آهدورن بارم » القائد السابق للمخابرات الاسرائيلية .. والذي هبيل محل « البحارر » المقرط الثقة بنفسه كيتحدث رسمي — خرج ليقول محددا . « على شعب اسرائيل (لا يتوقع انتصارات سهلة او رشيقة .. انها حرب مختلفة هذه المرة » .
 نعم .. كانت حربا مختلفة .

في هذه المرة تحارب اسرائيل للمرة الرابعة .. وبحارب العرب للمرة الاولى .

في هذه المرة — هذه الحرب — كلن اى شيء اقل من الانتصار الساحق هو .. بالنسبة لاسرائيل .. هزيمة .

واى شيء اقل من الهزيمة الكاملة هو .. بالنسبة للعرب .. انتصار .

ان العرب لم يهزموا . انهم حاربوا ، وفوق ذلك انتصروا .. لأن الصراع في ميدان القتال لم يكن فقط صراعا بين سلاح وسلاح او بين جندي وجندي .. وانما كل الصراع اساسا صراعا بين ارادة وارادة .

لقد كانت تلك اول مرة تعرض فيها نظرية الامن الاسرائيلي لخطر حاد وعميق وحاصر . اول مرة يتم فيها احتيار المفهوم الاسرائيلي من « العمق الاستراتيجي » . لقد اصيب الاسرائيليون بالقزع عندما وجدوا ان تقنهم في المنطق المحتلة كساحة واسعة من الاراضي تجمع العرب من الهجوم .. كانت خاطئة من البداية . لقد راوا جيشهم الذي يقبأهون به .. يتعرض للبحاء ويسقط جنوده قتل المئات ، ويفرون ايضا بالمئات .. في الايام المبكرة من الحرب . لقد سمعوا من حجم الهجوم وفقته .. من الذرع الذي

حقته العرب لانفسهم بالحيرة والسلاح .. من عدد القتلى المحيف
الذى سببه الحدى المصرى فى سيناء ، والسورى فى الحولان .
لقد رأوا لأول مرة قوة سلاح البترول المصرى .. وشاهدوا
اصحاءهم المعتادين فى ثوريا والفرقيا يديرون لهم ظهورهم . لقد
أحسوا لأول مرة بالذى لدى تعتمد عليه اسرائيل على الولايات
المتحدة .. وربما تصوروا - ليوم أو يومين - كيف كان حالهم
سيصبح .. لو لم يسرع الأمريكيون لتجديدهم بالسلاح والعتاد
والحيرة .

ومن رمال الحرب ، اضطر الاسرائيليون الى قراءة تمريرحات
المتحدث الرسمى لوزارة الخارجية الاسرائيلية ، عندما قال :
« لقد انقلب كل شيء .. ان هذه الحرب جعلتنا نكشف ان ديننا
الواضحة الصميرة كانت مصنوعة من قشر البيض » . بعدها
خرج الماجور حيرال « شلويل حوىي » يقول لهم . هذه هى المرة
الاولى فى تاريخ هروب اسرائيل .. التى يكون فيها معظم القتلى
الذين سقطوا من الشجائب الذين قترأوح اعدائهم بين 18
و 21 سنة . اننا لم نحرك بعد المصنوع الكليل لذلك » .

واخيرا ، اضطر الاسرائيليون الى سماع الحقيقة الاسفلية
التي قيلت لهم بمائة شكل مختلف ، آخرها ما عرض عنه الدكتور
« آمون روبنشتاين » عبد كلية الحقوق فى جامعة تل ابيب - والذى
كان هو نفسه معا فى الاحتياطى اثناء حرب أكتوبر - عندما قال :
« ليس هناك شك مطلقا فى اننا كاسرائيليين - قد تعرضنا لصدمة
عظمى . لقد خسرنا الحرب وسراويلنا مدلاة .. واعتقد ان هذا
الشعور سوف يظل يلازمنا لزمان طويل طويل .. الشعور بهذه
الصورة المكسورة للاسرائيلى المثقوى .. وهذه الصورة المهشمة
للاسرائيلى الذى لا يقهر » .

وبصفه علمة فلان .. هيك اغراء في في يطلق المرء على الحرب
القاتمة — حرب اكتوبر — اسم : الحرب المراتة . تلك انك اذا
امسكت بمرآة لحرب الاليم السنة علم ١٩٦٧ ، فلن الصورة
المعكوسة سوف تكون من مواج كثيرة هي نفس الصورة التي يراها
المرء بمبديه في مسرح الحرب القاتمة .

ان تلك الكلمات ، التي نشرها للكتاب الاتحادي « حشيش يويج »
في الاسوع الثاني لحرب اكتوبر .. كانت هي افضل تعبير ممكن
عن طبيعة الحرب .

ففي سنة ١٩٦٧ قتل العرب لى الذي يهرهم في ميدان القتال
هو امريكا وليست اسرائيل . وفي هذه المرة قالت جولدا مائير ان
الذي هزم اسرائيل هو الاتحاد السوفيتي وليس العرب .

في سنة ١٩٦٧ كلى الاسرائيليون معرضون في التلنبريون الاسرى
المحربين بلنديهم مرفوعة واحدينهم مطوعة ووجوههم بآنسة ، وفي
هذه المرة — هذه الحرب — كان الدور عكسا من لى يرى في
التلنبريون طواير الاسرى الاسرائيليين .. بلنديهم مرفوعة واحدينهم
مطوعة ووجوههم بآنسة .

في سنة ١٩٦٧ قتل الاسرائيليون منهم وحدها في الحولان ان
ضباط المفضية السورية قد لانوا بقتلار .. تاركين جودهم متدينين
بالاقلال الى مدافعهم .. وفي هذه المرة كان راديو دمشق هو الذي
يعمل ببا العثور على حطة طيار اسرائيلي متيد الى مقعده مالاغلل ،
في حطام ملقرنه الفيلقنوم .. التي اسخطها المفضية السورية ،
وذلك .. حتى لا يستطيع استخدام المظلة .

باحتملر ، باحتصار ، باختصار .. هي الحرب المراتة .. معللا .

ما الذي جعلها كذلك ؟

ماذا جرى ؟ ما الذي حدث ؟ أين التعبير ؟ ما هي الحقائق الأساسية التي تغيرت .. سواء في الجانب الإسرائيلي أو في الجانب العربي ؟

إن أشياء خطيرة لابد أن تكون قد تغيرت في كلا الجانبين .. بحيث أصبح المتمرد مهزوما .. والمهزوم مستمرا ، خلال ست سنوات .. هي في عمر الأم ليست زما على الإطلاق .
ماذا جرى ؟ ولماذا جرى ؟

هل يمكن أن يكون السبب فيها جرى هو أن الحشد العربي كان جيانا في سنة ١٩٦٧ .. ثم أصبح شجاعا فجأة بعدها بست سنوات ؟ بالطبع لا .. فالأسلح لا تتغير طبيعته من الأسود للابيض فجأة في ست سنوات .

هل يمكن أن يكون السلاح الذي حاربا به في سنة ١٩٦٧ متدهلا وبذائبا ، ثم أصبح فجأة متقدما ومعظما بعدها بست سنوات ؟

مرة أخرى محد الإجابة قاطعة . بل انه على العكس .. ربما كثرت الخبرة من المستوى الذي كان عليه الميراث العسكري في ١٩٦٧ و ١٩٧٣ .. في صالحنا أثناء الحرب الأولى مع انتهاء الحرب الثانية . والاكتر من ذلك .. انه حيث حضا حربا دفاعية في سنة ١٩٦٧ سلاح هجومى .. فلما حدث في سنة ١٩٧٣ كان هو العكس تماما : معركة هجومية بسلاح دفاعى . وربما كثرت حرب أكتوبر هي من الاستفتاءات النادرة في التاريخ .. التي يقوم فيها جيش معزول لمصعب حلجز على .. في حماية شبكة صواريخ .. وهي بطبيعتها شبكة دفاعية .

اثن .. هل يمكن ان يكون السبب فيها حري هو انسا كما في
سنة ١٩٦٧ محارب اسرائيل والبريكا .. فاصبحا في سنة ١٩٧٣
محارب اسرائيل بلا امريكا ؟ ابدا . هنا ايضا نجد ان العكس هو
الاقرب الى الصحة . متى هذه المرة اضطرت لبريكا الى تجسدة
اسرائيل بحسب جوي بعدها فورا يتحدث الاسلحة التي تهبط الى
ميدان القتال مباشرة .. وهو الامر الذي لم يحدث سنة ١٩٦٧ .

هل يمكن ان يكون السبب هو اننا كما في سنة ١٩٦٧ شعوبنا
متخلفة .. فاصبحنا مجاة شعوبنا عصرية بعدها بست سنوات ؟
مستحيل ، ماتلك والعصرية شيئان لا تحققيهما الشعوب في
ست سنوات .

اثن ، ماذا جرى ؟ ولماذا جرى ؟

ان السؤال ما زال قائما .. والاحداث المحتلة ما زالت متعددة .
ولكن ، مهم تعددت الاحداث ، فمتى لرى ان الفارق الاساسي
بين كارثة كبرى حلت بنا في حرب ١٩٦٧ .. وبين حرب مباشرة
عندها في سنة ١٩٧٣ .. هو الفرق بين ارادة .. وارادة .

ان حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، كانت تصورا دراميا لارادة
انهزامية حكمتنا قبل ان نذهب الى ميدان القتال . ارادة تريد ان
تسجل انتصاراتها في الاعلى وعلى صفحات المجد وشككت
الطليزيون .

وفي مقابل ذلك .. فلان حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، كانت هي
الاحرى تصورا دراميا لتقيادة هزمت نفسها من البداية
بتصميم كارثة كبرى حلت بنا . قيادة لم تكن الحرب بالغمسة لها
معركة وهيبة يكسبها الاعلى سوتا .. وانما كانت الحرب عندها

شيئا جدًا وحطيرا ، وامتحنا بكسبه الاكبر كفاءة والاطول نقلا
والاكثر صمتا .

لقد تعرضت السياسة المصرية في السنتين السابقتين لحرب شدة
١٩٧٣ لحمله تشكيك داخليا وخارجيا .. على نطاق لم يحدث من
قبل مطلقا . حيله تراوح مداها بين اتهام هذه القيادة بالتراخي
والتردد وعدم الحسم .. الى اتهامها بعدم الوطنية .. بل وسبغ
القضية في بعض الاحيل . ومع ذلك ، على هذه القيادة لم ترد
على تلك الاتهامات بتوجيه اتهامات مماثلة لحصومها في الخارج
او الداخل . لقد سجلت وتحملت .. بطل مغنوح وصدر واسع
وحكمة ضرورية .. لأنها تعلم ان المحالين لها في الرأي ليسوا
بالضرورة اعداء لها .. وانما هم ايضا مواطنون من حقهم
التفكير بلدهم والانشغال بكنهه والاحتداد في تحليل مستقبله
والاختلاف أحيانا معه .. ولأنه في ساعة الجد موب يكون
الجميع جنودا محلمين يفتنون تراب بلدهم بأرواحهم .

وشيء آخر : في سنة ١٩٦٧ كلفت اسرائيل تواجه أمامها مجرد
قبيلة في أحسن الأحوال .. أو شلة من أبناء الضفة الواحدة في
أسوأ الأحوال . وفي سنة ١٩٧٣ ، واجهت اسرائيل أمة بأكملها .
لقد كلفت هذه الأمة بوجوده هي نفسها في سنة ١٩٦٧ .. ومع
ذلك على الذي استعرج منها أركانها الحقيقية وطاقتها الكاملة ..
هو قيادة سنة ١٩٧٣ .

وشيء ثالث : ان القيادة التي أخذت قرار الحرب في هذه
المرّة .. وضعت يدها على مصر الحقيقية .. وليست مصر المريّة .
مصر التي تتنود العالم العربي .. والشعب العربي ..
بحكم المصلحة .. وبحكم الاقتناع . مصر التي لا نواجه القرن

العشرين مطلق القرن العاشر .. وانما مصر التي قدمت استقلالها
من القرن العاشر بمد وقت طويل مضى .. ونحلت القرن العشرين
متحصنة ومحاربة . مصر التي مسح لخطاها بالرمال والدم ..
ولست مصر التي تريد ان تدارى على عورائها بالثمنيات
والدعاية .

انه الوجه الحقيقي لمصر .. ذلك الذي عرفته رمال سيناء في
تلك الايام المصينة من أكتوبر . الوجه الحقيقي الذي يتكلم فيه
القائد صفوف حموده .. سرايا اقل ، وامهات اكبر .

انه الوجه الحقيقي ، الذي يعطى الاولوية للكفاءة قبل الولاء ..
بعد ان ماتت مصر طويلا من اعطاء الاولوية للولاء على حساب
الكفاءة .

الوجه الحقيقي الذي لا تعلمه مراكز اللوى ..

الوجه الحقيقي الذي لا يبحث عن الامس .. وانما يريد الانصار .
وجه وسيله الانتصاع وسلاحه الثقة . ويريد لكل الآراء ان تتفتح
ونضارع . لا بدوس فوق القانون .. وانما يكون لول الحاضرين
له . لا يدخل الحرب وحلفه رميد مفتوح من الكبت .. وانما
يدخلها بقلب مفتوح للمسترددين والمختلفين والمجهدين . لا يرندي
اثواب المهرجين المسرحيين .. وانما يحمل سلاح المقاتل
المؤمن . لا يبحث عن ممود .. وانما يريد اعادة الثقة بشعبه
ولشعبه . لا يريد تدمير الامر الواقع .. وانما يحسم تصحيح
الامر الواقع . لا يريد ان يكون عظيما حصصا من عظمة امته ،
وانما يريد ان تكون عظمة شعبه مضافة الى رصيده .
لا يرى الحرب فرصة لكسب وهي .. وانما يراها امتحانا
لصلابة امته .. لا يبدأ القتال بمجرد منشورات عنائية .. وانما
يدخلها بقتل ومذابح حقيقية . لا يصرح بالحرب وهو يحشاها ..

وانها يخوضها وهو مستعد لها . لا يرى الحرب كمجرد بروة تبدأ
صعلها وتنتهى ظهرا .. وانها يراها استعدادا وعليا وتحمصا
وتخطيطا ورماسا ينطلق في لحظة الامتحان . لا يطرح الحرب
كمجرد شمار يضاف الى غيره من القمارات .. وانها يراها كقدر
يحدد مستقبل العالم العرس كله لسنوات طويلة قادمة .

وفلك هو الوجه الطبقى لمر .. وللأمة العربية .

ومن المفارقات هنا ان تقارن بين حالة اسرائيل وحالتها قبل
حرب سنة ١٩٦٧ ، ومراكها المعكوسة في اكتوبر سنة ١٩٧٣ .

ان الذي يقرأ الصورة الاسرائيلية والصورة العربية عشية
حرب ١٩٦٧ ، يخرج ستيحة ظاهرية لا مفر منها . ان في اسرائيل
مجتمع منقسم على نفسه .. وحكومة مترددة .. واحزاب متصارعة
وقهادة تتحدث عن السلام كثيرا ، ومن الحرب نادرا .

ومع فلك .. حققت اسرائيل انتصارها الدوي في سنة ١٩٦٧ .
ولي متعبل ذلك كانت قراءة للصورة المبرية في تلك الفترة
توحى بكل كل شيء على ما يرام . تصب متحدد .. وصحافة
لا توحى ماي خلاف في الرأي ... ووحدة وطنية لا مثيل لها ..
وانضبط مطلق توحى به التمركات الحارية .. وحماس غائر تعبر
عنه المنشورات المسائية .. وابن مطلق بفضل المحاربات التي
لا تقوتها شاردة ولا واردة .. وخطط موضوعة وقرارات محسوبة
بطقة تثير الانهار .. وثقة مفرطة تسمح لنا بالي مصدر « لرماتات »
تصاحبها العالم كله لولرم الامر .

كانت تلك هي الصورة الظاهرية .

ومع فلك هم الذين انتصروا .. ونحن الذين هزمنا .

لقد حدث ذلك لأنه - في كلا الحالتين - كانت هناك حقائق أخرى أساسية لا نكتشفها النظرة السطحية للأشياء . انهم رتبوا أمورهم وحدثوا علاقاتهم وضمموا صلاتهم وراجموا خططهم في هدوء وصمت قبل الحرب بوقت طويل .

أما في جانبنا نحن ، فقد كلل هناك مجتمع حمى آخر ، غير المجتمع الظاهر . نفس المجتمع العلني ، الذي يبدو على ورق الصحف ، كل شيء على ما يرام . وفي المجتمع الحقيقي .. الذي كنا نداري عليه من الأضواء ومن العلانية .. لم يكن أي شيء على ما يرام . أي شيء أساسي على الأثر . لا خطة ولا هدف ولا استراتيجية ولا اجتهاد ولا وجهات نظر ولا تناطح بين وجهات النظر ولا تفكير في احتمالات الموقف . لماذا التفكير ؟ لماذا تفكر أنت أو أفكر أنا أو يفكر زميلك في الشقة المحاورية ؟ ان الذي يجري هو معركة مصر .. والمواطن من حقه ان يفكر في كل شيء .. الا بملرك المصير ، ان الاحتمار الأكبر لكل مواطن هو مدى قدرته على انسلط طامعته الصبباء .. وكنائنه في التمتعق بمسبوت اعلى يسا يسيمه في الراديو ويقرؤه في الصحف . ان حكمه تقلس بيدي ايمانه بأن السياسة والحرب هما شينان فوق حدود افراكه ، أو ادراك المؤسسات التي يفرض فيها ان تنوب عنه .

ولم يكن احد يريد ذلك .. سوى اسرائيل . انها اسرائيل فقط ، هي التي لم تكن تعترس على ذلك . انها لوصلتنا الى الحالة التي كانت تريدنا هي لنا .. بالضيظ .

ان القائد الاسرائيلي « اريك شارون » كان هو الذي صرح معترضا خلال الاسبوع الاول من حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، صائحا في زملائه داخل القيادة الاسرائيلية : لقد خططنا المصريون نرقص على نغماتهم .

نعم . هذا ما حدث في سنة ١٩٧٢ . ولكن ، قبلها تمت سنوات
كان ما حدث هو العكس تماما . لقد كنا نحن الذين نرقص على
معياتهم .. حتى من قبل مشوب حرب يونيو نعمها برمس طويل .

ان الجنرال المروحي « لودول » عيل في منطقنا سبع سنوات
كرئيس لهيئة الرقابة الدولية على الهندة في منطقة الشرق الأوسط .
ومعها امدر مؤخرًا كتابا معول « انشاء الحزمة في الشرق
الأوسط » .. فانه طرح فيه لملم الفاريء العربي نكريته عن تلك
الفترة . وفي استعائته للأحداث التي أدت الى حرب يونيو سنة
١٩٦٧ يقول الجنرال « لودول » في كتابه : « اني شمرت من وقت
آخر بلى المحابر الاسرائيلية تلعب على الجيوب العربية التي
بين يديها . كما لو كانت تلعب على بيانو احسن ضبط لوباره ..
لكي تستخرج ما هي معالجة اليه من معيت ورجود انفعال نطدم
بها اهدافها السياسية والعسكرية البعيدة » .

ولقد كان هذا هو بالضبط ما حدث في تلك الأيام الحاسمة التي
أدت الى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ . ان شيئا لم يفلح في تنبيهنا
الى الاستدارة الفاسدة في الأحداث ، ولا في جعلنا ننسب الى الجنية
التي تسعى بها اسرائيل الى تحقيق اطماعها التوسعية .

ان من المؤسف هنا انه مرغم مرور سنوات على مهلية تلك الحرب
— التي اعطياها اسما خاطئا هو « النكسة » — فلن جرما كبيرا
من للمازها لم يتم كتشفه بعد ، وعددا كبيرا من علامات الاستهلال
الكبرى المتعلقة بها لم يحصل على اجابته الكفيلة .

مثلا : لماذا صمرت قبل الحرب بحاة حركة تنقلات لبعض القيادات
الكيرة في القوات الاممية .. واضحة في الجبهة من لا علاقة لهم
بالحرب .. ولا بسيئات ؟

ومثلا : لماذا لم يكثر احد بالهجوم العرى الذي شنته اسرائيل في صباح الخميس من يونيو سنة ١٩٦٧ ، وغلبت فيه اسرائيل باحتلال موقع متقدم داخل حدودها . وذلك قبل ان يبدأ الهجوم العرى المعروف بشعبين دقيقة كليله ؟

ومثلا : لماذا سميت فجأة ، قبل الحرب ساعات قليلة ، شفرة الاتصال بين القيادة هنا والقيادة في الارض .. بحيث ان برقية التحسدير التي ارسلها الشهيد عبد المعزم رياض من الاردن ، والحاصه بالهجوم الجوي الوشيك ، لم يتم حل رموزها ؟

ومثلا .. ومثلا .. ومثلا .. علامات استهلام ضمنية ومحيرة ، ما زالت حتى الآن بعيدة عن الفحص والمطيل والدراسة الموضوعية العلنية . وحتى اذا كمل الامر بيطق معراج لا يريد ان يبشها ، او بمرارة كنا نحس بها ، او بحساسية مفرطة عاتيا بها .. فل كل هذا قد انتهى في صباح السادس من اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ان حرب اكتوبر ازلت عقدة حرب الايام الستة من عقولنا .. وغلبت مرارة السنوات الست من نفوسنا .. ولكن ، للتاريخ والمعبرة .. فل الامر اصبح يستدعي الآن ان بعيد فتح ملفات الحرب كاملة .. لكي محدد بالنسب لماذا جرى .. ولماذا جرى .

ان مثل تلك الدراسة الدقيقة والعلنية .. سوف تكون هي الدليل العلم على ان ما حدث في سنة ١٩٦٧ كل حملة اعترافية في قلوبها العسكري .. واحتلالا طارئا في حياتنا العلمية .. ودرسا لن يتكرر في تفكيرنا السيلبي . ان جرما من تلك الدراسة لاند ان يستد الى تحليل جفور ما حدث - متى بالضبط بدا التحلل ؟ متى بدأت الحرية تراجع لحساب الامن ؟ متى بدأت تتضخم سلطة الجهاز التنفيذي على حساب حق الرأي العلم في الرقابة ؟ ومتى بدأت

تتضمن سلطة الحرة الحق في الجهاز التنفيذي على حساب
الحرة المعلن ؟ متى بدأ الانحراف وكيف اتحدت المراجعة ؟

كلها اسئلة لابد ان تكون حرة من تلك الدراسية المنقصة ..
حتى لو كان الدين سيخرجون بتلك الدراسة .. سوف يمتطرون
لكتابتها وهم يسمعون بلعبيهم على اتونهم .. هربا من الرائحة
الكريهة التي اشاعتها المكسة في المجتمع كله . نعم ، كان هذا
هو ما حدث ، خصوصا بيننا ، نحن الجيل الحديد الذي كان على
اتوار السادات ان يفتحه الى تصحيح كل ذلك ما زال امرا
ممكنا .



ان الحجم الحقيقي للحرب لكتور لا يمكن ادراكه منتظما من
النقطة التي بدأ منها الاستعداد للحرب .. ولا بمجرد تحديد
الوقائع التي تعبرت في ميدان القتال . انما اذا نظرنا الى الحرب
— كما يجب ان فعل — ليس فقط كمصادم بالأسلحة .. ولكن ايضا
على اساس النتائج السياسية التي أدت اليها الممارك .. و —
الأهم من ذلك — على سوء الحظية التي صدر منها قرار الحرب
نفسه .. وسوف يدرك كم كانت محفظة ، تلك النقطة التي بدأ
منها الاستعداد للحرب .

لمن الناحية الداخلية وجد اتوار المسلمات نفسه امام علاقات
مستقرة في القبة .. وانماط سلوكية في المصبع .. يصدق عليها
بالضبط البيلي الذي أداعه اتوار المسلمات نفسه في صباح يوم ٢٣
يوليو سنة ١٩٥٢ : مراكز سلطه .. ولصاحب نفوذ .. وانماط
مرضية من الرشوة والفساد والتواكل والتدريه .. ومراكز قباذية
حمل عليها لصاحبها الحرد ان حجة عبدة قبل ثلاثين سنة

شاعت لهم أن يصرخوا في نقعة واحدة مع أحد أحضر . لقد وحد
نفسه أمام مراكز قوى وعلاقت سلسليه ندوس على الثريسة
ونهسد الانسية .. وشعارات فتفت بمد وقت طويل حتى كل جنية
المفسون أو مدلول الإنقاذ .

وكنا نحن ، شاب هذا المصمم ، حزين ومزق ومفلس
ومشككى . ما الذي فعله كل منا .. وقد تمنى مساء والسبوات
المكررة من شئنه يتعلم أن القاتل شيء مفلس ، والميل شرف ،
والاجتهاد واجب ، وحرية الرأي مكتوله ، وانتمولوا للعصر قائم ،
والعلم مطلوب ، والفرص متكفله ، والطريق مفتوح ، والتفهم
بضمون . يتعلم أن العمل منتشر ، والنتيجة توافرة ، والمستقبل مشرق
والجنية شائعة والدولة بقطة ، والانتظار ضرورة ، والصمت
حكمة .. فالأعداء يترصون . يتعلم أن عليه فقط أن يشمل نفسه
بكل ما هو في متناول أفعاله .. ويترك ما بعد ذلك للضباط البيطة
والمبون الساهرة في القعة .. فهي وحدها التي تعرف كل شيء .

ثم .. مرة واحدة .. تفاحتنا كارثة كبرى حصار لها أسما مطاطا
هو : النكسة . مرة واحدة يهمل اللقاء الكرم ونسقط الشعارات
الرسالة ويسدو المجر المروع من محقق القحذ الأسي من واجبات
الدولة المصرية .

ما الذي يمكن أن يفعله شاب اهترت في مجلته بحافة كل
الصور المثالية للدولة . وذبلت في كبدية تجاه كل الورد التي
أعطيت له .. واحتفت من داخله تجاه كل الثقة التي أهدت منه
على بنفس .. وانهزب حوته نحافة لمة حنية يأخذه العالم بها ..
ورحمت ألبه محاه حيلانه وحياته الآلات من أبناء جيله .. بحيث
أصبحت المقبرة بتلك الحياة شحنا سهلا وجفرا .

ما الذي يمكن أن يفعله هذا الشاب .. عندما يجد مشقة في انتظار الأوبسيس على بحسبة الشارع ذات صباح بارد ؟ هل يذهب الى عمله .. لم لا يذهب ؟ هل يفكر في شراء سيارة .. بعد أن قضى سنوات من عمره .. مؤمناً بأن احتمالات المحتج أكثر أهمية من احتمالات الفرد .. لم يترك لنفسه المصداق مبلغ سمعته .. وهي التي يسبدها من احترامه لنفسه ولحقيقته ؟ أنه في الحالة الأولى سوف يكون عبثاً .. وفي الحالة الثانية سوف يصبح مرتشياً .

وأخيراً .. يفكر في الهجره .. لو في شراء السيارة . أنه يفكر .. لأنه أصبح متعباً .. ولأنه لم يعد يتكلم من أن براسته وأحلامه ونقته تساوي شيئاً للآخرين من حوله .. ولأنه يرى غيره ، ممن هم أقل منه بلا .. يفعلون نفس الشيء .. ولأنه يرى موقه محاطة بها يشد من حوله الى أعلى المدين لا رأي لهم ولا فكر بينهم من رملانه .. ولأنه لم يعد وانقا من أن للحقائق القوية ما زالت محتفظة بأصبيتها .. ما هيك من حيوورها . ومواء ظل هذا الشاب هنا .. أو هاجر من بلده بقه في الحظي محترق .. وفي الحظي أصبح يتعد عن أحلام شبابه .. وفي الحظي أصبحت نفسه مصلته بخرايدة عن التيم التي آدمى العبيع من قبل أنها أميلة في المجتمع . أن المصلحة العنانية فقدت احترامها في داخله .. وبدلاً منها أصبح عليه أن يفتن نفسه في مصلحته الخاصة هو ..

من هذه النقطة بالخط بدأ نور السدادات بلم ما تشعر .. ويلحم ما تناثر .. ويعيد لنفسه شمله المتفصح . بدأ وهو لا يملك غير قلب مصوح وعقل مصمم وكلمات قليلة : تعلموا بدأ من جديد .. تعلموا أصبح ما حدث .. أن الممركة خضية ، والإنصار ممكن ،

وحكم القانون هو الضرورة .. والمحنة الثالثة هي الوسيلة .
والثقة هي الأسس . فعلموا - بالقتول والحرية .. بالعلم
والإيمان - بريل العبار من على الوجه الحقيقي لمصر .



أقول ان لنور المبادئ مدأ حركته في الداخل .. من هذه
النقطة المحيطة للملحة . ولكن الترمومتر في الخارج كل أكثر
انخفاضاً .

لقد أصبحت الأمم المتحدة هي صندوق الشكاوى الذي يرسل
إليه ملحقاً لقضيتنا من وقت وآخر .. وأصبح الأعداء أكثر
شراسة .. والأصدقاء برسلوا إليها ، من مصلحته وأخرى ،
بطاقات التمرية في وفاة الفريد .. الذي هو شرف الأمة العربية
وعلمها في التخدم .

كانت إسرائيل مشغولة بخلق « حقائق على الأرض » .. وبرامج
حزب العمل الإسرائيلي الحاكم للاتجاهات التالية تنصده خطة
للانوسح في تنبيه واستيطان الأراضي العربية المحتلة .. ورئيسة
ورراء إسرائيل تصرح بخطة تاييم الأمريكية في معجبة لا مثيل لها
« نحن طبعاً لسنا مسطحين بأي شكل للموافقة على أي شرط من
شروط المصادات المسبقة .. كئي نلتزم بالعودة الى حدود سنة
١٩٦٧ لو كل نوافق على مرور حيشه لقاء السويس » .. وموشى
دايان يعلن في نيويورك : « انى أعتقد ان من المستحيل على أي
ملك عربي أن يملى على الأمريكيين سياستهم الخارجية لمجرد أنه
يملك السروال » .

ان تلك التصريحات الإسرائيلية كانت تسبقها من وقت وآخر
أعمال « حيمس يوبنيه » لتعيب الدول العربية لو المقاومة

الاسطيطيه .. سواء بتهديد العراق المصري .. او بالخطف صباط
سوريين من لسلي .. او ملاعارة على الفدائيس في قلب بيروت ..
او باستقاط طائرة مصرية ليبية بركبها .

ولكى يصبح المرمومتر اكثر انجفاضا ، والموقف اكثر تعقيدا ،
فال مناعب لم تقتصر على الأعداء فقط .. وانما كان لابد في نفس
الوقت من حل مشاكل لاسية تنشأ مع الأصدقاء ايضا . لقد
دخلت أمريكا والاتحاد السوفيتي عمرا من الوفاق .. وبدأتا
تعرضان مظهرا سلبية ومكزية من التعميش في كل مناطق
الانتهاب .. ونقطة البداية في ذلك هي الامر الواقع والاحتساق
القائمه . ان وجود معتدى ومعتدى عليه أصبح شيئا غير هام
الا في اطار محاصرة تقويمه او لخلاتية .. ولكنه ليس مهما على
الاطلاق اذا كنا بصدد تناول نولي في المصالح ودائرة محكمة تم
اغلاقها .

لقد أصبحت السياسة المصرية تواحه ضغطا عميقا مستهرا ،
يفرض عليها ان نحدد البسيط ما هو مفهوم الأصدقاء لصادقتهن .

ان سوق السلاح أصبح مغلطا من تنوع كاسح في جانب المتو ..
مقابل اضطراب متزايد تعاقب معه الامدادات العربية لحساب
سياسة الوفاق .

وتحن نستطيع هنا ان نتصور .. نظريا .. ثلاثة فروض
للإمدادات العسكرية التي يحصل عليها .

الفرض الأول .. تنطقي منه امدادات عسكرية نقل في هجتها
وموعها عما تحصل عليه اسرائيل .. وهذا الفرض معناه بالضرورة
أن الباب منوح لنام لاسرائيل للتعليم بمعاملات جديدة وغروات
جديدة لأراضيها .

الفرص الثاني .. مثاقى فيه لبداعات عسكرية تتعامل في حجمها ونوعها مع ما تحصل عليه اسرائيل .. وهذا مصاه الحكم يتجسد الواقع القائم في الشرق الأوسط .. أي الحكم باستمرار الاحتلال الاسرائيلي لأرامبيا الى مالا نهاية .

الفرص الثالث .. مثاقى فيه لبداعات عسكرية تتوق في حجمها ونوعها ما تحصل عليه اسرائيل .. وهذا ينقسم موقفا فعليا في جانب الحق الحربى .

وفي كل المروض الثلاثة السابقة التي تصورهاها نظريا .. هناك صداقة ، وهناك ابداعات عسكرية .. ولكن كل واحد من المروض الثلاثة يفتوى على موقف سياسى مختلف .

ان عصر الوفاق ادى الى الحكم ماليا باستبعاد الفرص الثالث . وهكذا ، أصبح على السياسة العربية - وبالذات السياسة المصرية - ان تستخدم القليل الذى تحصل عليه .. في تحقيق الكثير الذى تريده . عبء آخر لثيف الى اضاء سلتح القرار السياسى . وهو يحدد تزاره بالفخول في حرب مع اسرائيل .



بهذه الحامية الحاية - ويتسلمها الأكثر مدعاة للبلى - يجب ان ينظر الى حرب أكتوبر ، وإلى التجامعة المطلقة في انقاذ قرار المدد .

لقد عبر انور السادات عن ذلك بصق شديد عندما أعلن : « اتول لكم بصق واحدة .. لتنى كفضل لحرارم العالم لنا ، ولو بعمر عطف .. على عطف للعالم علينا .. لذا كالى بغير احترام » .

هكذا حطنا الحرب بالصلبي مطلق بأنه هدام إرادة ضد إرادة .. قبل أن يكون سلاحا ضد سلاح . إرادته نصبح لنا حدث .. ضد إرادته ندعهم لنا حدث .. في تلك الأيام الاستثنائية من يونيو سنة ١٩٦٧ . حطناها بقوة واضحة في الميران العسكري بيننا وبين إسرائيل . فحوة .. اعتد متح القرار السيلفي في سدها علي عليين أساسيين '

أولا : فترة القتل العرسى للشاب علي الابتكار ؛ ماذا كان السلاح مهمة .. لسوء جعلها الابتكار والآفة والتمويل مهيتين . هكذا وحيدا مثالا مهندسا مصرها شديدا استطاع بقدرة علي الابتكار أن يهضم مدة شقي الطهر الرملي الاسرائيلي الي ساعتين بدلا من عشر . ووجنا أن دول حلف الاطلسي اهدت عن المصريين الطريقة الجديدة التي ابتكروها لساء دشيم الطائرات ، ودول حلف وارسو تأخذ الأسلوب المصري في بناء قواعد الصواريخ — انه — المقاتل المصري والمقاتل السوري — هو الذي أصبح يشكل بالنسبة لرتبى لركلى حرب الجيش الاسرائيلي « المفاجأة الأولى في هذه الحرب » . والمقاتل العرسى هو الذي جعل موسى داهايل بطر . « أن حرب أكتوبر رلرال هر اسرائيل » . والمقاتل العرسى هو الذي حمل الجمرال « حونين » القائد الاسرائيلي لهبة سيناء يقول . « لقد كل المصريين يتقدمون موجلت بعد موجلت . كنا مطلق عليهم النار .. ويتقدمون . كنا نحيل ما حولهم جحيما .. ويتقدمون . كل لون القناة تانيا مالم .. وهم يتقدمون » .

هذا المقاتل الذي موجلت به اسرائيل أمامها في ساحة القتال .. لم يكن شخصية سيمائية . ولا مطلا استعراض من الأمانى .. ولا هو « عية » استوردياها من للحارح انه أن هذه الأرض تلسها . بل ابن هذا الحيل نفسه . انه كل موحودا دائما .. ولكها الفرصة المتبادلة هي التي كانت تنقصه .

ثانياً الوحدة العربية . لقد ترجعت هذه الوحدة نفسها في سلاح رئيسي ويأثر هو سلاح القنول . فحاول مرء يسطر العالم الى أن يلحد الحرب محدية عندما يصرون قراراً .. ويلتزمون به .. ولأول مرة تحس الدول الكبرى أن مصالحها الحقيقية مبحودة في الجانب العربي .. وليس الاسرائيلي . وعندما اضطرت تلك الدول الى اعادة التفكير والحسب .. وإلى السعي نحو الرياض والقاهرة والخرائر والكويت ودمشق مسترسمية ومهينة .. فتها كانت لعة المصالح التي أنت بها الدنيا في هذه المرة .. مصالح تركز في سلعة رئيسية . القنول . ليس للقنول ، ولا للقنولاء . ولا للإنجيل . ليس المسجد الأقصى ، ولا اللاجنبي . ليس القنول ، ولا الحق ، ولا الأمم المتحدة . انه القنول - ذهب هذه الارس هو الآخر كل موجودا دانيا .. ولكنه هزم من مرصنه كساح سيسى .



كانت تلك هي الحرب ، وكانت تلك هي حليانها وظروفها وأسلحتها .

ثم ماذا ؟

لقد اند حرب أكتوبر الى تفكير العالم ببعض الحقائق الأساسية لطبيعة الصراع في الشرق الأوسط . ولكن الأهم من ذلك .. هو أن يتذكر نحن الحرة الآخر الذي يهنا من تلك الحقائق .

أن حرب أكتوبر اشاعت في مجتمعنا مشاعر كثيرة . معظمها محي .. ومعها خطر . من المشاعر الخطرة مثلاً الإحساس بالرضا الشديد عن النفس .. وبراحة البال .. وأن كل شيء قد أصبح على ما يرام . لا . إن الحرب قد أزلت العيار من على

جانب واحد من الوجه الحقيقي لنا . ولكن الحواشي الأخرى
ما زالت تتطلب منا التحول في تحديث أكبر حجما وأطول ربما .

إن المواجهة المأخوذة في الصراع بيننا وبين إسرائيل هي المواجهة
العسكرية . ولكن المواجهة الأخرى ، المستمرة والدائمة ، هي
المواجهة الحصارية . في أكتوبر كانت المواجهة بين جيش وجيش .
في المستقبل سوف تكون المواجهة بين جامعة وجامعة . . بين اقتصاد
والعقار . . بين صناعة وصناعة . . بين بحث علمي وبحث علمي
. . بين صحافة ومطبعة . . بين مؤسسات ومؤسسات . . بين
أعلام وأعلام . . بين إنتاج وإنتاج . . بين كتاب وكتاب . . بين
إدارة وإدارة .

ونكبا تعرضنا في المواجهة العسكرية لحصار سبيلنا وعسكري
استطعنا بحرب أكتوبر أن نغلب منه ونكسر دائرته . . كذلك نحن
تعرضنا في الصراع الحضاري لحصار اقتصادنا له في أجيال كثيرة
باعتبارنا نحن . حصار لا يمكن أن نكسره في هذه المرة في غياب تصور
شامل متعدد لبلدنا * بلذا نريد منه . . وماذا نحلم به له .

هذه المواجهة الحصارية هي التي مستحسمة في المدى الطويل كل
المسألة بيننا وبين إسرائيل ، في صدام أوسع نطاقا وأشد عتفا .

و . . لئلا صدام الدلر في هذه المرة .

محتويات الكتاب

الصفحة

الموضوع

● مقدمة :

بقلم محمود موسى ٥

الـبـاب الأول

● خلفاى حرب الشرق الأوسط :

أندريه دوبتش ١١

● فلسطين .. أو اسرائيل :

جون كيشي ١٠٧

● اليهودى الأمريكى :

روجر كان ١٨١

● العالم العربى امام القنارىء الغربى :

فرودى بلكر وراثيل جونز ٢٢٥

الـبـاب الثانى

● ماذا جرى . وكيف جرى ؟ :

بقلم محمود موسى ٢٦١

كتب أخرى للمؤلف :

ممنوع من التداول - الطبعة السادسة - دار الشروق
أفكار إسرائيلية - الطبعة الثانية - تحت الطبع
سياحة غرامية - الطبعة الثانية - دار الشروق
مصرى بمليون دولار - الطبعة الثالثة - الأنجلو
أفكار ضد الرصاص - الطبعة الثانية - دار المعارف
شخصيات من هنا وهناك - الطبعة الأولى - دار المعارف
أرجوك لا تفهمنى بسرعة - (رواية) - تحت الطبع

مطبع الامام التجارية

رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٧٢ / ٢٢١٠



منذما صدر محمود تومس كتابه المشهور «مصر من النذول» ثالث من
 سلسلة «أوبونت» الفرنسية إنه دليل على أن الجيل الشاب في مصر يعرف
 أن بحار إسرائيل من الناكرة... وقالت منه صحف بيروت إنه «... سوف
 يظل أعظم كتاب طوال السنوات الخمس القادمة على الأقل».

والآن لنقدم لك الجزء الثالث «سرى جفا» في هذا الكتاب نقرأ بحسب
 العالم لحرب أكتوبر وأسبانيا «من هم - في العام العربي كله - ستة الذين
 عرفوا بقرار الحرب قبل وقوعها؟ لماذا اعتنقت أمريكا قبل الحرب بشعة
 أيام كبرا مصانها قول القوي الأوسع لجميع المعلومات؟ لماذا عطلت بريطانيا
 من سفيرها بالقاهرة أن يقابل الرئيس السادات في الرابعة صباحاً؟ ما هي قصة
 «الشفرة»؟ لماذا دار في الاتصالات بين تل أبيب وواشنطن وفرنسا والبريطاني
 وممثل القاهرة وموسكو؟ لماذا قررت مصر أن تجري جميع المفاوضات
 مع السوفييت في القاهرة وليس في موسكو؟ ولماذا تقرر - أصلاً -
 الجلاء السوفييت من مصر؟

إنها أسرار القرع في هذا الكتاب من مصادرها الأجنبية كاملة، وهو
 في النهاية نقرأ أمليلاً مقارناً بقلم محمود تومس «الذي قال عنه ستة
 سنين إنه... يمثل جيلاً جديداً حياً من الكتاب الذين يؤمنون بأن لا
 المرحم بدقة وأمانة هو أول شرط للعلاج».